عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين

عرض ونقد

تأليف

محمد بن علي بن محمد آل عمر

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

ح) مجلة البيان ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عمر، محمد علي محمد

عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين: عرض ونقد / محمد علي محمد آل عمر، الرياض، ١٤٢٤هـ

٣٤٨ ص؛ ١٧ × ٢٤

ردمك: ٥ - ٠ - ٩٤٤٩ - ٩٩٦٠

١ - العقيدة اليهودية.

أ - العنوان

ديوي ٢٩٦٫٣ ١٤٢٤/٢٨١٧

رقم الإيداع: ١٤٢٤ / ٢٨١٧

ردمك: ٥ - ٠ - ٩٤٤٩ - ٩٩٦٠

أصل هذا البحث رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين.

وقد تكونت لجنة المناقشة من:

١ - الأستاذ الدكتور: علي بن نفيع العلياني: الأستاذ بالكلية والمشرف على الرسالة - رئيساً.

٢ - الأستاذ الدكتور: محمد عمر بن محمد حسن: الأستاذ بالكلية - عضواً.

٣ - الأستاذ الدكتور: أحمد بن عبد الرحيم السايح: الأستاذ بالكلية - عضواً.

ومنح صاحبها درجة الماجستير بتقدير ممتاز، وذلك في يوم الثلاثاء الموافق ١٤٢٢/٩/١٩هـ.


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد اللهُ فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾

[النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فالأفكار الناتجة عن العقيدة هي أساس الحقائق التاريخية القائمة على الحركة المستمرة التي لا تتوقف.

فالصراع بين الإسلام وأعدائه، خاصة أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، قديم قِدَم الإسلام نفسه، وهو مستمر إلى قرب قيام الساعة، فهو من أشراط الساعة الكبرى.

وأهل الكتاب من المفترض أن يكونوا أول مصدِّق بدعوة النبي محمد ﷺ، فقد أخذ الله ميثاق أنبيائهم بالإيمان به - عليه السلام -، فقال - عز من قائل -:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١][1].

وكان اليهود يخبرون بمجيئه ـ عليه السلام ـ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (إن يهود كانوا يستفتحون علىٰ الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه)[2].

ولكن حكمة الحكيم العليم اقتضت أن يكون أهل الكتاب، وخاصة اليهود، أول من يكفر بهذه الدعوة الجديدة التي كانوا من قبل يستفتحون بها علىٰ العرب.

وكان ردهم لهذا الدين الجديد؛ لأن رسوله لم يكن منهم، ولأنه جاء مصحِّحاً لما حرَّفوه من تعاليم نبيهم موسىٰ عليه السلام، ومبيناً لزيفهم وكذبهم علىٰ الله ـ عزوجل ـ وعلىٰ أنبيائه الكرام، ولأنه جعلهم كالناس لا فرق بين أبيض وأسود إلا بالتقوىٰ. فغاظهم ذلك الأمر، وعزموا علىٰ محاربته والوقوف في طريقه، حتىٰ لقد قال قائلهم: (عزمت علىٰ عداوته، والله، ما بقيت)[3].

وفي كثرة ما كان النصارىٰ يمارون النبي محمداً ﷺ لإثبات باطلهم وأنهم علىٰ الحق؛ أنزل الله ـ تعالىٰ ـ فيهم: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ

---

(١) وفي كتابَيْ (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و(هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ) للإمام ابن قيم الجوزية ـ بيان واضح لوجود خبر رسالة نبينا محمد ﷺ في التوراة والإنجيل.

(٢) تفسير الإمام ابن جرير الطبري، (١ / ٤١٠).

(٣) وهذا الرجل هو حُيَيّ بن أخطب، زعيم يهود بني النضير. السيرة النبوية لابن هشام، (٢ / ١٦٠).

تعالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١][(١)].

فأهل الكتاب من يهود ونصارىٰ متمسكون بباطلهم الموروث، وينطلقون منه في شؤون حياتهم من أفكار وسلوك وادعاء حقوق وغير ذلك، وسيظل أثره فيهم حتىٰ آخر الزمان[(٢)].

ولا شك أن هذا التمسك سيصطدم بتمسك الأمة الإسلامية بدينها الصحيح، وما تعتقده من الحق في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وشاء الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يكون بيننا وبين أهل الكتاب (اليهود والنصارىٰ) أنواع من الصراع، فهناك صراع معهم للمحافظة علىٰ ديننا من غزوهم العقدي والفكري الموجّه ضدنا، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال: ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩]. وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]. وغيرها من الآيات التي تبين هذا النوع من الصراع.

وهناك صراع بيننا وبينهم علىٰ موروث مقدَّس عندنا جميعاً، وهو الأرض المباركة وما حولها (أرض فلسطين وما جاورها).

---

(١) تفسير الإمام الطبري، (٣/ ٢٩٧).

(٢) كما ستذكر ذلك أبواب هذه الرسالة إن شاء الله تعالىٰ.

(وقد انفرد الوطن الفلسطيني بقيمة دينية، لازمته ابتداءً من إبراهيم عليه السلام، واستمرت إلىٰ أن بلغ الوحي الإلهي أعلىٰ درجاته مع رسالة نبي المسلمين محمد ﷺ. وكان هذا الانفراد الملازم دليل ارتباط حميم بين الدين وفلسطين؛ مما جعل فلسطين رمزاً مكانيّاً للدين، شهد صراعاً متواصلاً بين الهداة إلىٰ الحق وعتاة الباطل، أو بين رؤية بصيرة للوجود ورؤية ذاتية مظلمة، أو بين دعوة النبوة المهدية وضلال الكفر. وقد انتهت تطورات التاريخ إلىٰ تأهيل الوطن الفلسطيني مرة أخرىٰ ليكون ساحة الصراع بين الضلال الإنساني مكثفاً في الدولة اليهودية، وحركة جهاد إسلامية تستأنف المسار الإنساني تحت راية الهداية الإلهية)[١].

وينتج عن هذا الصراع معارك دامية ومواجهات قوية علىٰ تلك الأرض المباركة (فلسطين وما حولها من أرض الشام). كما سيأتي بيانه في هذا البحث إن شاء الله تعالىٰ.

فالنصارىٰ ما قاموا بحملاتهم الصليبية إلا من منطلق ديني[٢]، فهم يرون أن لهم الوراثة الحقيقية بعد كفر اليهود بعيسىٰ عليه السلام، وأن النصوص الواردة في التوراة بالوعد بأرض فلسطين - بل (من نهر مصر إلىٰ النهر الكبير نهر الفرات) - هم الأحق بها من اليهود الذين كذّبوا بعيسىٰ عليه السلام، وأنها الأرض التي ولد فيها - عليه السلام -، وبها أماكن مقدسة لهم هناك. ثمّ تغيرت نظرتهم - أو بالأصح نظرة طائفة منهم - بأن تجميع اليهود ما هو إلا مقدمة لنزول عيسىٰ عليه السلام، فيتحول اليهود إلىٰ المسيحية ويغطي دينهم كل الأرض.

---

(١) رؤية دينية للدولة الإسرائيلية، حسن محمد ميّ، ص ٨.

(٢) ارجع في مسألة أساس الحملات الصليبية إلىٰ: الخلفية الأيديولوجيّة للحروب الصَّليبيَّة (دراسة عن الحملة الأولىٰ ١٠٩٥ - ١٠٩٩م)، د. قاسم عبده قاسم. والحروب الصّليبيّة هل انتهت؟، عبد الوهاب زيتون. وأخطار الغزو الفكري علىٰ العالم الإسلامي، د. صابر طعيمة، تحت عنوان (الحروب الصليبية والتحول الحضاري).

وها هم اليهود يفعلونها على هذه الأرض المباركة في القرن العشرين؛ مكونين دولتهم الدينية عليها باسم (إسرائيل) تنفيذاً لما يُسمى عندهم بدولة (إسرائيل الكبرى) (من النهر الكبير نهر الفرات إلى نهر مصر)؛ انطلاقاً من نصوص مقدسة عندهم، كما سيتم توضيحه ـ إن شاء الله تعالى ـ في هذا البحث؛ حيث إن ذلك أساسه وموضوعه والهدف منه، مع انتقاد ذلك المعتقد اليهودي.

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب كثيرة، من أهمها:

١ ـ بيان أن الأمة الإسلامية تمر الآن بأحرج الأوقات في تاريخها الطويل، حيث يُراد منها أن تنسى عدوان أهل الكتاب، وخاصة اليهود، في ظل ما يُسمى بعملية السلام، حيث تهدف هذه المرحلة إلى دمج اليهود في المنطقة الإسلامية العربية، وإزالة الحواجز العقدية والنفسية فيما بين المسلمين واليهود؛ مما يُسهّل عملية سلخ الأمة الإسلامية من هويتها ودينها وعقيدتها، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**﴾ [النساء: ٨٩].

٢ ـ بيان أن الدولة اليهودية (إسرائيل) القائمة على أرض فلسطين؛ إنما هي كيان قائم على أساس توراتي محض، وإظهار النصوص التوراتية في ذلك.

٣ ـ توضيح أن التأييد المسيحي الغربي المحموم والمتواصل للعدو اليهودي الصهيوني؛ إنما يرجع إلى أسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية.

٤ ـ أن فهمنا لعقيدة أعدائنا يزيدنا من فهمه، وتقدير مدى خطره ومطامعه وتآمره وقراراته.

٥ ـ أن حقيقة هذه القضية وهذا الصراع موجودة وحيَّة ومتفاعلة في عقول اليهود والنصارى وقلوبهم، بينما هي غائبةٌ في وجدان أبناء الأمة الإسلامية؛ خاصة في العصر الحاضر.

٦ ـ بيان أن المعركة مع أهل الكتاب معركة دين واعتقاد لا معركة أرض واقتصاد؛ كما يدّعي أتباع القومية العربية. وأن كثيراً من الكتب التي تتحدث عن هذا الصراع (الصراع الإسلامي ـ اليهودي) للأسف تتحدث عنه من خلال نظرة قومية عربية بحتة، وتسميه (الصراع العربي ـ الصهيوني).

٧ ـ محاولة للفت انتباه بعض طلبة العلم الشرعي لمثل هذه الموضوعات الحيويّة والمهمة، وبيان أن إغفالها وعدم التذكير بها سبب عظيم في ضياع هذه الأمة؛ ضياع حاضرها في براثن الغزو الفكري المدمّر، وضياع مستقبلها في الانسلاخ من هويتها وعقيدتها الإسلامية الصحيحة، وضياع ماضيها بحيث لا تستفيد الأمة من تلك الدروس الخالدة التي تعدُّ زاداً لنا في مواصلة رفع راية الإسلام عالية خفّاقة.

فليعلم طلبة العلم الشرعي: أن طلب هذا العلم يُجدي أكثر، ويأتي بثمار أفضل؛ إذا ألصقناه بالواقع المعاصر.

ومن خلال العلم المبني على القرآن والسنة الصحيحة، ومنهج السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)؛ تستطيع أمتنا الإسلامية أن تتربى التربية المرجوة التي تجعلها خير أمة أُخرجت للناس، وتجعلها مؤهَلَة لحمل رسالة الله الخاتمة ونشرها بين الأمم إلى قيام الساعة، ومن وسائل هذه التربية توعية الأمة بما يُحاك ضدها، ويُعمل من أجل إفسادها وانحرافها عن المنهج الصحيح، وقطع صلتها بربها، ومن أخطر مَنْ يقوم بمثل هذه الأدوار للإيقاع بأمتنا الإسلامية: اليهود والنصارى.

وهناك أمثلة كثيرة من تاريخ أمتنا المجيد تتحدث عن رجال من حملة العلم الشرعي، ألصقوا هذا العلم بالواقع فارتفع المسلمون في وقتهم على أعدائهم، فأصبحوا قوة حضارية يستنير الناس بها، وقوة عسكرية يخشى الأعداء منها.

ومن هؤلاء العز بن عبد السلام[١]. وشيخ الإسلام ابن تيمية[٢]، ومجدد الدعوة السلفية محمد بن عبد الوهاب[٣]، وغيرهم ممن ألصق العلم الشرعي بالواقع، وعالجه من خلاله.

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُلمي، أبو محمد، القاضي، الفقيه الشافعي، المفسر، اللغوي، الورع، الزاهد، الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، سلطان العلماء. ولد بدمشق سنة ٥٧٧هـ على الراجح، الموافق ١١٨١م، ونشأ بها، ودرس علوم الشريعة والعربية، وتولى الخطابة بالجامع الأموي، والتدريس في زاوية الإمام أبي حامد الغزالي، هاجر إلى مصر، فعين قاضياً للقضاة، ومارس التدريس والإفتاء والخطابة بجامع عمرو بن العاص، حرّض الناس على ملاقاة التتار، وقتال النصارى الصليبيين، وشارك في الجهاد، مات بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م ودفن بها. انظر: الأعلام: (٤ / ٢١) لخير الدين الزركلي. و للدكتور محمد الزحيلي كتاب مستقل عنه.

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله النميري الحراني، أبو العباس، شيخ الإسلام، الفقيه الحنبلي، المجتهد المطلق، برع في علوم متنوعة؛ منها الفقه والحديث والعقائد والنحو والفلسفة. ولد بحران في الشام يوم الاثنين العاشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة (٦٦١هـ). تعرض لمحن كثيرة، وردَّ وأفحم المبتدعة والقبورية والرافضة والنصارى واليهود، حرّض على قتال التتار، وشارك في قتالهم في معركة (شقحب) المشهورة سنة ٧٠٢هـ في أول شهر رمضان المبارك. مات وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق في العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ. انظر: الأعلام: (١/ ١٤٤)، والعقود الدُّرّيّة من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، للإمام محمد بن عبد الهادي.

(٣) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المشرفي الوهيبي التميمي، محيي السنة ومجدد الدعوة. ولد سنة ١١١٥هـ في بلدة العيينة من أرض نجد. برع في الفقه الحنبلي، أخذ ينصر الحق، ويحارب البدع، ويقاوم ما أدخله الجاهلون في هذا الدين الحنيف، ولم يزل مثابراً على الدعوة حتى توفاه الله. صنف مصنفات شهيرة سارت في الآفاق. توفي سنة ١٢٠٦ هـ. انظر: الأعلام (٦ / ٢٥٧)، وسيرته في رسالة الدكتوراه (عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية)، للدكتور صالح بن عبد الله العبود.



خطة البحث

أما خطة البحث التي سرت عليها، فقد تضمنت، بعد المقدمة، تمهيداً، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وهي كالآتي:

التمهيد:

وفيه:

أولاً: كلمة عن أرض فلسطين.

ثانياً: نظرة مجملة إلى تاريخ اليهود منذ بدايتهم حتى تشتتهم على أيدي الرومان.

الباب الأول: الوعد في أسفارهم.

ويشمل فصلين:

الفصل الأول: التعريف بهذه الأسفار.

الفصل الثاني: موقف النصرانية من هذا الوعد، وأثره.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الموقف العدائي لليهود.

المطلب الثاني: ما حصل في هذا الموقف من تغيير.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة البروتستانتية.

المبحث الثالث: أثر هذه المواقف في إنشاء دولة اليهود الحالية على أرض فلسطين المسلمة.

الباب الثاني: تفنيد هذا الوعد وإثبات بطلانه:

ويشمل فصلين:

الفصل الأول: إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار اليهود.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار توراة (موسى) - عليه السلام - الخمسة.

المبحث الثاني: إثبات وقوع التبديل والتحريف في باقي أسفار العهد القديم.

الفصل الثاني: إثبات بطلان هذا الوعد.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إثبات بطلان هذا الوعد من خلال أسفارهم. (الحجة الدينية).

المبحث الثاني: إثبات بطلان هذا الوعد من الناحية التاريخية. (الحجة التاريخية).

الباب الثالث: موقف الإسلام من هذا الوعد:

ويشمل فصلين:

الفصل الأول: موقف القرآن والسنة من أسفار اليهود.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف القرآن من أسفار اليهود.

المبحث الثاني: موقف السنة من أسفار اليهود.

الفصل الثاني: نصوص هذا الوعد في ضوء الكتاب والسنة.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : وقفات مع بعض آيات كتاب الله عز وجل .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وقفة مع بعض آيات سورة المائدة .

المطلب الثاني : وقفة مع بعض آيات سورة الإسراء .

المبحث الثاني : النظر إلى هذا الوعد من خلال الأحاديث الصحيحة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفتح الإسلامي لفلسطين .

المطلب الثاني : مستقبل الصراع الإسلامي - اليهودي .

الخاتمة: وفيها أهم النتائج:

هذا، وإني لأرجو الله - تعالى - أن أكون قد وفقت في هذا البحث، فإن كنت قد أصبت فمن الله - تعالى - وحسن توفيقه، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان. وأستغفر الله ، وأسأله الرشد، والسداد، والرجوع إلى الحق.

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

محمد بن علي بن محمد آل عمر

mo_alomar@hotmail.com

صندوق بريد : ١١٠٤ - جازان

المملكة العربية السعودية

التمهيد

أولاً: كلمة عن أرض فلسطين:

تقع فلسطين في الغرب من قارة آسيا؛ بين خطي طول (٣٠: ٢٩) و (١٥: ٣٣) درجة شمالاً، وبين خطي عرض (١٥: ٣٤) و (٤٠: ٣٥) شرقي خط جرينتش، وتمثل الجزء الجنوبي الغربي من وحدة جغرافية كبرىٰ في المشرق العربي، تعرف ببلاد الشام[١].

ولم يتم تقسيم هذه الوحدة تقسيماً سياسياً إلىٰ أربع دول وهي (سورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين) إلا بفعل الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولىٰ، وتطبيق اتفاقية (سايكس ـ بيكو)[٢] علىٰ بلاد الشام، فأصبح لكل كيان

---

(١) انظر: د. صلاح الدين بحيري، جغرافية فلسطين، ص ١٥، من بحوث كتاب المدخل إلىٰ القضية الفلسطينية، تحرير: جواد الحمد، وموسوعة كتاب فلسطين والوعد الحق، ص٥، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وتاريخ فلسطين الحديث، ص ١١، د. الكيالي، وبلادنا فلسطين، ج١/ ص ١٥، مصطفىٰ الدباغ.

(٢) اتفاقية (سايكس ـ بيكو) تفاهم سري استعماري بين بريطانيا وفرنسا، متمم لاتفاق رئيس بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتقسيم السلطنة العثمانية والاستيلاء علىٰ المشرق العربي ـ سورية الطبيعية ـ في أعقاب دخول الأتراك الحرب إلىٰ جانب ألمانيا. فبينما كانت بريطانيا تفاوض الشريف حسين بن علي ـ عندما أعلن ثورته ضد الدولة العثمانية ـ وتغريه وتعده وتمنيه طوال عام ١٩١٥م لتحقيق ما يحلم به وهو قيام دولة عربية كبرىٰ من حدود تركيا إلىٰ سيناء، ومن البحر إلىٰ إيران، في هذا الوقت وعلىٰ التحديد في مايو (آيار) ١٩١٦م؛ كانت بريطانيا تجلس مع فرنسا للتفاوض في مستقبل البلاد العربية، فكان مندوب بريطانيا السير مارك سايكس عضو مجلس العموم البريطاني، والمهتم بالشؤون العربية، والمندوب السامي البريطاني لشؤون الشرق الأدنىٰ، وكان مندوب فرنسا المسيو جورج بيكو قنصلها في بيروت في عام ١٩١٥م، ومعتمدها السامي. وأشرف علىٰ تلك المباحثات معتمد روسيا وزير خارجيتها سيرجي زازنوف، فوزعت=

منها جواز مرور وحدود ودستور وعلَم، ومن ثم كان لفلسطين حدودها مع تلك الأقطار، فضلاً عن حدودها مع مصر.

ولم يتحدد شكل فلسطين وحدودها الجغرافية المتعارف عليها في عصرنا هذا إلاّ أيام الانتداب البريطاني على فلسطين. وقد كان تحديد أرض فلسطين يضيق ويتسع باختلاف العصور المتعاقبة عليها، على أن فلسطين ظلت تعدُّ جزءاً من بلاد الشام(١)(*).

= بريطانيا وفرنسا البلاد العربية بينهما ـ والمسلمون سادرون في ثقتهم ببريطانيا ـ، وبهذه الاتفاقية أصبح لفرنسا كامل النفوذ في البلاد السورية ولبنان، كما أصبح لبريطانيا كامل النفوذ في العراق وفلسطين والأردن. وهذه الاتفاقية التي تعدُّ مثالاً للمكر والخداع والجشع في سياسة الدول الاستعمارية ـ هي الأساس الفعال لخطة تمزيق المشرق العربي (سياسة فرق تسد)، وبمقتضاها انقسمت الشام إلى أربع دول منفصلة، فتمكن اليهود من فلسطين تحت رعاية من بريطانيا.

انظر: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ص ٥٤ ـ ٥٨ صالح مسعود أبو بصير، و السياسة الدولية وفلسطين، ص ١٩٥ ـ ١٩٧ ـ د. محمد كمال الدسوقي، وموسوعة السياسة (٣ / ٢٣)، د. عبد الوهاب الكيالي، والقاموس السياسي، ص ٦٠٨ ـ ٦٠٩، أحمد عطية الله، والموسوعة الفلسطينية (٢ / ٥٣٤ ـ ٥٣٥)، والأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل، ص ١٧، إبراهيم محمد العلي، وتاريخ فلسطين الحديث، ص٧٧ ـ ٧٨، د. عبد الوهاب الكيالي، والقدس في دائرة الحدث (١/ ٣٨)، د. إبراهيم حسن أبو جابر، ودراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص ٥٧٠ ـ ٥٨٠، د. عمر عبد العزيز عمر، وسياسة الاستعمار والصهيونية، (١ / ٣٦٨)، د. حسن الخولي.

(١) رجال من فلسطين لعجاج نويهض، ص ٣١٤ ـ ٣١٥، نقلاً عن الأرض المقدسة، ص ١٨، إبراهيم العلي، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، ص ٢٢، محمود نعناعة، وفلسطين إليكم الحقيقة (١/ ٣٢)، ج. جفريز.

(*) أما عن فلسطين في أثناء حكم الخلافة العثمانية: فقد خضعت فلسطين للحكم العثماني عام ١٥١٦م. وكانت فلسطين طوال الحكم العثماني جزءاً من ولايات الشام كعادتها على مدى التاريخ. وكانت آنذاك وحدة إدارية تنقسم إلى المناطق الآتية: في الشمال: متصرفية (عكا)، وتشمل أقضية: حيفا، طبريا، صفد. ومتصرفية (نابلس)، وتشمل قضائي جنين وطولكرم، وكلها تتبع ولاية بيروت. وفي الجنوب متصرفية (القدس الشريف) المستقلة، وتشمل أقضية: القدس، يافا، غزة، الخليل، بئر السبع، وتخضع مباشرة للحكومة المركزية في الآستانة. أما مناطق شرقي الأردن فجعلت جزءاً من ولاية دمشق. =

ثانياً: نظرة مجملة إلى تاريخ اليهود منذ بدايتهم حتى تشتتهم على أيدي الرومان:

يعقوب ـ عليه السلام ـ النبي الكريم؛ من تاريخه كانت البدايات الأولى مع بني إسرائيل.

فيعقوب ـ عليه السلام ـ هو إسرائيل، وهو أصل بني إسرائيل، وأبوهم الذي تفرعوا منه، أبوه إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام[1].

جاء في العهد القديم: (بعد موت سارة وقبل وفاة إبراهيم ـ عليه السلام ـ؛ أوصى كبير عبيده بأن لا يزوج ابنه إسحاق ـ عليه السلام ـ من بنات كنعان، بل يزوجه من أرضه وعشيرته، فعمل هذا بوصية إبراهيم ـ عليه السلام ـ، فذهب إلى آرام النهرين حيث مدينة ناحور، فزوج إسحاق برفقة بنت تبوئيل بن ناحور أخي إبراهيم ـ عليه السلام ـ).

رزق الله إسحاق ـ عليه السلام ـ من زوجته رفقة بولدين في بطن واحد؛ هما: عيسو الولد البكر، قال ابن كثير: (وهو الذي تسميه العرب (العيص)، وهو والد الروم). والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه، قال ابن كثير: (فسموه يعقوب، وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل)[2].

جاء في العهد القديم: أن إسحاق ـ عليه السلام ـ وصى يعقوب ـ عليه السلام ـ أن لا يأخذ زوجة من بنات كنعان، بل يتزوج من عشيرته وأهله في فدان آرام، ويأخذ لنفسه زوجة من بنات خاله لابان[3].

= انظر: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص ٧٣، د. حسّان علي حلاّق، وسياسة الاستعمار والصهيونية، (١/ ٤٧)، د. حسن الخولي، ومقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، ص ٩، د. عبد العزيز محمد عوض، والتيار الإسلامي في فلسطين، ص ٤٣، محسن محمد صالح.

(١) تكوين (٢٤: ١ ـ ٦٧).

(٢) البداية والنهاية، ج ١ / ص ١٨١، تكوين (٢٢ : ٢٥ ـ ٢٦).

(٣) تكوين (٢٨ : ١ ـ ٢).

تزوج يعقوب ـ عليه السلام ـ ابنتي خاله (ليئة) و (راحيل)(١). كما تزوج أيضاً جاريتيهما المهداتين إليه منهما(٢).

فولد ليعقوب اثنا عشر ولداً، منهم يوسف النبي الكريم ـ عليه السلام ـ، وهم أجداد بني إسرائيل الذين تفرعت عنهم أسباطهم وقبائلهم(٣).

استقر يعقوب ـ عليه السلام ـ في أرض كنعان مع جميع بنيه(٤).

وهنا حصلت قصة ليوسف ـ عليه السلام ـ، فصَّلها الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في كتابه الكريم القرآن العظيم في سورة تحمل اسمه، كان من نتائج هذه القصة أن أصبح يوسف ـ عليه السلام ـ أميناً علىٰ خزائن مصر، وأنه جاء بأبيه وإخوته من فلسطين إلىٰ أرض مصر.

استقر بنو إسرائيل في مصر (وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً)(٥). ووفَّىٰ من وفَّىٰ منهم بعهدهم مع الله ثم بعهدهم مع أبيهم، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٠ – ١٣٢].

---

(١) تكوين (٢٩: ٢٣، ٢٨).

(٢) تكوين (٣٠: ٣)، وكانت جارية راحيل تسمىٰ بلهة، تكوين (٣٠: ٩)، وكانت جارية ليئة تسمىٰ زلفة.

(٣) جاء في العهد القديم أسماء بني يعقوب هم: أبناء ليئة: رأوبين البكر في أولاده جميعاً، شمعون، لاوي يهوذا (الرابع في إخوانه، وعليه يتركز الوعد التوراتي بأرض فلسطين، وإليه تؤول زعامة آل يعقوب)، يسّاكر، زبولون، ابنة اسمها دينة. أبناء بلهة جارية راحيل: دانا، نفثالي. أبناء زلفة جارية ليئة: جادا، أشير. أبناء راحيل: يوسف (ويوسف ـ عليه السلام ـ كان آخر أولاده في أرض حران، تكوين ٣٠: ٢٥)، وآخر أبنائه ـ بنيامين ـ من زوجته راحيل، وكان مولده في أرض كنعان. انظر أسماء أبنائه ـ عليه السلام ـ حسب الرواية اليهودية: تكوين (٢٩: ٣٢ـ٣٥). (٣٠: ٦، ٨، ١٢، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٤)، (٣٥: ١٨). وأيضاً: البداية والنهاية، ج ١/ ص١٨٢، ١٨٤.

(٤) تكوين (٣٧: ١).

(٥) تكوين (٤٧: ٢٧)، خروج (١: ٧).

ومن هؤلاء الذين وفوا كان يوسف - عليه السلام - الذي حمل أمانة الدعوة إلىٰ الدين الحق علىٰ أرض مصر: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وبمرور الزمن جنح كثير من بني إسرائيل عن طريق الحق والدين القويم، وعلىٰ أثر بُعدهم عن دين الله نُزعت عنهم الخيرية، بل استحقوا لعنة الله - عز وجل -: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾

[آل عمران: ١١٢].

أرسل الله - عز وجل - إلىٰ بني إسرائيل موسىٰ - عليه السلام - للرجوع بهم إلىٰ الطريق المستقيم إلىٰ عبادة الله عز وجل، وتنفيذ أوامره، ومنها الدخول بهم إلىٰ الأرض المباركة - أرض فلسطين وما حولها -: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]، خاصة أنه كان علىٰ أرض مصر نظام وثني طاغوتي فرعوني، لا يرضىٰ أن يكون فيها إنسان يقول: لا إله إلا الله.

وهذا هو العداء الحقيقي من الفراعنة لبني إسرائيل(١).

قال - تعالىٰ -: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ

---

(١) ذهب بعض المؤرخين لتلك الفترة الزمنية إلىٰ أن سبب العداء لبني إسرائيل من فرعون وقومه يرجع إلىٰ أمور؛ منها: مكانة بني إسرائيل العالية في الحكومة السابقة (الهكسوس) الغريبة علىٰ أرض مصر، ووضع بني إسرائيل الخاص بهم كالعزلة والتكاثر المستمر؛ مما أثار خوف أهل مصر منهم لما قد يحدثونه من اضطرابات، ومن وضعهم الصحي السيئ بسبب هذه العزلة وهذا التكاثر. انظر: اليهودية، ص٦٨، د. أحمد شلبي، والتطور التاريخي لبني إسرائيل، ص٣١، عماد النجار، وقصة العقائد، ص ٢٨٦، د. سليمان مظهر.

السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]، وقوله - تعالى -: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥١ - ٥٦]، وقوله - تعالى -: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ [النازعات: ٢٤ - ٢٥].

خاصة أن بني إسرائيل لم يستغلوا تلك السنين الطويلة، في أثناء مكوثهم بين ظهراني أهل مصر، في دعوة هذا الشعب إلى إفراد الله بالعبادة والعمل على تحويله من الوثنية إلى التوحيد.

نعم قد كان لوجود بني إسرائيل في مصر أثره في استمرار وجود توحيد الله على أرضها، وكانت هناك دعوات منهم للشعب المصري إلى توحيد الله - تعالى - ومحاولات في ذلك، كان من نتائجها أن اعتنقت زوجة فرعون الإسلام، ووجود مؤمن آل فرعون بين ظهراني فرعون وقومه، ووجود الرجل المؤمن الذي طلب من موسى أن يخرج لأن الملأ من قوم فرعون يأتمرون به.

ولكن تلك الدعوات والمحاولات كانت قليلة ومحدودة بالنسبة لأعداد شعب مصر، ولهذا لم تضرب الدعوة بجذورها في الشعب المصري؛ مما سهل لفرعون مصر محاربتها داخل حدود دولته، بل حتى متابعتها خارج حدود دولته، فانتقم الله منه وأغرقه في اليم.

خروج موسى - عليه السلام - ومن معه من مصر، وهلاك فرعون ومن معه في البحر:

إن الله - تعالى - لم يهلك فرعون ومن معه إلا بعد إقامة الحجج عليهم، وإرسال الرسول إليهم، وإزاحة الشبه عنهم، ولكنهم كفروا وعتوا واستمروا

على الضلال والجهل والاستكبار عن اتباع آيات الله وتصديق رسوله ـ عليه السلام ـ [١]، عند ذلك أمر الله ـ تعالى ـ رسوله موسى ـ عليه السلام ـ بالخروج بمن معه من بني إسرائيل من مصر. فخرج ـ عليه السلام ـ ومن معه سراً في ليلة ظلماء. وكما جاء في الرواية اليهودية أن عددهم مع موسى ـ عليه السلام ـ كان نحو ستمائة ألف ماشٍ من الرجال ما عدا الأولاد[٢]، وكانت مدة إقامتهم في مصر أربعمائة وثلاثين سنة[٣]، واتجهوا نحو المشرق نحو الأرض المباركة في بلاد الشام.

وفي خروجهم هذا نقلوا معهم عظام يوسف ـ عليه السلام ـ وفاء لعهد قطعوه على أنفسهم، فقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وغيرهما بالسند إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: (أتى النبي ﷺ أعرابياً فأكرمه، فقال له: ائتنا. فأتاه فقال له رسول الله ﷺ: حاجتك؟ قال: ناقة نركبها وأعنزٌ يحلبها أهلي. فقال: عجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟ قالوا: يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل؟ قال: إن موسى ـ عليه السلام ـ لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهم: يوسف ـ عليه السلام ـ لما حضره الموت أخذ بنيامين علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا. قال: من يعرف موضع قبره؟ قالوا: عجوز من بني إسرائيل. فبعث إليها، فأتت، فقال: دليني على قبر يوسف، قالت: حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟ قالت: أكون معك في الجنة. فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة فقالت: انضبوا هذا الماء. فأنضبوه، فقالت: احتفروا. فاحتفروا، فاستخرجوا

(١) انظر ـ مثلاً ـ: سورة الأعراف، وسورة طه، وسورة الشعراء، وسورة القصص.

(٢) خروج (١٢ : ٣٧)، والبداية والنهاية، (١/ ٢٥٣)، للحافظ ابن كثير.

(٣) خروج (١٢ : ٤٠). وذكر الحافظ ابن كثير أن مدة بقائهم في مصر أربعمائة وست وعشرون سنة شمسية، المرجع السابق.

عظام يوسف، فلما ألقوه إلى الأرض فإذا الطريق مثل ضوء النهار)[(١)].

علم فرعون بخروج بني إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام، فلحق بهم هو وجنوده حتى تراءى الجمعان عند ساحل البحر، فأمر الله - تعالى - موسى - عليه السلام - أن يضرب البحر بعصاه، فانفلق[(٢)]، فسار عليه موسى - عليه السلام - وأتباعه، وتبعهم فرعون وجنوده، فلما تكامل خروج موسى وأتباعه، وتكامل دخول فرعون وجنوده؛ عادت أمواج البحر فغرقوا جميعاً.

وهذه الأحداث ذكرها الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز، قال - تعالى -: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه - كما في الموارد - في كتاب الأدعية، باب فيمن همته للآخرة، ص ٦٠٣، ٦٠٤، رقم (٢٤٣٥). والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، (٢/ ٤٣٩)، رقم (٣٥٢٣)، عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي. وأورده أيضاً في كتاب التاريخ (٢ / ٥٧٢)، ص٦٢٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي. وذكره ابن حجر في المطالب العالية في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (يعقوب ويوسف) (٣ / ٢٧٣، ٢٧٤)، وعزاه لأبي يعلى. وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الأدعية باب (الحث على طلب الجنة) (١٠ / ١٧٠، ١٧١) عن أبي موسى الأشعري، ثم قال: رواه الطبراني وأبو يعلى.

(٢) المنهج اللاديني - العلماني - للدراسات التاريخية - الذي يعنى بالأسباب والمسببات - يلجأ أتباعه إلى تعليل الحوادث تعليلاً يناسب منهجهم، فالبنسبة إلى انفلاق البحر لموسى وأتباعه، يرون أن ما حدث كان نتيجة لهزات أرضية عنيفة وزلزال تصادف، مهد طريقاً لبني إسرائيل فعبروا خليج العقبة. بينما يقوم المنهج الديني للدراسات على الإيمان بالمعجزات؛ باعتبارها طبيعة الرسالات وهو ما جاء في (القرآن الكريم) و (الحديث الشريف)، وكذلك العهد القديم والجديد على الرغم من تحريفهما. انظر: اليهودية، ص ٧٣، د. أحمد شلبي، والعنصرية اليهودية، (١ / ١٨٥)، د. أحمد بن عبد الله الزغيبي.

كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥٢ - ٦٧]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ١٦ - ٢٤].

كانت نجاة موسىٰ ـ عليه السلام ـ ومن معه، وهلاك فرعون ومن معه من الكفار في اليوم العاشر من شهر الله المحرم (يوم عاشوراء)، حوالي عام ١٢٢ ق. م[(١)].

ولهذا كان اليهود يصومون ذلك اليوم، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بصيام ذلك اليوم مع مخالفة اليهود بصيام يوم قبله أو يوم بعده، فقد روىٰ البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (قدم النبي ﷺ المدينة فرأىٰ اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجىٰ الله بني إسرائيل من عدوهم صامه موسىٰ. قال: أنا أحق بموسىٰ منكم. فصامه وأمر بصيامه)[(٢)].

---

(١) العنصرية اليهودية، (١/ ١٨٥)، د. أحمد عبد الله الزغيبي.

(٢) رواه البخاري: في كتاب الصيام، باب صيام يوم عاشوراء (٢ / ٥٨)، ح (٢٠٠٤)، ومسلم: في كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء (٢/ ٧٩٥)، ح (١٢٧)، (١١٣٠). وفي رواية عند مسلم عن ابن عباس فيها: (هذا يوم عظيم)، (٢/ ٧٩٦) الباب نفسه والكتاب نفسه.

قال الحافظ ابن حجر: «يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو مقتضىٰ الاشتقاق والتسمية، وقيل هو اليوم التاسع، فعلىٰ الأول فاليوم مضاف لليلته الماضية، وعلىٰ الثاني هو مضاف لليلته الآتية، وقد قال ﷺ: (لئن بقيت إلىٰ قابل لأصومن التاسع. فمات قبل ذلك عليه الصلاة والسلام)، فإنه ظاهر في أنه ﷺ كان يصوم العاشر، وهمّ بصوم التاسع فمات قبل ذلك، ثم ما همّ به من صوم التاسع يحتمل معناه أنه لا يقتصر عليه بل يضيفه إلىٰ اليوم =

وبعد أن نجى الله موسى ـ عليه السلام ـ ومن معه من فرعون وقومه ؛ بدأت

=العاشر ؛ إما احتياطاً له ، وإما مخالفة لليهود والنصارى وهو الأرجح . ولأحمد من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعاً (صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود ، صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده) .
وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب : أدناها أن يصام وحده ، وفوقه أن يصام التاسع معه ، وفوقه أن يصام التاسع والحادي عشر ، والله أعلم . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : (كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء ، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر) .
وفرض رسول الله ﷺ صيام يوم عاشوراء أول قدومه إلى المدينة ، ولا شك أن قدومه كان في ربيع الأول ، فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية ، وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان ، فعلى هذا لم يقع الأمر بصيام عاشوراء إلا في سنة واحدة ، ثم فوّض الأمر في صومه إلى رأي المتطوع . ونقل ابن عبد البر الإجماع على أنه ليس بفرض ، والإجماع على أنه مستحب» . انظر : فتح الباري ، (٤/ ٢٨٨ـ٢٨٩) . المكتبة السلفية .
وفضله عظيم ؛ حيث قال رسول الله ﷺ : (صيام يوم عاشوراء ؛ أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله) ، صحيح مسلم بشرح النووي ، (٨/ ٤١) كتاب الصيام ، باب : استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس ، رقم ١٩٦ـ(١١٦٢) .
وعن أحاديث يوم عاشوراء قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين : (وفي هذا دليل على أن التوقيت كان في الأمم السابقة بالأهلة ، وليس بالشهور الإفرنجية ؛ لأن الرسول ﷺ أخبر بأن اليوم العاشر من محرم هو اليوم الذي أهلك الله فيه فرعون وقومه ، ونجى موسى وقومه) . انظر : الشرح الممتع ، (٦/ ٤٧١) .
ويؤيد كلام فضيلة الشيخ ابن عثيمين أنه جاء في سفر الخروج الإصحاح ١٢ من ١ إلى ٣ : (وكلّم الربُ موسى وهارون في أرض مصر قائلاً هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور ، هو لكم أول شهور السنة ، كل جماعة بني إسرائيل قائلين في العاشر من هذا الشهر) .
ولهذا اليوم عند اليهود مكانة عالية ، فهو عندهم عيد يحتفلون به ، وكما مر معنا في الحديث السابق الذي رواه البخاري ومسلم ؛ أن النبي ـ عليه السلام ـ لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله فيه بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . فقال ـ عليه السلام ـ : أنا أحق بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه) . وتسمي اليهود هذا اليوم (عيد الفصح) أو (الفَسح) أي العبور ، نسبة إلى عبور موسى ـ عليه السلام ـ وبني إسرائيل البحر ، ونجاتهم من فرعون وقومه ، في أثناء خروجهم من مصر ، وهو أيضاً عيد الربيع عند اليهود ففيه احتفالات بالربيع ، وكان الشهر الذي يقع فيه يسمى في التوراة شهر (أبيب) ، وهي كلمة معناها الربيع ، وهو غير شهر (أبيب) من شهور السنة القبطية الفرعونية ، فهذا يقع في فصل الصيف . وفي شهر (أبيب) تزامن خروج موسى وقومه من مصر وخلاصهم من ذل =

رحلتهم إلى الأرض المباركة (فلسطين). وفي أثناء هذه الرحلة حصلت مواقف بين موسى ـ عليه السلام ـ وقومه، تدل على أن بعض بني إسرائيل قوم عصاة قساة القلوب، استمرؤوا مخالفة شرع الله سبحانه وتعالى، والبعد عن المنهج القويم المتمثل في طاعة الله سبحانه وتعالى، وطاعة رسوله الكريم عليه السلام، حتى

= واستعباد فرعون لهم، ومن هنا جاء اختيار بعض المستعربين من علماء اليهود، مثل «سعديا الفيومي»، أن يسموا هذا العيد بعيد (الفسح) أي الفرج بعد الضيق، ويمثل هذا العيد أكثر الأعياد أهمية عند اليهود.

وأول أيامه الخامس عشر من شهر نيسان (أبريل) من كل عام، ويستمر سبعة أيام في فلسطين، وثمانية أيام عند اليهود المقيمين خارجها، ويسبق هذه الأيام يوم الاستعداد، وهو اليوم الرابع عشر من نيسان.

أهم ميزات هذا العيد:

١ ـ إقامة محفل مقدس يمتنعون فيه عن العمل في أول أيام هذا العيد وآخره.

٢ ـ ممارسة الطقوس المقررة لهذا العيد حسب نصوص شريعتهم، ومنها قراءة متدبرة لقصة الخروج في العهد القديم، واستعمال أطقم طعام جديدة لتهيئة الطعام والأكل؛ بناءً على أن الأدوات المستعملة نجسة. ووضع خمسة أقداح من النبيذ على المائدة، واستخدام أربعة منها فقط مع تلاوة الأدعية والصلوات لذلك، وترك القدح الخامس دون استخدام على أساس أنه للنبي (إيلياء) الذي سينزل من السماء قبل قدوم المسيح المنتظر، وغيرها من الطقوس.

٣ ـ أكل الفطير طيلة أيام هذا العيد. ولهذا يسمى هذا العيد بعيد الفطير، وبالعبرية (حج همّصوت)؛ لأن طقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطري لا يدخله الملح ولا الخميرة؛ تذكيراً بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا فراغ البال للتأنق في الخبز والانتظار على العجين حتى يختمر. وقد ارتبطت مسألة تناول خبز الفطير هذا بامتزاجه بدماء بشرية في هذا العيد. ومن أشهر الحوادث في قتل الناس غير اليهود واستخدام دمائهم سائلاً يعجنون به فطير عيد الفصح حادثة حصلت في ٦/ ٢/ ١٨٤٠م، وفيها قتل اليهود أحد الرهبان الكاثوليك من الرعايا الإيطاليين بدمشق واسمه (توما) وخادمه (إبراهيم عماد)، وأخرج الدم منهما لاستخدامه في هذا العيد. انظر في عيد الفصح ـ الفطير ـ: خروج ١٢، اللاويين ٢٣، تثنية ١٦، والكنز المرصود في قواعد التلمود، ص١١٣ وما بعدها، والفكر الديني اليهودي ص١٨٠ ـ ١٨٩، د. حسن ظاظا، واليهودية عرض تاريخي، ص ١٣٨ ـ ١٤٠، د. عرفان عبد الحميد فتاح، والعنصرية اليهودية، (٣/ ٥١٥)، د. أحمد الزغيبي، ومن اليهودية إلى الصهيونية ص ١٦٤ ـ ١٦٦، ١٧٠ ـ ١٧١، د. أسعد السحمراني. اليهودية في أسفارها المقدسة، ص ٢١٩ ـ ٢٢١، د. إبراهيم محمد إبراهيم، واليهود تاريخ وعقيدة، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢، د. كامل سعفان.

يمكن أن يقال: إن بعض بني إسرائيل تجمع (حول موسى وهم بمصر، لا كرسول ولكن كقائد وزعيم يرجى على يده الخلاص من استعباد فرعون وقومه، ولذلك لم يكادوا يتحققون من نجاتهم من فرعون حتى شغبوا على موسى عليه السلام، لما أفقدهم حياة الرخاء بمصر وجاء بهم إلى البرية التي فقدوا بها ما كانوا ينعمون به في مصر من خيرات، فالحرية عندهم لم يكن لها جزاء، ولهذا صاحوا به وبأخيه هارون)[١].

وفيما ترويه أسفار العهد القديم: (فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية. وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع)[٢]، (وعَطِش هناك الشعب إلى الماء، وتذمر الشعب على موسى وقالوا: لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش)[٣].

أنعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ على بني إسرائيل بنعم كثيرة[٤] ـ على الرغم من كفر بعضهم وعنادهم ـ لعلهم يرجعون، ولكنهم نكلوا عن إجابة داعي الله ـ تعالى ـ حين طلب منهم موسى ـ عليه السلام ـ بطلب الله ـ أن يدخلوا أرض فلسطين المقدسة.

ولقد عرض القرآن الكريم هذه الحادثة عرضاً مليئاً بالدلالات والدروس والعبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ

---

(١) اليهودية، ص ٧٦، د. أحمد شلبي.

(٢) خروج (١٦ : ٢ ـ ٣).

(٣) خروج (١٧ : ٣).

(٤) انظر: سورة البقرة: الآيات من ٤٧ إلى ٦٠، وسورة المائدة: آية ٢٠.

الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠ – ٢٦][(١)].

وفاة موسى عليه السلام:

توفي هارون ـ عليه السلام ـ قبل موسى عليه السلام، ولم يرد ذكر وفاته في القرآن ولا في السنة النبوية ـ على حد علمي وسؤالي ـ، ولكن جاء في أسفار العهد القديم: (فصعد هارون إلى جبل هور حسب قول الرب، ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس في الأول من الشهر، وكان هارون ابن مائة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور)[(٢)].

توفي موسى ـ عليه السلام ـ بعد فترة من موت هارون عليه السلام، ولم يدخل ـ عليه السلام ـ الأرض المقدسة مع بني إسرائيل، مات قبل ذلك. وذكرت السنة النبوية خبر وفاته ـ عليه السلام ـ، وما حصل بينه وبين ملك الموت.

روى البخاري ومسلم بالسند إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: (أُرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكّه[(٣)]، فرجع إلى ربه فقال:

---

(١) انظر: من ص ٢٧٧ من هذا البحث.

(٢) عدد (٣٣: ٣٨ـ٣٩).

(٣) (صكه): قال الحافظ ابن حجر: «أي ضربه على عينه، وفي رواية همام عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عند أحمد ومسلم: (جاء ملك الموت إلى موسى فقال: أجب ربك. فلطم موسى=

أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع، فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة. قال: أي ربي، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل اللهَ أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال: قال رسول الله ﷺ: «فلو كنتم ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»)[1].

يوشع بن نون عليه السلام:

بعد وفاة موسى عليه السلام، استلم يوشع بن نون ـ عليه السلام [2]ـ زمام

= عين ملك الموت ففقأها)، وفي رواية أبي عمار عن أبي هريرة عند أحمد والطبري: (كان ملك الموت يأتي الناس عياناً، فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه)»، فتح الباري، (٦ / ٥٠٩).
وقال الإمام النووي: «قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكروا تصوره. قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟ قال: وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة، منها:

أ ـ أنه لا يمتنع أن يكون موسى ـ عليه السلام ـ قد أذن الله ـ تعالى ـ له في هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحاناً للملطوم، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يفعل في خلقه ما شاء، ويمتحنهم بما أراد.

ب ـ أن موسى ـ عليه السلام ـ لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه، فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه، لا أنه قصدها بالفقء. وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه، فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت. فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت، فاستسلم بخلاف المرة الأولى، والله أعلم»، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٥/ ١٠٥)، رقم (١٥٨)، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ـ عليه السلام ـ. مكتبة الباز.

(١) رواه البخاري في الصحيح في كتاب الجنائز، باب: من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، برقم (١٣٣٩)، طرفه في (٣٤٠٧) (١/ ٤١٠)، ومسلم في الصحيح في كتاب الفضائل، باب فضائل موسى عليه السلام، (٤/ ١٨٤٢)، برقم (٢٣٧٢)، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٢) يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ، انظر: البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، (١ / ٢٩٧)، وقد ذكره الله ـ تعالى ـ في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٠]، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٢]، كما جاء ذلك في حديث البخاري عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن فتى موسى ـ عليه السلام ـ هو يوشع ابن نون، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، برقم =

الأمر في بني إسرائيل، وفي وقته كانت الظروف قد تهيأت له في دخول الأرض المباركة، حيث إن ذلك الجيل الجبان الذي تربى على الذل والعبودية في مصر، والذي خذل موسى عليه السلام، وامتنع عن الجهاد في سبيل الله لتحرير أرض الله من أيدي الوثنيين؛ قد انقرض وانتهى في فترة التيه التي كتبها الله عليهم عقاباً لهم. وجاء الله بجيل آخر مسلم مجاهد في سبيل الله، قاده النبي يوشع بن نون لتحرير أرض المقدس، مصداقاً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [**محمد**: ٣٨]. وكان موسى ـ عليه السلام ـ عند موته أوصى يوشع ابن نون بالصبر والشجاعة في الجهاد حتى يفتح الله على يديه، كما جاء في الرواية اليهودية[١].

وجاء في الرواية اليهودية أن يوشع بن نون تلقى الأوامر من الرب لمواصلة الجهاد والدخول إلى الأرض المقدسة[٢].

فكان عصر يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ عصر الانتصارات لبني

= (٣٤٠٠) (٢/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥)، وهو ـ عليه السلام ـ متفق على نبوته عند المسلمين بناء على ما بينه الرسول ﷺ في أن نبياً من أنبياء الله حُبست له الشمس حتى غزا، ثم ذكر ـ عليه السلام ـ هذا النبي فقال: «يوشع بن نون». انظر تخريج الحديث ص ٣٣، ٣٤، وكما ورد في الرواية اليهودية أن موسى ـ عليه السلام ـ عين يوشع خليفة له باختيار الرب له، (فكلم موسى الرب قائلاً: ليوكل الرب... رجلاً على الجماعة... فقال الرب لموسى: خذ يشوع بن نون رجلاً فيه رُوحٌ وضع يدك عليه... واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل)، عدد (٢٧: ١٥ ـ ١٦ ـ ١٨ ـ ٢٠). (ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة؛ إذ وضع موسى ـ عليه السلام ـ يديه فسمع له بنو إسرائيل، وعملوا كما أوصى الرب موسى)، تثنية (٣٤: ٩).

ويسميه أهل الكتاب (يشوع)، لأنه على ما ورد في أسفارهم أن موسى ـ عليه السلام ـ غير اسمه من (هوشع) إلى (يشوع)، عدد (١٣: ١٦)، وأهل الكتاب متفقون على نبوته، حتى طائفة السامريين الذين لا يقرّون بنبوة أحد بعد موسى ـ عليه السلام ـ إلا بنبوة يشوع بن نون. انظر: السامريون اليهود، ص ١٢٨، د. سيد فرج.

(١) تثنية (٣١: ٧ ـ ٨).

(٢) يشوع (١: ١ ـ ٢).

إسرائيل[١]، فانطلق - عليه السلام - ومن معه نحو بلاد الشام ودخل الأرض المباركة بفضل من الله تعالى[٢].

---

(١) قيل إن يوشع بن نون دخل أرض فلسطين حوالي القرن الثالث عشر ق. م، فقيل عام ١٢٦٠، وقيل ١٢٥٠، وقيل ١١٨٦، وقيل ١٢٢٠، وقيل عام ١١٨٠، وقيل في القرن الرابع عشر ق. م، فتحديد التاريخ لهذا الحدث غير متفق عليه، لعدم ذكره في المصادر الدينية الصحيحة، ولعدم تدوينه من قبل المؤرخين الأقدمين تدويناً متفقاً عليه. انظر: أديان وفرق، ص٢٠، د. أمين القضاة وجماعة، والتاريخ اليهودي العام، ص١١١، د. صابر طعيمة، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (١/ ١٩٤)، د. فيليب حتى، وفلسطين تأريخاً ونضالاً، ص ١٤، نجيب الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، ص ٣٤، ظفر الإسلام خان، والعنصرية اليهودية، (١/ ١٩١)، د. أحمد الزغيبي.

(٢) لقد طعن كثير من المؤرخين والباحثين في التاريخ اليهودي من المستشرقين والعرب الكفرة ومن تبعهم من المسلمين في النبي يوشع (يشوع) عليه السلام، ووصفوه بأوصاف من الوحشية والقتل وسفك الدماء وتدمير المدن مما يتنزه عنه أكثر البشر إجراماً، وصفوه بهذه الصفات الوحشية والانتقامية بناء على ما جاء في التوراة الحالية المحرفة، انظر: يشوع، الإصحاحات (٦ـ١٢).
والمطلع على التوراة الحالية المقدسة عندهم في هذا الزمان يرى أن اليهود لم يراعوا لأنبياء الله حرمة، ولا يعتقدون فيهم العصمة، بل كانوا يكفرون بهم ويؤذونهم، ويرمونهم بعظائم الأمور من الصفات القبيحة والخصال الشنيعة، ويصورون عيش بعضهم كعيش أحط الناس في أدنى درجات الكمال الإنساني، بل إنهم - في زعمهم - يرتكبون من الخطايا والذنوب والجرائم والآثام ما يرتكبه أحط الناس وأسفلهم. وقد اعتدوا على فريق من أنبياء الله بالقتل غير مبالين بغضب الله وسخطه.
انظر في موقف اليهود من الأنبياء: اليهودية في أسفارها المقدسة، من ص ١٨١، د. إبراهيم محمد إبراهيم. وللتوسع انظر رسالة الدكتوراه: بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، الجزء الثاني، الباب الثالث بأكمله - تفصيلاً وتتبعاً، لفضيلة الشيخ د. عبد الشكور محمد أمان العروسي، بالآلة الكاتبة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة - قسم العقيدة، وأثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، المبحث الثاني من الباب الأول، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى، بالآلة الكاتبة، د. عطا الله المعايطة.
ويوشع بن نون - عليه السلام - لحقه من قدح اليهود له ما لحق أنبياء بني إسرائيل بل أكابر أنبيائهم كيعقوب وموسى عليهما السلام. والغريب في هذا صنيع الباحثين المسلمين في موافقتهم لأكاذيب العهد القديم في يوشع - عليه السلام - وغيره من الأنبياء، كيف وهؤلاء الباحثون المسلمون يعلمون مكانة الأنبياء عند الله سبحانه وتعالى، وأنهم أفضل البشر على الإطلاق وأخيرهم، وأن الله اصطفاهم دون البشر ليوحي إليهم، وأنهم قدوة البشر، وأمرنا الله - تعالى - =

وقد ورد في السنة النبوية ذكر لهذه الفتوحات والانتصارات، روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: (غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بُضعَ امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمّا يبن بها، ولا أحد بنىٰ بيوتاً ولم يرفع سُقُوفَها، ولا آخر اشترىٰ غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها. فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا. فحُبست حتىٰ فتح الله عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت ـ يعني النار ـ لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً، فليُبايعني من كل قبيلة رجل. فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك. فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول. فجاؤوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحلّ الله لنا الغنائم، رأىٰ ضعفنا وعجزنا فأحلّها لنا)(١).

وفي رواية أبي عبد الله الحاكم، بعد ذكر الحديث، قال كعب: (صدق الله ورسوله، هكذا والله في كتاب الله ـ يعني في التوراة ـ. ثم قال: يا أبا هريرة، أَحدَّثكم النبي ﷺ أي نبي كان؟ قال: لا. قال كعب: هو يوشع بن نون. قال: فحدَّثكم أي قرية هي؟ قال: لا. قال: هي مدينة أريحاء(٢).

= بالتأسي بهم وطاعتهم، وحذرنا من مخالفتهم، فهم أكمل البشر خَلقاً وخُلقاً، وأرجحهم عقلاً، وأوفرهم ذكاء، وأطهرهم قلباً، وأشجعهم نفساً، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، فكيف بهؤلاء الباحثين المسلمين يتركون هذه المسلمات في عقيدتهم الإسلامية حول رفعة الأنبياء وطهرهم ورحمتهم بالبشر، ويذهبون إلىٰ ما قالته عنهم هذه التوراة المحرفة الحاقدة الحاسدة المبنية علىٰ خيالات قصاص اليهود الحاقدين الحاسدين!!

(١) رواه البخاري في الصحيح، باب قول النبي ﷺ: (أحلت لكم الغنائم)، (٢/ ٣٩٤)، برقم (٣١٢٤)، وطرفه في (٥١٥٧)، ورواه مسلم في الصحيح، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، (٢/ ١٣٦٦)، برقم (٣٢ـ١٧٤٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب قسم الفيء، (٢/ ١٥١)، رقم (٢٦١٨)، وقال: هذا حديث غريب صحيح ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح غريب. وفيه مبارك بن=

هكذا قال كعب الأحبار، والصحيح أنها مدينة بيت المقدس، لما ورد عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة - رضي الله عنه - أنه - عليه السلام - قال: (إن الشمس لم تُحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس)(١).

(ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس؛ استمروا فيه وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة، حتى قبضه الله إليه، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة)(٢).

اليهود في فلسطين:

يجب أن يعي المؤمنون بالله أن أساس التمكين والتكريم والتفضيل عند الله

= فضالة بن أبي أمية، قال عبد الله بن أحمد: سألت ابن معين عنه، فقال: ضعيف الحديث. ومرة وثقه فيما رواه عنه ابن أبي خيثمة. وقال ابن المديني: هو صالح وسط. وقال أبو زرعة: يدلس كثيراً، فإذا قال: (حدثنا) فهو ثقة. وقال النسائي: ضعيف. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن أبي حاتم: هو مقبول. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر، (١٠/ ٣٠)، وقال ابن حجر في التقريب: (صدوق يُدلس ويُسوِّي)، ص ٥١٩، تحقيق: محمد عوامة. وقال د. عبد الله الشقاري: (ومتن الحديث ثابت من طرق أخرى، فهو صحيح لغيره)، اليهود في السنة المطهرة (١/ ٩٠).

(١) رواه أحمد في المسند عن أبي هريرة، (٢/ ٣٢٥).
وقال الحافظ ابن كثير بعد سياقه لهذا الحديث: «انفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط البخاري، وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون - عليه السلام - لا موسى - عليه السلام -، وأن حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا أريحا كما زعم أهل الكتاب، لأن فتح بيت المقدس هو المقصود الأعظم، وفتح أريحا كان وسيلة إليه، والله أعلم». انظر: البداية والنهاية، (١/ ٣٠١).
انظر في زعم أهل الكتاب أن يوشع فتح أريحا: أسفار العهد القديم، يشوع (١ : ٦-٦).
ومما يؤيد كلام الحافظ ابن كثير ما أثبته علم الآثار في أن مدينة أريحا قد دمرت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ومعنى هذا على حسب تاريخ ابتداء يوشع في الدخول إلى الأرض المباركة أنها لم تكن موجودة في عهد يوشع بن نون عليه السلام. انظر: ملف إسرائيل، ص ٩٠، جارودي، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص ٦٨، د. محمد البار.

(٢) البداية والنهاية، (١/ ٣٠٣)، للحافظ ابن كثير.
وجاء في أسفار العهد القديم: (أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين، فدفنوه في تخم ملكه في تمنة سارح التي في جبل أفرايم) يعني نابلس. يشوع (٢٤: ٢٩-٣٠).

هو الإيمان والعمل الصالح، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[الحجرات: ١٣].

مكّن الله لبني إسرائيل في الأرض المباركة، وهذا التمكين لم يكن لأنهم أبناء إسرائيل عليه السلام، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يتفضل على أحد من أجل حسبه أو نسبه أو شكله أو لونه، إنما تفضل الله عليهم ومكن لهم لأنهم كانوا أصلح الناس في زمانهم، وكانوا أهل توحيد وعبادة لله ـ تعالى ـ وسط أقوام وقبائل من المشركين والكافرين، ومن سنن الله في الأرض أن ينصر المؤمنين الصادقين ـ حال كونهم كذلك ـ على أعدائهم الكافرين. فإن رأيت أهل الإيمان ممكّناً لهم في أرض الله؛ فاعلم أن هذا بسبب إيمانهم وتقواهم، وإن رأيتهم غير ذلك؛ فاعلم أن هذا بسبب بعدهم عن صراط الله المستقيم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨](١).

وبعد يشوع ـ عليه السلام ـ بقي بنو إسرائيل مؤهلين للإقامة في الأرض المباركة؛ لأنهم ما زالوا في طاعة الله إجمالاً، وإن كانت هناك بعض السقطات والتجاوزات، فلما سرى فيهم داء الكفر والشرك والبعد عن صراط الله المستقيم، من قتل وتكذيب الأنبياء، كتب الله عليهم الطرد عن الأرض المباركة، ونكل بهم أعداؤهم من الوثنيين، وحصل لهم السبي والمهانة.

فتاريخ بني إسرائيل من بعد يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ إلى السبي البابلي

---

(١) ومن منطلق هذه الآية الكريمة؛ يجب أن تعي الشعوب والحكومات الإسلامية وشعوبها أنها لن تستطيع تحرير المسجد الأقصى وأرض فلسطين من اليهود الكافرين إلا بالعودة إلى صراط الله المستقيم، وتحكيم شرع الله ـ سبحانه وتعالى ـ على جميع الأصعدة، وفي جميع المجالات الداخلية والخارجية.

مر بثلاث مراحل، وهي[١] :

المرحلة الأولى: عهد القضاة.

المرحلة الثانية: عهد الملوك الأول.

المرحلة الثالثة: عهد التدهور والانقسام الذي أدى إلى زوال ملك بني إسرائيل من فلسطين، ويسمى عهد الملوك الثاني.

المرحلة الأولى: عهد القضاة:

هذه الفترة أول فترة في تاريخ بني إسرائيل بعد موت يوشع بن نون عليه السلام، سميت بعهد القضاة[٢]، وهم عبارة عن زعماء وقادة وشيوخ عشائر ورجال حرب ينتخبهم كبار الشعب حكاماً لبني إسرائيل إذا ألمت بهم الأخطار المحدقة، حيث إنه لم يكن في بني إسرائيل ملوك في تلك الأيام، بل كان كل إنسان يفعل ما يراه هو حقاً، ولم يكونوا خلفاء بعضهم لبعض، فقد يكون هناك أكثر من واحد في وقت واحد[٣].

---

(١) وقيل إن هذه الفترة ممتدة من (١١٥٣ ق.م) تاريخ وفاة يوشع بن نون، إلى (٥٨٦ ق.م) سقوط مملكة يهوذا على يد البابليين. وقيل من (١١٢٥ ق.م) إلى (٥٨٦ ق.م)، وقيل من (١١٣٠ ق.م) إلى (٥٣٨ ق.م).
انظر: العنصرية اليهودية، د. أحمد الزغيبي، (١/ ١٩٢، ٢٠٩)، والعرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص ٥٣٨، ٥٧٦، واليهودية، أحمد شلبي، ص ٨١، ٩٣.

(٢) قيل إن هذه الفترة استمرت قرنين من الزمان في بعض الآراء، وقرابة أربعة قرون إن نحن اعتمدنا على نصوص سفر القضاة من العهد القديم. وقيل استمرت حوالي قرن كامل بين سنة ١١٢٥ و ١٠٢٥ ق.م.
انظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٢٢ ـ ١٢٣، ومصر والشرق الأدنى القديم، (٣/ ٣٢٥)، العرب واليهود في التاريخ، ص ٥٣٨، واليهودية، ص٨١.

(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٢٢، واليهودية، ص٨٠، وقصة الحضارة، مجلد ١، ج٢/ ص٣٣٠، مصر والشرق الأدنى القديم، (٣/ ٣٢٥)، واليهود في شبه الجزيرة العربية، ص٢٦، واليهودية عرض تاريخي، ص٣٥.

وجاء في الرواية اليهودية: «وأقام الربُّ قضاةً فخلصوهم من يدي ناهبيهم»[١]، وهؤلاء تزعموا بني إسرائيل بعد يوشع عليه السلام[٢].

ويتبين من خلال قراءة هذا السفر ـ سفر القضاة ـ أنه عرض لسيرتهم وأحوالهم وما أصابهم من النكبات، وضعف فيه حكم بني إسرائيل على الأرض المقدسة؛ مما جعلهم في معارك دائمة ضد الوثنيين من أهل فلسطين، وأنهم امتزجوا امتزاجاً عظيماً بهم. ويبين أيضاً أن هذا العهد من أسوأ عهود بني إسرائيل، ففيه انتشرت بينهم شتى الرذائل والمنكرات، حتى إن بعضهم عبد الأصنام، وقتل الصالحين، وانتشر فيهم الزنا وغيره من الذنوب.

وكان آخر قضاة بني إسرائيل هو صموئيل بن القانة[٣]، فأصلح ما أمكن إصلاحه من فساد بني إسرائيل، وأمرهم بالرجوع إلى الرب وترك عبادة الأصنام[٤].

---

(١) قضاة (٢: ١٦).

(٢) وهؤلاء القضاة ـ اسمهم في العبرية شوفطيم (شوفيط) ـ عددهم سبعة عشر، وقيل ستة عشر، وقيل خمسة عشر، وقيل أربعة عشر، وقيل اثنا عشر قاضياً. وقيل إن سبب الاختلاف في عددهم أنه قد يكون في وقت واحد أكثر من قاض واحد في بني إسرائيل. وهم: (عثنيئيل بن قاز) من سبط يهوذا، (إهود بن جيرا) من سبط بنيامين، (شمجر بن عناة)، (دبورة) من سبط أفرائيم، ومعها بارق بن ابينوعم، (جدعون بن يواش الأبيعزري) من سبط منسي بن يوسف، (ابيمالك بن جدعون) (ابن يدبعل)، (تولع بن فواة بن دودو) من سبط يساكر، (يائير الجلعادي)، (يفتاح الجلعادي)، (إبصان البيتلحمي)، (أيلون الزبولوني) من سبط زبولون، (عبدون بن هليل الفرعتوني)، (شمشون بن منوح الداني)، (عالي الكاهن)، (صموئيل بن القانة)، (بوئيل بن صموئيل)، (ابيا بن صموئيل).

انظر: قضاة (١ ـ ٢١). صموئيل الأول (١ ـ ٨). وانظر: بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، (١ / ٢١٨ ـ ٢٢٧)، د. عبد الشكور العروسي، والعنصرية اليهودية (١ / ١٩٣)، د. أحمد عبد الله الزغيبي، بنو إسرائيل والعبرية الحديثة، ص٩٧ ـ ٩٨، علي رؤوف سيد مرسي، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص٣٥٥، عجاج نويهض، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص ٧٣ ـ ٧٤، د. محمد البار، واليهودية في أسفارها المقدسة، ص ٥٢، د. إبراهيم محمد إبراهيم.

(٣) وصموئيل هذا نبي من أنبياء بني إسرائيل، لإشارة القرآن الكريم إليه بذلك دون أن يذكر اسمه في قصة اختياره لـ (طالوت) ملكاً على بني إسرائيل، سورة البقرة آية ٢٤٦، البداية والنهاية، المجلد الأول الجزء الثاني، ص ٦.

(٤) صموئيل الأول، الفصلان الثاني والسابع.

وفي هذه الفترة تعرض أيضاً بنو إسرائيل لحرب الوثنيين من أهل فلسطين، ولعل هذا هو السبب في طلب بني إسرائيل من صموئيل أن يدعو الله لهم ليرسل لهم ملكاً يقودهم للجهاد في سبيل الله، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦ - ٢٤٨].

وفي هذه الأثناء بدأت مرحلة أخرىٰ من تاريخ بني إسرائيل في فلسطين، وهي التي سماها المؤرخون: مرحلة عهد الملوك الأول.

المرحلة الثانية: عهد الملوك الأول:

تولىٰ علىٰ بني إسرائيل في هذه الفترة القوية من تاريخهم الملك طالوت، والنبيان الكريمان داود وابنه سليمان عليهما السلام[1].

أ ـ عهد الملك طالوت[2]:

خلال حكمه قاد بني إسرائيل إلىٰ كثير من المعارك ضد أعدائهم، وكان من

(١) فترة هذا العهد قيل إنها من سنة ١٠٩٥ ق.م إلىٰ ٩٧٥ ق.م، وقيل إنها من سنة ١٠٢٠ ق.م إلىٰ ٩٢٢ ق.م، وقيل من ١٠٣٠ ق.م إلىٰ ٩٣٠ ق.م. انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص ٣٣، د. محمد سيد طنطاوي، وبنو إسرائيل والعبرية الحديثة، ص ١٠٣، علي رؤوف سيد مرسي، والعنصرية اليهودية، (١/ ٩٥، ٩٩)، د. الزغيبي.

(٢) يسميه العهد القديم (شاول)، انظر: اسمه وقصة اختياره ملكاً علىٰ بني إسرائيل في الفصلين التاسع والعاشر من سفر صموئيل الأول.

أبرز الحوادث في زمن طالوت حربه ضد الوثنيين من أهل فلسطين بقيادة جالوت، والذي يسميه العهد القديم بجليات[(١)]، وفي هذه المعركة كان داود - عليه السلام - من ضمن جنود طالوت، فتولى بنفسه - عليه السلام - قتل جالوت، فلمع نجمه في بني إسرائيل، وآتاه الله الملك والحكمة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم مع إشارته للمعركة، قال - تعالى -: ﴿ **فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [**البقرة**: ٢٤٩ - ٢٥١].

ب - عهد النبي داود عليه السلام:

تولى داود - عليه السلام - حكم بني إسرائيل بعد طالوت، وقد آتاه الله الملك والحكمة بعد قتله لجالوت، فملأ أعين الناس وقلوبهم، فضلاً من الله ونعمة، قال - تعالى -: ﴿ **وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ** ﴾ [البقرة: ٢٥١][(٢)].

---

(١) صموئيل الأول الفصل السابع عشر، فيه خبر المعركة بين طالوت وجالوت على حسب الرواية اليهودية.

(٢) وداود - عليه السلام - هو: داود بن يشار بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عوديناذب بن أرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل - عليهم السلام -. انظر: البداية والنهاية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٩، للحافظ ابن كثير. وانظر: فتح الباري، (٦ / ٥٢٣)، وفيه اختلاف في (عويد) ذكره ابن حجر (عوبد)، وفي (عابر) ذكره ابن حجر (باعر)، ولم يذكر نخشون ولا عويناذب، بل ذكر بدلاً عنهما يارب بن رام، وجاء اسمه في الرواية اليهودية: داود بن يسّى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون. . ثم النسب نفسه الذي ذكره الحافظ ابن كثير. انظر: راعوث (٤ : ١٨ - ٢٢).

وكان داود ـ عليه السلام ـ نبياً كريماً، وخليفة صالحاً، وملكاً عادلاً. وبعهده ـ عليه السلام ـ قامت في فلسطين مملكة إسلامية رشيدة [1]، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

ويعتبر عهده ـ عليه السلام ـ العهد الأقوى مع عهد ابنه سليمان ـ عليه السلام ـ في تاريخ بني إسرائيل [2].

وبهذا يتبين لنا أن التمكين في الأرض بالخير والصلاح والحكم الرشيد يكون للمؤمنين الموحدين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

وحقق الله هذا الوعد الرباني لداود عليه السلام، فضلاً من الله ونعمة، وهيأ الله له سبل هذا التمكين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] [3]. وقوى الله ملكه، وجعله منصوراً على أعدائه مهاباً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ [ص: ٢٠] [4].

---

(١) قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، فالإسلام دين الأنبياء جميعاً فهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

(٢) قيل إن مملكته قد بلغت أقصى اتساع لما تملكه بنو إسرائيل، فامتدت من جبل الكرمل وتل القاضي إلى جبل الشيخ شمالاً، وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوباً وإلى الصحراء شرقاً. انظر: تاريخ فلسطين الحديث، ص ١٤، د. الكيالي، واليهود في شبه الجزيرة العربية، ص٢٧، والعنصرية اليهودية، (١ / ١٩٨).

(٣) ومعنى الآية: علمه صنعة الدروع، وإنما كانت الدروع قبله ـ أي قبل داود ـ صفائح، وهو ـ عليه السلام ـ أول من سردها حلقاً لتحصنهم في القتال. انظر: تفسير القرآن العظيم، (٣/ ١٩٦)، للحافظ ابن كثير.

(٤) قال الحافظ ابن كثير: «أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك. وعن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطاناً»، تفسير القرآن العظيم، (٤ / ٣٣).

ج ـ سليمان عليه السلام:

تولى سليمان ـ عليه السلام ـ ملك بني إسرائيل بعد أبيه ـ عليه السلام ـ[١].

في الرواية اليهودية أن داود ـ عليه السلام ـ أوصى بالملك من بعده لابنه سليمان عليه السلام[٢]. وأوصاه بتقوى الله، ولزوم شريعته وتطبيقها[٣].

وقد أشارت السنة النبوية إشارة واضحة لحب سليمان ـ عليه السلام ـ للجهاد، تكمن في بحثه عن تكثير النسل الذي هو وقود الحرب، وعلى أكتافهم تقوم الأمم والحضارات.

روى البخاري ومسلم بسنديهما إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل إن شاء الله. فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهنّ جميعاً، فلم تحمل منهنّ إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وأيم الذي نفس محمد بيده؛ لو قال إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون)[٤].

---

(١) وكان عهده ـ عليه السلام ـ في القرن العاشر قبل الميلاد، واستمر حكمه أربعين سنة مثل أبيه ـ عليه السلام ـ. وكانت مدة حكمه بين: ٩٧٠ و٩٣٠ق.م، وقيل بين ٩٦١و٩٢٢ق.م، وقيل بين ٩٦٣و٩٣٥، وقيل بين ٩٦٣و٩٢٣، وقيل بين ٩٧١ و٩٣١، وقيل بين ٩٦١ ـ ٩٢٢ ق.م، انظر: العرب واليهود في التاريخ، ص٥٤٨ـ٥٥٣، د. أحمد سوسة، والفكر الديني اليهودي، ص٣٨، د. حسن ظاظا، والعنصرية اليهودية، (١/ ١٩٩)، د. أحمد الزغيبي، وبنو إسرائيل والعبرية الحديثة، ص ١٠٨، علي مرسي، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص٨٦، د. محمد علي البار، واليهود في شبه الجزيرة العربية، ص ٢٧، ٢٩، د. محمد أرشيد العقيلي، وفلسطين تاريخاً ونضالاً، ص ١٧ و١٨، نجيب الأحمد، وتايخ سورية، (١/ ٢٠٥)، د. فيليب حتى، واليهودية، ص ٣٧، د. عرفان عبد الحميد، والحضارات السامية القديمة، ص١٤٣، سبتينو موسكاتي.

(٢) الملوك الأول (١: ٣٠ـ٣٩).

(٣) الملوك الأول (٢: ١ـ٤).

(٤) رواه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي ﷺ، (٤/ ٢١٥)، رقم (٦٦٣٩)، ورواه أيضاً في كتاب الجهاد، باب من طلب الولد للجهاد، (٢/ ٣١١)، رقم (٢٨١٩)، وفيه (مائة امرأة أو تسع وتسعين)، ورواه مسلم في الصحيح في كتاب الأيمان، باب الاستثناء، (٣/ ١٢٧٦) بهذا اللفظ، وفي رواية: «ستين»، وفي رواية: «سبعين»، انظر: الموضع نفسه. وللجمع بين هذه الروايات؛ انظر: فتح الباري (٦/ ٥٣١) المكتبة السلفية.

ومن مظاهر رقي الأمة الإسرائيلية المسلمة في عهد سليمان ـ عليه السلام ـ في النواحي العمرانية ؛ تجديده ـ عليه السلام ـ لبيت المقدس .

فقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : (لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً : حكماً يصادف حكمه ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وألا يأتي هذا المسجد أحد يريد الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . فقال النبي ﷺ : أما اثنتان فقد أعطيهما ، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة)[١] .

المرحلة الثالثة: عهد التدهور والانقسام (عهد الملوك الثاني)[٢]:

انقسمت مملكة بني إسرائيل بعد وفاة سليمان ـ عليه السلام ـ إلى مملكتين

---

(١) رواه النسائي في السنن ، كتاب المساجد ، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه ، (٢/ ٣٤) ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وليس فيه (فقال النبي ﷺ : أما اثنتان . . .) . ويقول د. الشقاري : «ورجال إسناده كلهم ثقات مشهود لهم بذلك» (١/ ١١٢) ، اليهود في السنة المطهرة . ورواه ابن ماجه في السنن في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس (١/ ١٥١) ، رقم (١٤٠٨) ، وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف ؛ لأن عبيد الله بن الجهم لا يعرف حاله ، وأيوب بن سويد متفق على ضعفه ، اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي . وقال ابن حجر في التقريب : عبد الله بن الجهم : مقبول . ص ٣٧٠ ، رقم (٤٢٨٢) ، وأيوب بن سويد : صدوق يخطئ . ص ١١٨ رقم (٦١٥) ، تحقيق محمد عوامة . ولم يذكر الألباني هذا الحديث في ضعيف ابن ماجه . ورواه الحاكم في المستدرك ، (١/ ٨٤) ، رقم (٨٣) . وقال : هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة . وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ، ولا أعلم له علة . وقد وافقه الذهبي في التلخيص وقال : على شرطهما ولا علة له . وكذلك ذكره الحاكم في كتاب التفسير ، (٢/ ٤٧١) ، رقم (٣٦٢٤) ، ورواه الإمام أحمد في المسند ، (٢/ ١٧٦) ، وابن خزيمة في صحيحه ، كتاب جماع أبواب الأفعال المباحة في المسجد غير الصلاة ، باب فضل الصلاة في مسجد بيت المقدس ، (٢/ ٢٨٨) ، رقم (١٣٣٤) .

وقد يكون بيت المقدس هو الذي يسميه اليهود (بيت الرب) وهو (هيكل سليمان) عندهم ، انظر في ذلك ص ٢٤٨ ، وما بعدها من هذه الرسالة .

(٢) وهذه المرحلة على حسب الرواية اليهودية ، فإنها ذكرت في الإصحاحات من الثاني عشر من سفر الملوك الأول ـ الثالث إلى نهايته التي تنتهي بالإصحاح الثاني والعشرين ، ثم سفر الملوك الثاني ـ الرابع الذي هو خمسة وعشرون إصحاحاً . ثم من الإصحاح العاشر من سفر أخبار الأيام الثاني إلى نهايته التي تنتهي بالإصحاح السادس والثلاثين . انظر : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص ١٧٥ ، محمد عزة دروزة .

مملكة إسرائيل في الشمال، ومملكة يهوذا في الجنوب[١].

١ ـ مملكة إسرائيل:

تتكون هذه المملكة من عشرة أسباط من الأسباط الاثني عشر في بني إسرائيل، وكانت تشمل القسم الشمالي من فلسطين، وعاصمتها شكيم (نابلس)، واستمرت هذه الدولة من ٩٣٥ ق.م، إلى سنة ٧٢٢ ق.م[٢]،

---

(١) ملوك: أول الفصل الثاني عشر.

(٢) انظر: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (١/ ٢٠٩)، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٧٨، واليهود في شبه الجزيرة العربية، ص ٢٩ ـ ٣٠، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص ٤٢، وفلسطين تاريخاً ونضالاً، ص ١٩، واليهود في السنة المطهرة، (١/ ١١٥)، والعنصرية اليهودية، (١/ ٢٠٢).

أما ملوك هذه المملكة فهم:

١ ـ يربعام بن نباط الإفرائيمي، مدة حكمه ٢٢ سنة، ٢ ـ ناداب بن يربعام، مدة حكمه سنتان، ٣ ـ بعشار بن أخيا، وقد ثار على ناداب بن يربعام وقتله وأباد نسل أبيه وجلس مكانه. وبعشار هذا من سبط يساكر استمر حكمه ٢٤ سنة، ٤ ـ إيلة بن بعشار، مدة حكمه سنتان، ٥ ـ زمري، وقد ثار هذا على إيلة وقتله وأباد نسله وجلس مكانه، ٦ ـ عمري، وقد زحف هذا على زمري وحاصره فأحرق نفسه، وجلس مكانه في الملك، وكانت مدة حكمه ١٢ سنة، ٧ ـ أخاب بن عمري، وفي أيامه تفشى الانحلال الديني والخلقي بشكل واضح في بني إسرائيل، وكانت مدة حكمه ٢٢ سنة، ٨ ـ أخزيا بن أخاب، ومدة حكمه سنتان، ٩ ـ يورام بن أخاب، مدة حكمه ١٢ سنة، ١٠ ـ ياهو بن يهو شافاط، وقد ثار هذا على يورام بن أخاب وقتله وأباد نسله، وكانت مدة حكم ياهو ٧ سنوات، ١١ ـ يهوا حازين ياهو، ومدة حكمه ١٧ سنة، ١٢ ـ يهواش بن يهواحاز، ومدة حكمه ٤١ سنة، ١٣ ـ يربعام بن يهواش، مدة حكمه ٤١ سنة، ١٤ ـ زكريا بن يربعام، ومدة حكمه ستة أشهر، ١٥ ـ شالوم بن يابيش، وقد ثار هذا على زكريا بن يربعام وقتله وجلس مكانه، ومدة حكمه شهر واحد، ١٦ ـ مناحيم بن جاد، وقد ثار هذا على شالوم وقتله وجلس مكانه، ومدة حكمه ١٠ سنوات، ١٧ ـ فقيحا بن مناحيم، ومدة حكمه سنتان، ١٨ ـ فقح بن رمقيا وقد ثار هذا على فقيحا وقتله، وجلس مكانه، مدة حكمه ٢٠ سنة، ١٩ ـ هوشع بن أيله، وقد ثار هذا على فقح وقتله، وقد اعتقل سيرجون الثاني ملك آشور هوشع بن أيله ونفاه مع عدد كبير من أهل مملكته، وجعل هذه المملكة ولاية آشورية.

انظر: أسفار ملوك: أول وثاني، وأسفار أخبار الأيام: أول وثاني، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٧٨ـ ١٨٠، محمد عزة دروزة، والفكر الديني اليهودي، ص ٣٨ ـ ٤٠، د. حسن ظاظا.

وسقطت هذه المملكة على يد الآشوري سرجون الثاني[١].

٢ - مملكة يهوذا:

تنسب هذه المملكة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام، وتتكون من سبطي يهوذا وبنيامين، وكانت تشمل القسم الجنوبي من فلسطين، وعاصمتها أورشليم (القدس)، واستمرت هذه الدولة من سنة ٩٣٥ ق. م، إلى سنة ٥٨٦ ق. م[٢]، وسقطت على يد بختنصر البابلي[٣].

---

(١) سرجون الثاني: اعتلى عرش الدولة الآشورية عام ٧٢١ ق. م، وقيل عام ٧٢٢ ق. م. وهو من أشهر ملوك الدولة الآشورية. بدأت جيوشه بفلسطين فأخضعها، وفتح (السامرة) العاصمة الشمالية، وشرد أهلها وخربها، وأنهى استقلال دولتها، ثم اتجه إلى بابل وآسيا الصغرى فاسترجعها بعد تمردها، وكان ذلك في عام ٧١٠ ق. م. وقد قتل في معركة ضد أعدائه سنة ٧٠٥ ق. م. الشرق الأقصى القديم (مصر والعراق)، (١/ ٥٢٣-٥٢٨)، د. عبد العزيز صالح، والعرب واليهود في التاريخ، ص ١٨٣، د. أحمد سوسة.

(٢) انظر: فلسطين تاريخاً ونضالاً، ص٢٢، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص٤٢، واليهود في شبه الجزيرة العربية، ص٣٠، واليهود في السنة المطهرة، (١/ ١١٥)، والعنصرية اليهودية، (١/ ٢٠٤)، وتاريخ سورية، (١/ ٣١٥).

أما ملوك هذه المملكة فهم:

١ - رحبعام بن سليمان، مدة حكمه ١٧ سنة، ٢ - أبيام بن رحبعام، مدة حكمه ٣ سنوات، ٣ - آسار بن أبيام، مدة حكمه ٤١ سنة، ٤ - يهوشافاط بن آسار، مدة حكمه ٢٥ سنة، ٥ - يهورام بن يهو شافاط، مدة حكمه ٨ سنوات، ٦ - أخزيا بن يهورام، مات قتيلاً، مدة حكمه سنة واحدة، ٧ - عتليا أم أخزيا، ماتت قتيلة، مدة حكمها ٦ سنوات، ٨ - يواش بن أخزيا، مات قتيلاً، مدة حكمه ٤٠ سنة، ٩ - آمصيا بن يواش، مات قتيلاً، مدة حكمه ٢٩ سنة، ١٠ - عزريا ابن آمصيا، مدة حكمه ٥٢ سنة، ١١ - يوثام بن عزريا، مدة حكمه ١٦ سنة، ١٢ - آحاز بن يوثام، مدة حكمه ١٦ سنة، ١٣ - حزقيا بن آحاز، مدة حكمه ٢٩ سنة، ١٤ - منسي بن حزقيا، مدة حكمه ٥٥ سنة، ١٥ - آمون بن منسي، مدة حكمه سنتان، مات قتيلاً، ١٦ - يوشيا بن آمون، مدة حكمه ٣١ سنة، مات قتيلاً، ١٧ - يهوا حاز بن يوشيا، مدة حكمه ثلاثة أشهر، ١٨ - يواقيم بن يوشيا، مدة حكمه ١١ سنة، ١٩ - يهواقين بن يواقيم، مدة حكمه ثلاثة أشهر، ٢٠ - صدقيا بن يواقيم، وقد أقامه بختنصر ملكاً على أورشليم حتى سقطت هذه الدولة نهائياً في عهده. انظر: أسفار ملوك: أول وثاني، وأسفار أخبار الأيام: أول وثاني. وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٧٧- ١٧٨، محمد عزة دروزة، والفكر الديني اليهودي، ص ٤٠- ٤٢، د. حسن ظاظا.

(٣) نبوخذ نصر البابلي، (٦٠٥ - ٥٦٢): اسمه في البابلية (نابو - كدوي - أوصر) بمعنى (الإله نابو =

وهكذا قُضي على حكم اليهود في فلسطين، بل إن فلسطين أصبحت خالية منهم، ما عدا الذين تركهم السبي البابلي هناك من المساكين والفلاحين والذين ليس لهم شأن يُذكر[١].

عودة اليهود إلى فلسطين بعد السبي البابلي:

(وفي السبي البابلي حصل اليهود على حريات كثيرة)[٢]، ونستطيع أن نلمس ذلك في الخطاب الذي ورد في الرواية اليهودية لهم يحرضهم فيه على الاستقرار ـ دون إثارة مشكلات ـ، وعلى الحياة كمواطنين حياة معتادة: (ابنوا بيوتاً واسكنوا، واغرسوا جنات وكلوا ثمرها، خذوا نساء ولدوا بنين وبنات، وخذوا لبنيكم نساء، وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات، واكثروا هناك ولا تقلوا، واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها، وصلّوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام..)[٣].

وكان لهذا اللون من المعاملة أثره ولا شك؛ (مما جعل الأغلبية من اليهود المسبيين تنصرف إلى الحياة الجديدة واضعة نصب عينيها أن تتكيف مع المجتمع البابلي)[٤]، فتعاملوا بالتجارة والزراعة، وتهيأ لهم الاطلاع على الثقافة الكلدانية حتى امتزجوا بها امتزاجاً كاملاً، فأدى ذلك إلى أن تعوّد بعض اليهود عادات الكلدانيين، وتخلّقوا بأخلاقهم، وعبدوا آلهتهم[٥].

= يحمي الحدود)، من أشهر حكام الدولة البابلية، خلدت التوراة والأساطير حروبه، وخاصة مع مدينتين وهما: أورشليم عاصمة يهوذا، وصور الميناء الحصينة. انتصر على المملكة الجنوبية لليهود (يهوذا) في عام ٥٩٧ ق. م، وأسر جميع اليهود إلى بابل. استمر ملكه ثلاثة وأربعين سنة. الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، (١/ ٥٥٦ ـ ٥٦٠). العرب واليهود في التاريخ، ص ١٨٩.

(١) ملوك ثاني (٢٥: ١٢)، واليهودية، ص ٩٢، د. أحمد شلبي، وتأثر اليهودية، ص ٢٦٥، د. فتحي الزغبي.

(٢) تاريخ فلسطين القديم، ص٦٣، ظفر الإسلام خان.

(٣) إرميا (٢٩: ٥ ـ ٧).

(٤) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، (٢/ ٥)، والعرب واليهود في التاريخ، ص٢٨٥.

(٥) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٢٦٩، د. فتحي الزعبي.

يقول ول ديورانت عن اندماج اليهود في المجتمع البابلي: (حيث كانوا يتمتعون بقسط موفور من الحرية في عاداتهم، وسرعان ما زاد عددهم ونمت ثروتهم، وأيسروا فيما عاد به عليهم خضوعهم من هدوء ووفاق لم يتعودوهما من قبل. وأخذت طائفة منهم مطردة الزيادة تعبد الآلهة البابلية، وتألف الأساليب الشهوانية في العاصمة القديمة، حتىٰ إذا كان الجيل الثاني من أبناء المنفيين كانت ذكرىٰ أورشليم قد محيت أو كادت تُمحىٰ من أذهانهم)[١].

ضعفت الدولة البابلية، وفي فترة هذه الضعف ظهرت فارس قوة كبيرة بزعامة الملك كورش (٥٥٩ ـ ٥٣٠ ق. م) متحدية القوىٰ الكبرىٰ في الشرق القديم وعلىٰ رأسها بابل.

حلت الكارثة ببابل علىٰ أثر هجوم الفرس عليها سنة ٥٣٩ ق. م، وبقيت القلعة والقصر الملكي يقاومان حتىٰ آذار سنة ٥٣٨ ق. م، وعلىٰ ذلك اعترفت مناطق الإمبراطورية البابلية بما فيها سورية وفلسطين بالحكم الفارسي الجديد[٢].

عامل الحاكم الجديد في المنطقة ـ كورش الفارسي (٥٥٨ ـ ٥٣٠) ـ اليهود المنفيين إلىٰ بابل في عهد نبوخذنصر في عامي (٥٩٧ ـ ٥٨٦ ق. م) معاملة ظهر فيها التسامح والعطف، فأصدر مرسوماً يسمح للذين يودون الرجوع إلىٰ أرض كنعان (الأرض المقدسة) من اليهود المنفيين بالعودة وسمح لهم ببناء هيكلهم. كما أمر بإعادة ما تبقىٰ في خزائن البابليين من الذهب والفضة اللذين اغتصبهما نبوخذ نصر وجيشه من الهيكل، ومهد لهم سبل العودة، وأمدهم بما يعينهم من مال وأمتعة[٣].

---

(١) قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص٣٦٢، ول ديورانت.

(٢) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (١/ ٢٣٩)، والعرب واليهود في التاريخ، ص ٥٨٦، وتأثر اليهودية، ص٢١٤، اليهود في العالم القديم، ص ١٧٢، ومصر والشرق الأدنىٰ القديم، (٣/ ٤٦٢ ـ ٤٦٤).

(٣) عزرا (٦: ٣ ـ ٥)، وتاريخ سورية، (١/ ٢٤٢)، وقصة الحضارة، ج ٢/ مجلد ١، ص٣٦٤، وتأثر اليهودية، ص ٢١٤، وتاريخ بني إسرائيل، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣، والعرب واليهود في التاريخ، ص ٥٨٦، ومصر والشرق الأدنىٰ القديم، (٣/ ٤٦٤)، ونزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص ٧٨.

=

رحب اليهود بشكل عام بهذا الإجراء الفارسي، ونعتوا كورش من أجله بالمخلص الإلهي أو المسيح المنتظر، وجاء في الرواية اليهودية: (هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً. . أنا أسير قدامك والهضاب أمهد. . أعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ لكي تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل. .)[١].

وعلى الرغم من هذا الترحيب العام من اليهود المنفيين إلى بابل بهذا الإجراء الفارسي؛ فإن أغنياءهم وشبابهم (لم يتحمسوا لهذا التحرير؛ لأن الكثيرين منهم قد تأقلموا في التربة البابلية، وامتدت أصولهم فيها، فترددوا طويلاً في ترك حقولهم الخصبة وتجارتهم الرائجة ليعودوا إلى القفار الخربة في المدينة المقدسة)[٢]، (بدليل ورود أسماء عبرانية بصورة متكررة في الوثائق التجارية

= ويعلل د. فيليب حتى هذا التعاطف من كورش ملك الفرس مع اليهود المنفيين إلى بابل: بأن هؤلاء اليهود ساعدوه في احتلال بابل. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (١/ ٢٤٢).
بينما يرى ول ديورانت أن فعل كورش هذا مع اليهود إنما هو من منطلق قواعد سياسته التي تقوم عليها دولته، وهو أن يترك للشعوب المختلفة التي تتألف منها حرية العبادة والعقيدة الدينية؛ لأنه كان يعلم بالمبدأ الأول الذي يبنى عليه حكم الشعوب، وهو أن الدين أقوى من الدولة، ومن أجل ذلك لا نراه ينهب المدن ويخرب المعابد، بل نراه يبدي كثيراً من الإكبار والمجاملة لآلهة الشعوب المغلوبة. انظر: قصة الحضارة، ج ٢ / مجلد ١، ص ٤٠٤، واليهود في العالم القديم، ص ١٧٢.
وذكر د. الزغبي آراء أخرى غير هذه، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٢١٥، حاشية رقم ١.

(١) إشعياء (٤٥: ١-٨).

(٢) قصة الحضارة المجلد أول، الجزء الثاني، ص ٣٦٤-٣٦٥، واليهودية، ص ٩٣-٩٤، د. أحمد شلبي.
ويقول يوسف رزق الله غنيمة: (وكان لإحجام جماعات اليهود عن الرجوع إلى أورشليم أسباب جمة ما عدا الأشغال؛ منها أن قسماً منهم قد ألفوا الحياة البابلية وألفوا البيئة التي نزلوها، ومنهم من لم يكترث بأمور الدين، ومنهم من كان يتوقع نزول نبوءات ومعجزات تنبئ نبأ واضحاً بزوال عهد الجلاء)، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص ٨٠، وانظر أيضاً: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، (٢/ ٢٤-٢٥).

لذلك العهد، وكانت بعض هذه الأسماء مركبة من أسماء آلهة بابلية، وكان هؤلاء الذين بقوا وقاوموا الاندماج بالسكان أول أفراد ما عرفوا بـ (الدياسبورا) أي اليهود المقيمين خارج فلسطين)[١].

وأما الذين عادوا إلى أورشليم فكانوا من الكهنة المتحمسين والفقراء المتدينين من سبطي يهوذا وبنيامين[٢].

عمل هؤلاء اليهود على بناء ما يسمونه بالهيكل، وقد انتهوا منه في سنة ٥١٥ ق. م في عهد داريوس[٣].

وهذا الهيكل سمى (بهيكل زربابل)[٤] أو الهيكل الثاني، وكانوا يزعمون

---

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (١/ ٢٤٣ـ ٢٤٤)، د. فيليب حتى. ويؤيد ذلك يوسف غنيمة بقوله: (تشهد بذلك أسماء الموقعين عقود البيع والشراء في عهد دارا (٥٢١ـ ٤٨٦ ق. م) وارتحششتا الأول (٤٦٥ـ ٤٢٤ ق. م)؛ إذ فيها عدد وافر من الأسماء اليهودية)، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص٧٩ـ ٨٠.

(٢) عزرا (١ : ٥)، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٢١٦، والعدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين و ما جاورها، (١/ ٢٠٩)، محمد عزة دروزة، ونزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص ٧٩.

(٣) داريوس وهو الملك دارا الأول (٥٢٢ـ ٤٨٦ ق. م)، أتم اليهود في عهده على ما زعمه المؤرخون بناء الهيكل سنة ٥١٥ق. م. استطاع أن يعتلي عرش الفرس بعد أن كاد الملك قمبيز بن كورش أن يضيعه أمام أعدائه وأمام شهواته. قصة الحضارة، ديورانت، مجلد١ / ج٢، ص ٤٠٥ـ ٤٠٦، ودراسات في تاريخ الشرق القديم، ص ٢٩٧، د. أحمد فخري والعرب واليهود في التاريخ، ص ٥٨٦، د. أحمد سوسه.

(٤) زربابل بن شالتئيل، قيل إنه من أبناء الملك يهوياقين، من سلالة بيت داود ـ عليه السلام ـ. ويسمى أيضاً في الرواية اليهودية (شيشتعبر)، وزربابل اسم أكادي معناه (ذرية بابل) أو (المولود في بابل) أو(زرع بابل) رئيس سبط يهوذا عند عودة اليهود من السبي البابلي في أول عودة لهم. انظر: عزرا (١ : ٥٨ : ١٤) نحميا (١٢ : ١)، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين(١/ ٢٤٤)، حاشية رقم٢، د. فيليب حتى، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٢١٦، د. فتحي الزغبي، والعنصرية اليهودية، (١/ ٢١٠)، د. أحمد الزغيبي، واليهودية عرض تاريخي، ص ٤٦، حاشية رقم١، د. عرفان عبد الحميد فتاح.

أنه كان أضخم من الهيكل الأول (هيكل سليمان)، ولكنه كان أقل منه في الفخامة وفي التكلفة، وأن (قدس الأقداس)[١] كان خالياً لأن تابوت العهد قد اختفى، وإن هذا الهيكل قد بقى خمسة قرون)[٢] (وانتهى أمره بالدمار التام على يد تيتوس الروماني)[٣]، كما سيأتي إن شاء الله تعالى[٤].

(وكانت عودة اليهود من المنفى عودة أشخاص وليست عودة دولة، فإن بعض بني إسرائيل عادوا ولكن دولتهم لم تعد، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له، وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم الفرس، ومن أجل ذلك رحبوا بالإسكندر الأكبر عندما زحف على فلسطين)[٥].

الاضطهاد اليوناني وفرض الثقافة الهيلينية:

دبَّ الضعف في الدولة الفارسية، وحلت نهايتها في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد عندما انتصر (الإسكندر المقدوني)[٦] على (داريوس

---

(١) (قدس الأقداس): قيل: إنها غرفة مكعبة، أبعادها طولاً وعرضاً وارتفاعاً ٥, ١٠ أمتار، وفيها ستار يقسمها قسمين، ففي القسم الداخلي منها تابوت العهد، وهو صندوق تحفظ فيه نسخة من توراة مخطوطة على جلد أوراق، وأما النصف المفتوح منه فيحتوي في الوسط على المذبح الذهبي للقرابين، وإلى يساره منضدة تحمل الشمعدان السباعي الذي يضاء في أثناء إقامة الطقوس اليهودية. أبحاث في الفكر اليهودي، ص ٥٠، د. حسن ظاظا.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠١٤.

(٣) أبحاث في الفكر اليهودي، ص ٥٣، د. حسن ظاظا.

(٤) انظر: ص ٥٣ من هذه الرسالة.

(٥) اليهودية، ص ٩٤، د. أحمد شلبي.

(٦) الإسكندر الأكبر المقدوني (٣٥٦ـ ٣٢٣ ق.م) ملك مقدونيا اليوناني تتلمذ على يد الفيلسوف أرسطو، تسلم الحكم مكان أبيه فيليب الثاني عام ٣٣٦ ق.م، انهارت الدولة الفارسية على يديه إثر انتصاره على آخر ملوكهم داريوس الثالث. أخضع المنطقة بأكملها لسلطانه، وبنى مدينة الإسكندرية التي سميت باسمه. مات بحمى فجائية. انظر: الموسوعة السياسية، ج١، ص١٨٥، د. عبد الوهاب الكيالي، وقصة الحضارة، رقم (٧)، من ص ٥١٦ إلى ٥٤٠، ديورانت، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، (٢/ ٥٨)، محمود نعناعة.

الثالث)[١] في (معركة أيسوس)[٢][٣]. وبهذا انتهى الحكم الفارسي الذي استمر من عام ٥٣٩ إلى ٣٣٣ ق. م[٤]، وبسقوط الدولة الفارسية استولى الإسكندر على فلسطين، وبدأ الحكم اليوناني لفلسطين، أو ما يسمى بالعهد الإغريقي، والذي استمر إلى عام ٦٣ ق. م.

وعندما دخل الإسكندر أورشليم استقبله اليهود أحسن استقبال.

أعقب موت الإسكندر عام ٣٢٣ ق. م تمزق إمبراطوريته المترامية الأطراف، وتسابق قواده للفوز بأحسن أقسامها، وانطوى هذا التسابق على حروب طويلة دامية فيما بينهم[٥]، منهم اثنان لهما علاقة بتاريخ فلسطين وهما: (بطليموس) الذي استولى على مصر، وأسس فيها أسرة البطالمة (البطالسة)، و(سلوقس)

---

(١) (داريوس الثالث): آخر ملوك الفرس (٣٣٥ ـ ٣٣٠ ق. م)، كتب الله عليه أن يلقى الإسكندر الأكبر المقدوني، وأن تلقى الإمبراطورية الفارسية في عهده نهايتها المحتومة عقب معركة أيسوس عام ٣٣٤ ق. م، انظر: مصر والشرق الأدنى القديم، (٣/ ٤٧٢)، د. نجيب ميخائيل.

(٢) (معركة أيسوس): معركة قامت بين الإسكندر الأكبر المقدوني اليوناني وداريوس الثالث الفارسي في ربيع عام ٣٣٤ ق. م، انتهت بانتصار الإسكندر الأكبر وسقوط الدولة الفارسية، وأيسوس ممر ضيق من مضائق كيليكيا في آسية الصغرى. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (١/ ٢٥٣)، د. فيليب حتى.

(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٢٩٢، محمد عزة دروزة، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، (٢/ ٥٢)، ومصر والشرق الأدنى القديم، (٣/ ٤٧٢)، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (١/ ٢٥٣)، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص ٤٨، د. محمد سيد طنطاوي، واليهود في العالم القديم، ص٢١١، د. مصطفى كمال عبد العليم د. سيد فرج راشد، وقصة الحضارة، ج/ ٢ المجلد٢، (٧)، ص ٥٢٦.

(٤) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٢٧٢، د. فتحي الزغبي.

(٥) ويبرز من هؤلاء القواد أربعة، أصبحوا على رأس أربع دول: (بطليموس) على مصر، و(سلوقس) في بابل وسورية، و(انتفيونس) في آسية الصغرى، و(انتيباتر) في مقدونيا. وهكذا وكما جاء في الرواية اليهودية: (انكسر القرن العظيم وطلع عوضاً عنه أربعة قرون معتبرة نحو رياح السماء الأربع) دانيال (٨: ٨)، وكان بطليموس أكثر هؤلاء الأربعة ذكاء، إلا أن سلوقس كان أقدرهم. انظر: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (١/ ٢٥٩).

الذي استولى على بابل وسورية وأسس فيها أسرة السلوقيين[١] .

صارت أرض فلسطين مثار نزاع عنيف بين البطالمة والسلوقيين، واستمر هذا النزاع وأدى إلى قيام حروب بين الدولتين اليونانيتين، وتبادل فيها الطرفان النصر والهزيمة، ومن ثم تسلط كل منهما على أرض فلسطين. وكان أهل فلسطين ومن معهم من اليهود يتعرضون للشدائد والمحن من جراء تقلب الحكم هذا[٢] .

عمل خلفاء الإسكندر (البطالمة والسلوقيون) على انتشار الثقافة اليونانية (الهيلينية)[٣] في كل البلاد الخاضعة لهم، فأسسوا المدن الإغريقية، وشيدوا المباني اليونانية؛ مثل المسارح وساحات الألعاب، والحمامات العامة، فتأثرت مدن فلسطين؛ كالسامرة وغزة وعسقلان مثل غيرها من المدن الأخرى الخاضعة لليونان؛ كدمشق والإسكندرية وأنطاكية وغيرها بإغراءات الثقافة الهيلينية. فكانت تقوم في كل واحدة من هذه المدن نظم ومؤسسات يونانية، وهياكل للآلهة والإلهات اليونانية، ومدارس ومجامع علمية، وساحات للألعاب الرياضية، وألعاب يشترك فيها الناس وهم عراة، فانتشرت فيما بين سكان تلك المدن الثقافة الهيلينية من علم، وفلسفة، وفن، وأدب، ولذة، وغناء، ورقص، وشراب

---

(١) انظر: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (١/ ٢٥٩)، د. فيليب حتى، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، ص ٦٥، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٣٧٣.

(٢) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤، محمد عزة دروزة، والعصور القديمة، ص ٤٤٥، بريستيد، والمشكلة اليهودية، (٢/ ٦٥)، محمود نعناعة.

(٣) الهيلينية: مظهر ثقافي من مظاهر الحياة المدنية لا الحياة الريفية، وكان الطامحون إلى اعتلاء المراكز الحكومية الهيلينية، أو الطامعون في حياة أدبية فكرية يتلقون دروسهم باللغة الإغريقية، فكانوا بذلك يحيون الهيلينة. كذلك فإن الهيلينية لم تكن تقتصر على العطاء الفكري بل إنها كانت تعطي وتأخذ، فإن الإغريق الغربيين أخذوا بالديانات الشرقية الغنية بطقوسها وبشعائرها وبمعتقداتها الغيبية الغريبة، فراحوا يتبنون آلهة شرقية ويسبغون عليها صفات وأسماء إغريقية، وهكذا أصبح البعل عند الإغريقي زفس، وعند الرومان جوبيتر المشتري كبير الآلهة. وأصبح تموز دونيس. هذا ولم تقتصر الهيلينية على نواحيها السياسية والثقافية، بل كانت تتعداها إلى النواحي الاقتصادية. راجع: موجز تاريخ الشرق الأدنى، ص ١٠٠ ـ ١٠٢، د. فيليب حتى.

وطعام، وألعاب رياضية، وعشيقات وغلمان، فضلاً عن السفسطة المرحة التي ترتاب في جميع القوانين الأخلاقية، والتشكك الذي قضى على كل عقيدة[(١)].

ف (انضم إليهم في هذا أغنياء اليهود؛ لأنهم كانوا يستطيعون أن يستجيبوا لداعي الغواية، وأحس اليهود الذين كانوا يطلبون المناصب من الموظفين اليونان بأن من حسن السياسة أن يتكلموا اللغة اليونانية، وأن يعيشوا كما يعيش اليونان، بل أن يقولوا بضع كلمات طيبة في حق الآلهة اليونانية)[(٢)].

فتركت جماعات من اليهود الالتزام بأحكام التوراة، وتركوا السبت وعادة الختان، وقربت بعض الجماعات اليهودية القرابين إلى الآلهة الهيلينية، وافتتحت في أورشليم مدرسة للرياضة البدنية، واشترك شباب اليهود والكهنة أنفسهم وهم عراة في الألعاب الرياضية، وبلغ من تحمس بعض شبان اليهود للهيلينية أن تحمّلوا جراحات في أجسامهم ليعالجوا بها بعض العيوب - في نظرهم المتغير؛ كالختان مثلاً - التي قد تكشف عن أصلهم[(٣)].

الشتات الروماني:

استطاعت جيوش الدولة الرومانية أن تنتصر على السلوقيين وتحتل أراضيها، وبهذا أصبحت أرض فلسطين تحت الحكم الروماني ابتداءً من سنة ٦٣ ق.م[(٤)][(٥)].

---

(١) قصة الحضارة، الجزء الثالث من المجلد الثاني (٨)، ص٥٣ بلاد اليونان، ول ديورانت، والتاريخ في الكتاب، ص ١٠٦، كاترين هنري، وسقوط أورشليم وأهميته العالمية، ص ٦٤٥ - ٦٥٠، د. المسلي، نقلاً عن تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٢٧٧، د. فتحي الزغبي.

(٢) قصة الحضارة، الجزء الثالث من المجلد الثاني (٨)، ص ٥٣، بلاد اليونان.

(٣) اليهودية، ص ٤٩ د. عرفان عبد الحميد فتاح، وقصة الحضارة (٨) بلاد اليونان، ص ٥٥، ول ديورانت.

(٤) تاريخ فلسطين القديم، ص٨٣، ظفر الإسلام خان.

(٥) قصة الحضارة رقم (١١)، ص١٦٢، والمشكلة اليهودية، (١٠٣ - ١٠٥)، وتأثر اليهودية، ص ٢٩١، وتاريخ شعب العهد القديم، ص ٣٩٧، وتاريخ فلسطين القديم، ص ٨٤.

وكان وضع اليهود في ظل الحكومة الرومانية في خطوط متباينة من التسامح والاضطهاد، وقيام اليهود بشق عصا الطاعة مرة، والخضوع والإذعان مرة أخرىٰ[١].

وفي عام ٦٦م قام اليهود بثورة قوية ضد الرومان، واستولوا علىٰ القدس وعلىٰ فلسطين كلها تقريباً[٢]، فقام تيطس قائد القوات الرومانية بمحاصرة القدس والتضييق علىٰ سكانها، وشدد في حصارهم إلىٰ أن قهرهم الجوع ونفدت مؤنتهم وانتشر الوباء فيهم[٣]. وفي خلال هذه الظروف تمكن الجيش الروماني من فتح ثغرات في حصون القدس. وأخذ الرومان يفتكون بأهلها ويعملون في المدينة يد التدمير والسلب وإضرام النار فيها، وتم إرجاعها من اليهود في عام ٧٠م[٤].

---

(١) راجع: المشكلة اليهودية، (٢/ ٢٠١ـ ٢٥١)، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ٣٤٤ـ ٣٥٧، ٣٧٣ـ ٣٨٣.

(٢) المرجع السابق، مكاريوس، وتاريخ شعب العهد القديم، ص ٤١٣، الأب ديلي، واليهود في العالم القديم، ٢٣٨ـ ٢٣٩، وقصة الحضارة (١١)، ص ١٨٥ ـ ١٨٧ ديورانت.

(٣) يقول المؤرخ يوسيفوس: (ولقد طال الحصار علىٰ المدينة، وفنىٰ كل ما فيها من القوت حتىٰ أكل سكانها الجيف ودبيب الأرض، ومنهم من أكل أولاده، وهلك خلق كبير من الجوع، واشتغل الأحياء بأنفسهم، وتركوا الموتىٰ بدون دفن، فامتلأت المنازل والشوارع والأزقة بالجثث وتعفنت، وخفتت الأصوات والمناحات، وصار الناس يخرجون إلىٰ الروم بالألوف دون أن يمنعهم أحد، وكان الخارجون يبلعون ما عندهم من ذهب وفضة ثم يستخرجونه من البراز بعد وصولهم إلىٰ الروم، وانتشر خبر ذلك في معسكر الروم فأدىٰ إلىٰ قتل كثير من المستأمنين طمعاً بما في أجوافهم من ذهب وفضة، وكان تيطس يرقب الحالة، ويضيق الحصار، ويجدّ في هدم الأسوار)، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٣٨٢ـ ٣٨٣، محمد عزة دروزة. وانظر أيضاً: قصة الحضارة (١١)، الجزء الثالث من المجلد الثالث، ص ١٨٨.

(٤) قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الأول، ص ١٨٨، ول ديورانت، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٣٨٢ـ ٣٨٣، د. محمد دروزة، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، (٢/ ٢٥٣ـ ٢٥٤)، محمود نعناعة، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٢٩٧، د. فتحي الزغبي، واليهود في العالم القديم، ص ٢٣٩، د. مصطفىٰ كمال عبد العليم، د. سيد فرج راشد، وتاريخ شعب العهد القديم، ص ٤١٣، الأب ديلي.

وكان آخر تمرد لليهود ضد الرومان ذلك التمرد الذي قاده باركوخبا عام ١٣٢م، حيث ادعى أنه المسيح المنتظر، فاستطاع إثارة الحماس اليهودي في بني قومه، وحثهم على السعي إلى التجمع في فلسطين والانتفاضة على الحكومة الرومانية. ولكن الحكومة الرومانية قضت على هذه الثورة في عام ١٣٥م بعد أن قاموا بمذبحة رهيبة ونهائية قضت على اليهود، وختمت على مصيرهم في فلسطين كتجمع ديني[١]. وشردوا في كل ولاية من ولايات الدولة الرومانية، وإلى ما وراء حدود تلك الدولة، فتفرق الشعب اليهودي على كل شواطئ البحر المتوسط وإلى غيرها من بلاد الله، وأصبح تاريخهم فيما بقي من العصور ملحقاً بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا فيها، وضربت عليهم الذلة والمسكنة[٢].

وصدق الله العظيم القائل فيهم: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ [**الأعراف**: ١٦٨].

وجاء في الرواية اليهودية: (ويكون كما أن الرب يُسَرُّ لكم إذا أحسن إليكم وكثركم، أنه يُسَرُّ أيضاً بكم إذا أفناكم وقرضكم فتندرسون من على الأرض، ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقاصي الأرض إلى أقاصيها)[٣].

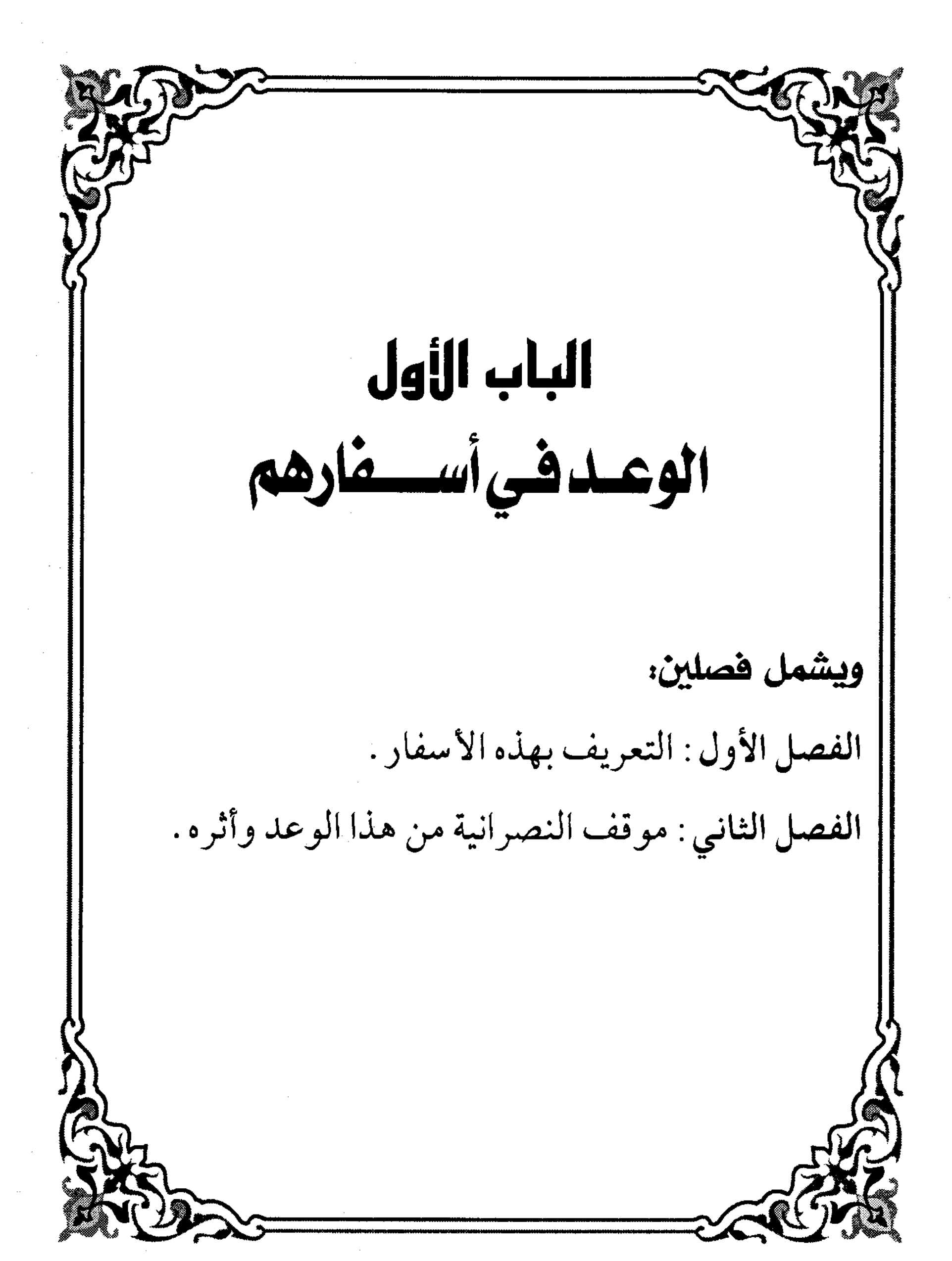
ومنذ ذلك التشريد الروماني في عام ١٣٥م لم تقم لليهود قائمة في فلسطين، حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي، حيث استطاعوا بمعاونة الصليبية العالمية إقامة دولة لهم في فلسطين عام ١٩٤٨م/ ١٣٦٧هـ.

---

(١) قصة الحضارة (١١)، ص ١٩٤ ـ ١٩٥، وتاريخ فلسطين القديم، ص ٩٠، ٩١، ٩٢، وتأثر اليهودية، ص٢٩٩، والمشكلة اليهودية، (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)، وتاريخ شعب العهد القديم، ص ٤١٣.

(٢) قصة الحضارة (١١)، ص ١٩٥ ـ ١٩٦، تاريخ الإسرائيليين، ص٧١ و٧٧، وملف إسرائيل ص٤٠ ـ ٤١، لجارودي.

(٣) تثنية (٢٨: ٦٣ ـ ٦٤).



الباب الأول
الوعد في أسفارهم

ويشمل فصلين:

الفصل الأول: التعريف بهذه الأسفار.

الفصل الثاني: موقف النصرانية من هذا الوعد وأثره.





الفصل الأول
التعريف بهذه الأسفار



التعريف بهذه الأسفار

يشمل الكتاب المقدس: (العهد القديم) و (العهد الجديد)، فأسفار العهد القديم (العتيق) أطلقت على أسفار اليهود، وهذه الأسفار هي المرجع المقدس الذي يحرص اليهود على أن يستخرجوا من نصوصه وتأويلاته ما يؤيد مطامعهم في أرض فلسطين، ومن أجل ذلك كان من اللازم التعرف على هذه الأسفار بالقدر الذي يجعلنا على بينة من أمرها.

أطلق اسم العهد القديم على أسفار اليهود في العصور المسيحية؛ للتفرقة بينه وبين ما اعتمده النصارى من أسفارهم التي أطلقوا عليها اسم العهد الجديد. وقيل إن أول من أطلق تسمية العهد القديم على أسفار اليهود هو (بولس) في رسالته إلى أهل كورنثوس الثانية: (بل أعميت بصائرهم لأن ذلك البرقع نفسه باق إلى يومنا هذا غير مكشوف عند قراءة العهد العتيق)[(١)] [(٢)]، وقيل بل أطلق هذه التسمية (ملتيس) أسقف ساردس، وذلك عام ١٨٠م[(٣)]. ويراد بكلمة العهد في هاتين التسميتين (العهد القديم، والعهد الجديد) ما يرادف معنى الميثاق؛ أي إن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه، فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً من عهد موسى عليه السلام، والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً من عهد عيسى عليه السلام[(٤)].

---

(١) العهد الجديد، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس(٣/ ١٤)، ص٣١٤، ط الكاثوليكية عام ١٩٩٢م، دار الكتاب المقدس، في الشرق الأوسط.

(٢) اليهودية في أسفارها المقدسة، د. إبراهيم محمد إبراهيم، ص ٦٠، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية د. فتحي محمد الزغبي، ص٤٧.

(٣) المدخل إلى العهد القديم، للقس صموئيل يوسف، ص ١٧.

(٤) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. وافي، ص١٣، وتأثر اليهودية، د. الزغبي، ص٤٧.

يقول الشيخ رحمت الله الهندي: (اعلم أنهم يقسمون الكتب إلىٰ قسمين: قسم يدَّعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين قبل عيسىٰ عليه السلام، وقسم منها يدَّعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسىٰ عليه السلام، فمجموع الكتب من القسم الأول يسمىٰ بالعهد العتيق، ومن القسم الثاني بالعهد الجديد، ومجموع العهدين يسمىٰ: (بَيْبل)، وهذا لفظ يوناني بمعنىٰ الكتاب. ثم ينقسم كل من العهدين إلىٰ قسمين: قسم اتفق علىٰ صحته جمهور القدماء من المسيحيين، وقسم اختلفوا فيه، أما القسم الأول من العهد العتيق فثمانية وثلاثون كتاباً)[1].

(يتكون العهد القديم - حسب عقيدة البروتستانت - من ٣٩ سفراً بخلاف ملحق يعرف بالأبوكريفا Apocrypha أي الأسفار المحذوفة، علىٰ حين تضيف الطوائف الأخرىٰ - مثل الكاثوليك، والإنجيليين، والكنائس الأرثوذكسية - تلك الأسفار المحذوفة، وعددها ١٤ سفراً، إلىٰ أسفار العهد القديم، وبذلك يصبح مجموع أسفاره ٥٣ سفراً.

والشائع بين اليهود هو أن الأسفار الخمسة الأولىٰ Pentateuch المنسوبة لموسىٰ تكوِّن الجزء الأول من الأسفار، وتعرف بالتوراة أو الناموس، علىٰ حين تكوِّن الكتب التاريخية الجزء الثاني، وتعرف بكتب النبوات أو الأنبياء، أما الجزء الثالث فيعرف بالكتب؛ أي إن العهد القديم يتكون من: الناموس،

(١) يقول محقق كتاب إظهار الحق: «لم يذكر المؤلف سفر استير في تعداد الأسفار المتفق عليها، وهو السفر السابع عشر من أسفار العهد القديم بعد سفر نحميا، وقبل سفر أيوب، وجعله ضمن القسم الثاني المختلف فيه من أسفار العهد القديم، وبما أن الشك ليس في إصحاحات سفر استير كلها، بل في الإصحاحات الأخيرة منه بعد الإصحاح العاشر؛ لذلك أخذت هذه الإصحاحات المشكوك فيها مكانها في أسفار الأبوكريفا غير القانونية، وأدخل سفر استير ضمن الأسفار القانونية المتفق عليها، فمجموع أسفار العهد القديم المتفق عليها عند المسيحيين ٣٩ سفراً». إظهار الحق، للشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي (١/ ١٠٠)، تحقيق د. محمد أحمد ملكاوي. وقال محقق آخر للكتاب - د. أحمد حجازي السقا -: «أسقط الشيخ سفر استير وهو موجود في ترجمة بروتستانت ١٩٧٠م التي هي مأخوذة رأساً من العبرانية»، انظر: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د. يحيىٰ محمد علي ربيع، ص ١٦.

والأنبياء، والكتب)[١] .

فيوجد الآن طبعتان متداولتان على الأقل للكتاب المقدس، هما :

الطبعة البروتستانتية، والطبعة الكاثوليكية. (فالكنيسة البروتستانتية اتبعت يهود الإسكندرية في ترتيب الأسفار وتقسيمها، فقد رتبوا الأسفار حسب موضوعاتها متبعين النظام اليوناني، ومعتمدين على الترجمة السبعينية)[٢] .

يقول سهيل ديب: (والرواية اليهودية الرسمية تقول إن مؤتمراً عقد في (جبنه) في فلسطين (إلى الغرب من القدس) عام ٩٠ أو ١٠٠ للميلاد، وقرر ما هي الأسفار المقبولة قانوناً. القديس إيرونيموس، كاتب الفولغاتا (الترجمة اللاتينية)؛ ضم كل الكتب الموجودة في الترجمة السبعينية. أما البروتستانت، فقد أخذوا الأسفار المقبولة يهودياً، وذلك في القرن السادس عشر للميلاد)[٣] .

وبذلك فإن الكنيسة البروتستانتية اعتمدت ٣٩ سفراً. أما الكنيسة الكاثوليكية فقد اعتمدت طبعة تزيد على الطبعة البروتستانتية بسبعة أسفار ضمن أسفار الأبوكريفا؛ متبعة في ذلك الترجمة السبعينية التي اعتمدها يهود الإسكندرية[٤] . فالكنائس المسيحية اعتمدت في تقسيم وترتيب أسفار العهد القديم على النظام

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية عام ١٩٥٩م، (٣/ ٦١٢)، المرجع رقم ١٥، نقلاً من: فلسطين بين الحقائق والأباطيل للعقيد أحمد عبد الوهاب، ص ٢١. وانظر أيضاً: اليهودية ضمن مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي ص ٢٣٨-٢٣٩، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، ص ١٣-١٦، واليهودية في أسفارها المقدسة، د. إبراهيم محمد إبراهيم، ص ٦٨-٧٠، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي الزغبي، ص ٤٨-٥٦، والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د. يحيى ربيع، ص ١٧-٢٣. وانظر في تفصيل ذلك إلى: المدخل إلى العهد القديم، القس صموئيل يوسف، والكتاب المقدس سفراً سفراً، عايد هنري.

(٢) تأثر اليهودية، د. الزغبي، ص٥٣، واليهودية في أسفارها المقدسة، د. إبراهيم محمد إبراهيم، ص ٦٨.

(٣) أول توراة بروتستانتية لم تضم الأسفار المخفية يعود تاريخها إلى ١٥٣٥م، وهي معروفة باسم (توراة مايلز كوفرديل)، انظر التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٠٨، سهيل ديب.

(٤) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي محمد الزغبي، ص ٥٧.

اليوناني، وعلى الترجمة السبعينية؛ متبعة في ذلك يهود الإسكندرية ـ ولكن اختلفوا فيما بينهم في الاعتراف بأسفار العهد القديم ـ، ومخالفة في ذلك يهود فلسطين الذين اعتمدوا النظام العبري في التقسيم والترتيب لأسفار العهد القديم[١].

وهذا الجدول ـ إن شاء الله ـ يبين الاختلاف بين الطبعتين الكاثوليكية والبروتستانتية.

ترتيب أسفار العهد القديم[٢]

الطبعة البروتستانتية وتنقسم إلى أربعة أقسام، عددها ٣٩ سفراً	الطبعة الكاثوليكية وتنقسم إلى خمسة أقسام، عددها ٤٦ سفراً
القسم الأول: (كتب موسى) أو الأسفار الخمسة أو (البانتاتيك)، وهي: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية.	**القسم الأول:** (كتب موسى) أو الأسفار الخمسة أو (البانتاتيك)، وهي: التكوين، الخروج، الأحبار، العدد، تثنية الاشتراع.
القسم الثاني: الأسفار التاريخية ١٢ سفراً، وهي: يوشع، القضاة، راعوت، صموئيل الأول والثاني، الملوك الأول والثاني، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا، استير.	**القسم الثاني:** الأسفار التاريخية ١٦ سفراً، وهي: يوشع، القضاة، راعوت، الملوك الأول والثاني والثالث والرابع، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحيما، طوبيا، يهوديت، استير، المكابين الأول والثاني.
القسم الثالث: أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية خمسة أسفار، وهي: أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأنشاد.	**القسم الثالث:** أسفار شعرية ٦ أسفار، وهي: أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد، مرائي إرميا.
القسم الرابع: أسفار الأنبياء ١٧ سفراً، وهي: إشعيا، إرميا، مرائي إرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.	**القسم الرابع:** أسفار نبوية ١٧ سفراً، وهي: إشعيا، إرميا، باروك، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، نحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.
ـــ	**القسم الخامس:** أسفار تعليمية، وعددها سفران: الحكمة، يشوع بن سيراخ.

(١) للمعرفة الأكثر بالفروق بين الطبعتين الكاثوليكية والبروتستانتية انظر: التوراة الهيروغليفية، ص ٣٠ ـ ٣١ ـ ١٩٢، ومصر والشرق الأدنى القديم، (٣/ ١٦٣ ـ ١٦٥)، والتوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٠٨.

(٢) أسماء الأسفار من الكتاب المقدس ـ الطبعة البروتستانتية ـ نشر دار الكتاب المقدس في الشرق=

وهناك فئة قليلة من اليهود لا تعترف إلا بالأسفار الخمسة الأولى - (التوراة) المنسوبة إلى النبي الكريم موسى عليه السلام - من أسفار العهد القديم، تعرف بالطائفة السامرية [١]، وبعض هذه الطائفة يؤمن بسفر يوشع وبسفر القضاة؛ زيادة على الأسفار الخمسة الأولى (التوراة)[٢].

وبجانب هذه الأسفار التي يتألف منها العهد القديم توجد أسفار يهودية قديمة أخرى لم يُدخلها اليهود في أسفار هذا العهد، ويطلقون عليها اسم (الأسفار المخفية).

يقول سهيل ديب: (فبالإضافة إلى الأسفار (القانونية) - أي المقبولة كهنوتياً في الدين اليهودي (والدين المسيحي على السواء ولكن بدرجات مختلفة بين الكنيستين الكاثوليكية والبورتستانتية) - هناك مجموعة من الأسفار التي جرى العرف على إطلاق تسمية (أبوكريفا) (من اليونانية Apocrypha) عليها، والكلمة تعني (المخفية) أو (السرية))[٣].

= الأوسط بدون تاريخ، أما الطبعة الكاثوليكية، فنشر دار الكتاب المقدس، بيروت عام ١٩٩٢م. وتوزيع الأسفار حسب الترتيب المذكور.

(١) لعلهم سموا بذلك لأن نحلتهم قد ظهرت في مدينة السامرة القديمة - إحدى مدن فلسطين -، والتي قامت على أنقاضها مدينة نابلس، وكانت قديماً قبل أن تطرق أقدام العبريين أو اليهود فلسطين تسمى مدينة (شكيم). وباقي فرق اليهود يرون أن هؤلاء السامريين لا يمتون إلى العبريين ولا إلى موسى أو يعقوب بصلة، بل يرونهم جماعة من أخلاط الناس ومن (الجوييم) المتعاونين مع أعداء اليهود، ولذلك يسمونهم (الكوتيين)؛ أي الذين جاؤوا مع الآشوريين من مدينة (كوت)، واستشهدوا لذلك بالإصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثاني، وقيل في تعريفهم غير ذلك. انظر: الفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا، ص ٢٠٥-٢٠٩، والعرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة ص ٣١٠، والأسفار المقدسة، د. علي عبد الواحد وافي، ص٦٦، واليهودية، د. أحمد شلبي، ص ٢٣٩، وموسوعة السياسة، (٣/ ٦٤)، د. عبد الوهاب الكيالي.

(٢) المراجع السابقة والصفحات نفسها.

(٣) التوراة بين الوثنية والتوحيد، سهيل ديب، ص ١٠٨.

فبعض هذه الأسفار الخفية غير مقدس ولا معتمد في نظر أحبار اليهود، بينما البعض الآخر مقدس ومعتمد عندهم، فهذه الكنيسة الكاثوليكية اعتمدت سبعة أسفار من تلك الأسفار (الأبوكريفا)[1]. أما مجمع ترنت المعقود سنة ١٥٤٦م فقد قرر أن أسفار الأبوكريفا هي أسفار قانونية[2].

---

(١) اليهودية، د. إبراهيم محمد إبراهيم، ص ٧٣.

(٢) وهي مجموعة من الأسفار منها المعتمد عند الكنيسة الكاثوليكية، وهي سبعة أسفار: (طوبيا، يهوديت، حكمة سليمان أو سفر الحكمة، يشوع بن سيراخ، سفر باروك، المكابيين الأول والثاني)، وباقي الأسفار هي: إسدارس الأول والثاني، تتمة سفر استير، ورسالة إرميا، صلاة منسي، قصة سوسن، بعل بابل، تنين بابل، صلاة أساريا، أغنية الرفاق الثلاثة، سفري المكابيين الثالث والرابع، فأصبح مجموع أسفار الأبوكريفا ١٩ سفراً. ويرئ الباحثون أن هذه الأسفار متنوعة المواضيع مختلفة العصور: فمنها ما يتصل بالتاريخ ومنها ما يعالج القصص التاريخي، ومنها ما هو أساطير، وتحتوي أيضاً على حكم وأغان وأشعار، فهي مفيدة جداً لنا في دراسة اليهودية؛ لأنها تعيننا على فهم التاريخ اليهودي والعقلية اليهودية في الفترة الممتدة من القرن الثاني ق.م إلى أواخر القرن الأول الميلادي؛ أعني خراب أورشليم عام ٧٠ م، وهي أيضاً تكون حلقة الاتصال بين اليهودية والمسيحية أو العهد القديم والجديد. انظر: تأثر اليهودية، ص ٥٥ ـ ٥٦ د. فتحي الزغبي، التوراة الهيروغليفية، ص ١٩٢ ـ ١٩٣، د. فؤاد حسنين علي، واليهودية في أسفارها المقدسة وموقف الإسلام منها، د. إبراهيم محمد إبراهيم، ص ٧٠ ـ ٧٤، والتوراة بين الوثنية والتوحيد سهيل ديب ص ١٠٥ ـ ١١٤، والفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا، ص ٦٢ ـ ٦٥، والأسفار المقدسة، د. علي عبد الواحد وافي، ص ٢٣.



الفصل الثاني
موقف النصرانية من هذا الوعد وأثره

ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة البروتستانتية «الإصلاح الديني في الكنيسة».

المبحث الثالث: أثر هذه المواقف في إنشاء دولة (إسرائيل) الحالية على أرض فلسطين.



المبحث الأول
موقف الكنيسة الكاثوليكية

المطلب الأول: الموقف العدائي لليهود:

العلاقات بين المسيحيين واليهود لم تكن في كثير من الأوقات ودّية، بل إن بعض هذه العلاقات مصبوغة بالدم، فهي بين مد وجزر، وما مر معنا في الباب التمهيدي من موقف الدول الأوروبية النصرانية من اليهود في القرون الوسطى أكبر دليل على ذلك.

(شهدت أوروبا خلال القرون الوسطى، وبخاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، سلسلة دامية من الأحداث والصراعات والاضطهاد ضد اليهود، فقد طُرد اليهود من إنكلترا في نهاية القرن الثالث عشر، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر، ومن إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر. وعانى اليهود على مدى هذه القرون أشكالاً مختلفة من العزل والتمييز والقتل والمحظورات والقيود في الحركة والفكر لأسباب متعددة)[1].

والسبب في هذا الاضطهاد هم اليهود أنفسهم، حيث إنهم منذ بداية عيسى ـ عليه السلام ـ ودعوته؛ قابلوه بالمناوأة، وناصبوه العداء، وقدحوا فيه ـ عليه السلام ـ، وفي أمه مريم الصديقة.

(فأخذ اليهود يكيدون لعيسى عليه السلام، ويوسوسون للحكام بشأنه، ويحرضون الرومان عليه، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحُكّام. ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه، وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني على

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ١٩، د. يوسف الحسن.

أن يصدر الأمر بالقبض عليه)[١].

وعندما سُئل الحَبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي عن سبب تركه لملته السابقة (اليهودية) ودخوله في الإسلام؛ أجاب أن السبب مركب من سبع قضايا، الخامس منها هو: (قد جاء سيدنا عيسىٰ ـ عليه السلام ـ فاستكبرتم عليه، وتكلمتم في حقه ألفاظاً غير جائزة ومحرمة، لا سيما أنها مبنية علىٰ التزوير والبهتان والكذب)[٢].

وجاء في إنجيل يوحنا أن عيسىٰ ـ عليه السلام ـ قال لليهود: (قد عرفت أنكم تطلبون قتلي، أن كلامي لا محل له فيكم)[٣]. (فقال له اليهود: الآن علمنا أن بك شيطاناً)[٤]. (فأخذوا حجارة ليرجموه)[٥].

وهناك أيضاً نصوص في التلمود تقدح في المسيح ـ عليه السلام ـ وفي المسيحيين؛ منها: أنه (ابن غير شرعي حملته أمه وهي حائض)[٦]، وأنه (مضلل وثني مدفون في جهنم)[٧]، (المسيحيون الذين يتبعون أضاليل يسوع وثنيون، ويلزم معاملتهم كمعاملة باقي الوثنيين)[٨].

وغير ذلك من الاحتقارات والسب الموجه من اليهود إلىٰ النصارىٰ.

---

(١) محاضرات في النصرانية، ص ٢٩، الشيخ محمد أبو زهرة.
(٢) الرسالة السّبعيّة بإبطال الديانة اليهودية، ص ٣٦، تخريج وتعليق عبد الوهاب طويلة.
(٣) يوحنا (٨: ٣٧).
(٤) يوحنا (٨: ٥٢).
(٥) يوحنا (٨: ٥٩).
(٦) فضح التلمود، ص ٥٧، الأب آي. بي. براناتيش، إعداد زهدي الفاتح.
(٧) فضح التلمود، ص ٦٦، إعداد زهدي الفاتح، والكنز المرصود في قواعد التلمود، ص ١٠٥، ترجمة د. يوسف نصر الله، والتلمود شريعة بني إسرائيل، ص ٢٥، ترجمة وإعداد محمد صبري.
(٨) الكنز المرصود، ص ١٠٦، وفضح التلمود، ص ٨٦.

(إن التلمود يوجب على كل يهودي أن يلعن في كل يوم النصارى ثلاث مرات، ويطلب من الله أن يبيدهم ويفني ملوكهم وحكامهم، ويوجب عليهم سلب ما استطاعوا من مقتنياتهم بأية طريقة كانت، أما مع الوثنيين فلا تفعلوا لا خيراً ولا شراً، وأما مع النصارى فابذلوا كل جهدكم في سفك دمهم، وإذا شاهد يهودي مسيحياً على حافة هوة فليرم به إلى أسفل؛ لأن ممالك النصارى هي أكثر نجاسة من جميع الممالك، وحرام على اليهودي الخدمة عند الحاكم الوثني، وأما عند الحاكم النصراني فغير جائزة أصلاً وجريمة لا تغتفر، وكنائس النصارى كبيوت الضالين ومعابد الأصنام يجب على اليهود خرابها، وأناجيل النصارى عين الضلال والنقص، ويجب على اليهود إحراقها ولو كان اسم الله مدوناً فيها)[1].

(ومن ثم فإن العداوة بين أتباع (القديم) وأتباع (الجديد) لم تخمد منذ نشوب الخلاف حتى مطلع العصر الحديث. وقد شهدت ساحات فلسطين آثار استئصال المسيحيين الأوائل بواسطة اليهود المتحالفين مع الدولة الرومانية ـ على تخاصم يطرأ مرات بين الحليفين ـ، ولكن العداوة والبغضاء ظلت مشتعلة في نفوس اليهود على أتباع الصليب من الجيل الأول إلى الجيل الرابع، وهي فترة جعلت

---

(١) اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، ص ٤٩، إيليا أبو الروس.
وقال المؤلف: «وتاريخ اليهود حافل بتعصبهم اللئيم ضد المسيحيين وسائر الأديان، ففي سنة ١٣٥م حاولوا بقيادة باركوخبا المسيح الدجال إقامة مملكة، وذبحوا المسيحيين في القدس. وفي القرن السادس تجمعوا وأقاموا ملكاً مع السامريين وقتلوا المسيحيين. وفي أوائل القرن السابع ذبحوا المسيحيين في القدس وسائر فلسطين برعاية الفرس طمعاً في إقامة حكم ذاتي لهم. كل ذلك من أجل دولة يقيمونها على سفك الدماء والسرقة والغش، فباؤوا بفشل ذريع وتشتتوا في أنحاء الأرض، (لأن أعمالهم أعمال إثم، وفعل الظلم في أيديهم وأرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي، أفكارهم أفكار إثم، في طريقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل، من أجل ذلك ينتظرون نوراً فإذا ظلام) أشعيا (٥٩: ٦ـ ٩)»، والمرجع السابق، ص ١٣٦.

المسيحيين يتشردون في الأرض ويلقون عناداً وعنتاً لا يدانيه إلا ما لقيه اليهود فيما بعد على أيدي المسيحيين، حين عادت الغلبة والسلطة لهؤلاء، وذلك بعد تحول الإمبراطورية الرومانية على عهد قسطنطين للمسيحية، في الفترة ما بين ٣١٢ـ ٣٣٧م)[١].

(وحين رد المسيحيون على معذبيهم السابقين من اليهود؛ ردوا عليهم الصاع صاعين، والكيل كيلين، وتتبعوهم في كل المواقع، حتى بلغ هذا الاضطهاد قمته على عهد محاكم التفتيش ـ في أوروبا ـ في أواخر العصور الوسطى. ثم ظهرت مع طلائع العصر الحديث موجات العداء للسامية، فتعرض اليهود للكراهية والإبعاد والاضطهاد ثم الطرد من قبل المسيحيين في عدة دول؛ الأمر الذي جعل اليهود يتحسرون على عهود التسامح المشرقة التي شهدوها في ظل الخلافة الإسلامية والحكم الإسلامي، سواء كان ذلك في المشرق أو الأندلس المسلمة)[٢].

ويقرر جيمس هوسمر: (أن كل الأمم المسيحية اشتركت في اضطهاد اليهود وإنزال مختلف العنت بهم، وكانت القسوة مع اليهود تعد مأثرة يمتدح المسيحيون بعضهم بعضاً عليها)[٣].

(وهكذا صارت المسيحية في الوعي الجَمعي العام لليهود قرينة القتل الجماعي والتصفيات العرقية المتكررة، والمثول أمام محاكم التفتيش، والمعاناة من قرارات مصادرة الأملاك، وحملات التهجير القسرية والجماعية العامة، بل مصدر النزعات اللاسامية حتى بدايات هذا القرن)[٤].

(١) خلفية صراع أهل الأديان حول فلسطين ولبنان، ص ٢٧، د. محمد عثمان صالح.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٨.
(٣) اليهودية، ص ١٠٢، د. أحمد شلبي.
(٤) اليهودية عرض تاريخي، ص ٥٧، د. عرفان عبد الحميد فتاح.

=

(وفي تلك الفترة، لم تكن فلسطين تُذكر إلا على أنها أرض المسيح المقدسة، وظلت كذلك طوال مئات السنين القليلة التالية، إلى درجة أن الرجل الإنكليزي كان يقول: «حينما أموت ستجد فلسطين ساكنة في قلبي».

واستمرت فلسطين، كأرض مقدسة، تحتل مكاناً بارزاً في خيال أوروبا المسيحية وطموحاتها؛ سواء لأسباب اقتصادية أو سياسية أو دينية)[١].

لذلك فالكنيسة الكاثوليكية، وهي التي تمتد جذورها إلى أيام المسيحية الأولى، وترى أنها هي الكنيسة الوحيدة التي تجسم المسيحية بمبادئها وتراثها وتقاليدها وتعاليمها وطقوسها وصلواتها، لا تنسى دور اليهود في محاربة المسيحية منذ أيامها الأولى[٢].

والموقف التقليدي للكنيسة الكاثوليكية، خلال ما يقرب من ألفي عام، تجاه اليهود يقوم على ثلاث نظريات، حتى وقت انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٤م.

وهذه النظريات هي:

١ـ أن اليهود بقتلهم يسوع (المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام)؛ قد قتلوا

= (وإن المواقف العدائية التي تعبر عن نفسها في إنجيل متى؛ قد انتهت إلى تشجيع وتغذية المشاعر المعادية لليهود بين النصارى منذ القرن الثاني الميلادي وحتى القرن الثامن عشر الميلادي. إن الإنجيل الرابع، أكثر من أي مصدر آخر، كان المسؤول عن تكرار مشاعر اللاسامية بين النصارى طيلة القرون الثمانية عشرة الماضية، خاصة تشخيص اليهود أنهم قتلة المسيح)، المصدر السابق، ص ٥٧.

فاليهود في نظر مسيحيي أوروبا، هم أعداء المسيح وقتلته. وهاجمتهم الجماهير الشعبية وبخاصة في إنكلترا، وأعملت فيهم ذبحاً وتنكيلاً، ومن نجا منهم قام بذبح زوجته وأطفاله ثم قتل نفسه بيديه، كما كانت هذه الجماهير تصادر ممتلكاتهم وأموالهم)، البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ١٩، د. يوسف الحسن.

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني، ص ٢٠، د. يوسف الحسن.

(٢) نحن والفاتيكان وإسرائيل، ص ٢٢، أنيس القاسم.

الرب ـ على زعمهم ـ ، فهم الشعب (قاتل الإله).

٢ ـ والشعب المختار من الرب منذ ذلك الوقت هو الكنيسة.

٣ ـ والعهد القديم تجسيد رمزي مسبق للعهد الجديد[١].

فلم (يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي، قبل عهد الإصلاح الديني، أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين، أو لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية. وكان القساوسة الأوائل يرفضون التفسير الحرفي للتوراة ويفضلون الأساليب الأخرى للتفسيرات اللاهوتية، وبخاصة التفسيرات المجازية التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسيرات التوراتية كما وضعته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية)[٢].

(وعلى ضوء العهد الجديد؛ فسرت الكنيسة الكاثوليكية كل الإشارات والتنبؤات المتعلقة باليهود في الكتاب المقدس تفسيراً جديداً، يستبعد أي مضمون سياسي للنصوص قد يعني قضائية عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها) [٣].

(وكان يعتقد أن الفقرات الواردة في أسفار العهد القديم والتي تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين؛ لا تنطبق على اليهود بل على الكنيسة المسيحية مجازاً)[٤].

فاليهود إذن طبقاً للفكر الكاثوليكي الرسمي قد اقترفوا آثاماً وجرائم في حق المسيح ـ عليه السلام ـ والمسيحيين، حُكم عليهم بسببها باللعنة والشتات والضياع، فانتهى ما يسمى بالأمة اليهودية، حيث طُردوا من فلسطين، وأرسلوا

(١) فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ص ٢٢١، رجاء جارودي.
(٢) الصهيونية غير اليهودية، ص ٢٦، ريجينا الشريف، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز.
(٣) النبوءة والسياسة، ص٦، مقدمة الناشر، ترجمة محمد السماك، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا.
(٤) الصهيونية غير اليهودية، ص ٢٦، ريجينا الشريف، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز.

سبايا إلى آشور وبابل، واضطُهدوا من قِبَل اليونان، وتشتتت وحدتهم عن طريق الرومان، فقُطّعوا في الأرض أمماً، وفُرقوا في الدنيا، فليس لهم ـ على رأي الفكر الكاثوليكي ـ مستقبل قومي جماعي، ولكنهم كأفراد، يستطيعون أن يجدوا الخلاص الروحي باعتناقهم المسيحية؛ إذ لم تعد هناك إسرائيل يتحقق خلاصهم بالعودة إليها إلا (إسرائيل الجديدة) الحقة وهي (الكنيسة الكاثوليكية)، وبهذا رفضوا أن يُطلق على القدس (صهيون اليهودية) بل أسموها مدينة العهد الجديد، واعتبروها (الوطن المقدس) الذي ورّثه المسيح لهم، واستودعهم إياه حتى يعود ثانية. فالفقرات الواردة في العهد القديم التي تتنبأ بمستقبل مشرق لإسرائيل؛ كانت تُحمل على أنها تنطبق على الكنيسة المسيحية الوريث المباشر للديانة اليهودية[١].

(وتبعاً لهذا المنطلق الكاثوليكي؛ لم يعد هناك مجال للتمسك بحلم مجيء مسيح آت يُخلّص اليهود ويقيم مملكة الله (مملكة يهوه) على الأرض، فالمسيح الذي بشرّت بمجيئه النبوءات الواردة في أسفار العهد القديم قد جاء بالفعل، و (الفداء) الذي تحدثت عنه تلك النبوءات قد حدث بالفعل، ولكن لكل البشر الذين افتداهم الناصري، و (الخلاص) قد بات في متناول كل البشر بما علمهم به، وأن مسيرة التاريخ اكتملت بقيامها مملكة لله على الأرض)[٢].

(وهي التي تجسد مملكة الله الألفية السعيدة)[٣].

ففي الفكر الكاثوليكي (فلسطين تعتبر أساساً الوطن المقدس الذي أورثه

---

(١) انظر إلى: المسيحية والتوراة، شفيق مقار، ص٢٦، والصهيونية غير اليهودية، ص٢٦، ٢٧، والصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص٣٥، وحُمّى سنة ٢٠٠٠، د. عبد العزيز كامل، وفلسطين أرض الرسالات، ص٢٢١، والنبوءة والسياسة، ص٧.

(٢) المسيحية والتوراة، شفيق مقار، ص ٦٢.

(٣) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، ص ٢٧.

المسيح لأتباعه المسيحيين)[١]، و(القدس مدينة العهد الجديد)[٢].

ولكن ما لبثت أهمية فلسطين و (أورشليم - القدس - أن تناقصت في نظر الكنيسة، ولا سيما بعد عام ٥٩٠م، ففي عهد البابا جريجوار الأكبر، والذي كان جالساً على كرسي البابوية مركز السلطة المسيحية، منح الأولوية نهائياً لروما، وبذلك لم يعد للقدس دور في القيادة الروحية، لم تعد سوى مكان للحج، ولم تستعد قيمتها باعتبارها مركزاً للاهتمام إلا عندما ولدت فكرة الحروب الصليبية)[٣]، وشنتها أوروبا على الأمة الإسلامية بقصد احتلال فلسطين.

المطلب الثاني: ما حصل في هذا الموقف من تغيير:

إلى عهد قريب والكنيسة الكاثوليكية بمركزها الديني في الفاتيكان؛ كانت محافظة على موقف ثابت من المسألة اليهودية، يقوم على رفض التصالح مع

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الصهيونية المسيحية، ص ٣٥.

(٣) فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ص٢٢١. وأيضاً: المسيحية والتوراة، ص٦٣، والصهيونية غير اليهودية، ص ٢٨.

ويقول أحد النصارى من الكنيسة الشرقية (الأرثوذكسية)، وهو د. مراد كامل: (ويدرك المتعمق في فهم وحي الأنبياء في العهد القديم أن الوعد الإلهي قصد به جميع البشر، ولم يقتصر على اليهود أو الصهيونيين. وأن التعبيرات المختلفة الدالة على معان مثل (النصر) و(الخلاص) تشير إلى مفهوم ديني وروحي، وليس المقصود بها الغزو أو الحط من قدر الأعداء السياسيين.

ومن الواضح أن المصطلح (إسرائيل) أو (إسرائيل الجديدة) أو (إسرائيل الإلهية) في العهد الجديد ينطبق على الكنيسة المسيحية المثلى أو على جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمعنى الديني.

والواقع الذي لا يتطرق إليه شك أنه لا يوجد مؤمن مسيحي يعتقد بالعهد الجديد؛ يخلط بين (إسرائيل الجديدة) التي قامت على المكائد والاحتيال والقوة الحربية، مصحوبة بحرمان أهل فلسطين من حقوقهم بطريقة قاسية خالية من الرحمة والإنسانية، وتجريدهم من ممتلكاتهم، وطردهم من أوطانهم في عنف وظلم؛ و (إسرائيل الإلهية) التي يعتقد بها المؤمنون من المسيحيين. فكل من الاعتقادين يعارض ويخالف ويناقض الآخر تمام المخالفة، وهذا يفسر المعضلة السيكولوجية ذات الوجهين عند الكثير من المسيحيين الشرقيين)، إسرائيل في التوراة والإنجيل، د. مراد كامل، ص١٧.

اليهود، ورفض فكرة قيام كيان صهيوني في فلسطين من منطلق لاهوتي، فكانت معارضة للحركة الصهيونية منذ مؤتمرها الأول في بال السويسرية عام ١٨٩٧م، ومعارضة للهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين. وقد أكد ذلك البابا بيوس العاشر في لقائه مع الزعيم اليهودي الصهيوني هرتزل في ٢٦/ ١/ ١٩٠٤م[١].

فارتأت (الصهيونية أن من أهم العوامل التي تضمن لها النجاح في حملتها لتدعيم خططها، وإضعاف الموقف الإسلامي والعربي، إعادة كتابة التاريخ الذي يروي علاقة اليهود بالكنيسة، وبالينبوع الذي صدرت عنه الديانة المسيحية)[٢].

(لهذا ركزت الحركة الصهيونية جهدها لتدخل إلىٰ الدوائر الكاثوليكية العليا؛ سعياً وراء تعديل موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود، وبالتالي من أمانيهم، وعلىٰ الأخص فيما يتعلق بإسرائيل)[٣].

(فشكلت الصهيونية الجمعيات المسيحية اليهودية في شتىٰ بقاع العالم، فدست يهوداً متنصرين علىٰ الكهنوت الكاثوليكي، ثم ألقت بثقلها علىٰ أبواب الفاتيكان تدقه بعنف وإصرار، وهي تحاول جاهدة أن تفتحه لإسرائيل تمهيداً لاعتراف الفاتيكان بها. وما يمثله هذا الاعتراف من قوة أدبية ضخمة لإسرائيل والصهيونية في كافة أنحاء العالم)[٤].

وقال هرتزل: (أردت أن أحل مشكلة اليهود في النمسا علىٰ الأقل بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية، وأردت أن أضمن لنفسي مساعدة رؤساء الكنيسة قبل أي شيء، وأن أحصل علىٰ مقابلة البابا بواسطتهم لكي أقول له: دافع عنّا أمام اللاسامية، وسأقوم أنا بتأسيس حركة قومية لليهود؛ بحيث يقومون بتغيير دينهم

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٥٦، والنبوءة والسياسة، ص ٧، ٨.
(٢) الصهيونية في الستينات ـ الفاتيكان واليهود ـ محمود نعناعة، ص ٧.
(٣) نحن والفاتيكان وإسرائيل، أنيس القاسم، ص ١١.
(٤) الصهيونية في الستينات، محمود نعناعة، ص ٨.

إلى المسيحية وهم فخورون وبإرادتهم الحرة. أما زعماء الحركة وبخاصة أنا، فسنبقى يهوداً، وكيهود سننصح وسنوصي بقبول الدين السائد، وسنُغيّر دين أولادنا إلى المسيحية)[١].

(فالكنيسة الكاثوليكية لم تعلن موافقتها على وعد بلفور حينما أُعلن عنه عام ١٩١٧م، وظلت على موقفها من معارضة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وحافظت على علاقات طيبة مع الجماعة اليهودية، وكانت تبريرات الكنيسة الكاثوليكية لهذه المواقف تشير دائماً إلى التزامها بموقف البابا وتعاليمه، والقائمة على أسس دينية وإنسانية تتعلق بالمسيحيين العرب في فلسطين.

وقد اعتمد الفاتيكان عند قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م، واعتمدت معه كذلك الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية، موقفاً صامتاً لا يعترف بها ولا يدين قيامها، وأخذ يبدي اهتماماً أكثر بتدويل القدس ومسألة اللاجئين العرب)[٢].

وبما أن للبابا قداسته وعصمته، وهو المرجع الأول والأخير في أمور الدين واللاهوت في الكنيسة الكاثوليكية، وهذا التماسك والمركزية هما اللذان حافظا على وحدة العقيدة الكاثوليكية، وعلى السير في خط واحد لا يملك أحد العدول عنه إلا بقرار بابوي، لهذا كان البابا نفسه هو الهدف الذي ركزت عليه الصهيونية وأعوانها جميع أسلحتها[٣].

نشطت الحركة الصهيونية ومن يشايعونها نشاطاً كبيراً في الفترة التي سبقت انعقاد المجمع المسكوني عام ١٩٦٣م، وفي الفترة التي انقضت بين انعقاد دورات المجمع الأربع.

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٥٦.
(٢) المرجع السابق، ص ٥٦، ٥٧.
(٣) نحن والفاتيكان وإسرائيل، أنيس القاسم، ص ٢٣.

وكان هذا النشاط يرمي إلى عدة أهداف:

الهدف الأول: التقليل من نظام المركزية في الفاتيكان واتباع نظام اللامركزية، حيث المطالبة بتوسيع اختصاصات كبار رجال الكنيسة في أماكن وجودهم، وهذه الخطوة الأولى لاحتمال ظهور تباين في ممارسة هذه السلطة التقديرية بين جهة وأخرى، وقد استجاب البابا بولس السادس إلى هذه الدعوة، فأعلن في خطابه الذي ألقاه في المجمع في ٢١/ ٩/ ١٩٦٣م؛ أنه لا يعارض في إشراك ممثلين عن الكنيسة معه في ممارسة السلطة العليا. وتنفيذاً لذلك فقد أعلن البابا في الدورة الرابعة والأخيرة للمجمع بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٩٦٥م؛ أنه استجابة لرغبة المجمع، قرر إنشاء مجلس من البطاركة يساعده في شؤون الكنيسة، ويستشيره فيما يرى من أمور[١].

الهدف الثاني: إثارة الرأي العام ضد البابا بيوس الثاني عشر، وبالتالي ضد الفاتيكان، لموقفه من اضطهاد الحركة النازية لليهود[٢]. والغاية من وراء هذا

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٤، ٢٥، ٢٦. ثم قال المؤلف: (وحتماً سيكون من بين هؤلاء أمريكيون، وسيكون الأمريكيون كما هم دائماً؛ دعاة مخلصين للأهداف الصهيونية)، ص ٢٥.

(٢) وهذا ما حصل عن طريق مسرحية (المندوب) التي أثارت الكثير من الجدل والنقاش.

قيل: إن مؤلف هذه المسرحية شاب ألماني اسمه دولف هوخهوث، وكان عمره ٣٢ سنة، بروتستانتي المذهب، كان في وقت من الأوقات من أتباع حركة (الشباب النازي)، وشُهّر به على أنه ميال للشيوعية، وعلى أنه لا سامي، فوقع فريسة ممتازة للحركة الصهيونية. فإذا سار معها فإنه لا يُبلّغ عنه، ولا يوشى به، ولا يقدم للمحاكمة كما قُدم غيره من النازيين السابقين، والثمن هو مسرحية المندوب.

والنقطة الأساسية في المسرحية هي ما يدعيه المؤلف من أن البابا بيوس الثاني عشر قد رفض أن يدين علانية قتل النازيين لليهود الأوروبيين، فقد كان قداسة البابا يعتبر هتلر حاجزاً ضرورياً يفصل بين الشيوعية السوفييتية والغرب المسيحي.

ويعتقد المؤلف أن البابا، بوصفه الرجل الأول في أقوى كنيسة في العالم، كان الرجل الوحيد الذي قد يؤدي احتجاجه الرسمي إلى كبح جماح هتلر، غير أن البابا - في زعم المؤلف - ظل صامتاً. ويقول المؤلف في ملحق للرواية: (لم يحدث في التاريخ أبداً أن دفع هذا العدد الكبير=

الحصول على بيان من المجمع المسكوني يساعد الحركة الصهيونية في أطماعها في فلسطين والوطن العربي، وإن اكتسى البيان بالصبغة الدينية.

الهدف الثالث: الزج برجال الكنيسة الكاثوليكية في القضية الصهيونية، والفوز بتأييدهم أمام شعوبهم.

الهدف الرابع: تفسير الكتاب المقدس أو تحريفه تفسيرًا أو تحريفاً يؤدي إلى إعادة كتابة دور اليهود في اضطهاد المسيحيين الأوائل، وعلى الأخص فيما يتعلق بموضوع صلب المسيح(١).

= أرواحهم ثمناً للنظرة الصليبية لسياسي واحد).
فالمؤلف في هذه المسرحية لم يكتف بإثارة الجدل حول موقف قداسة البابا، وإنما أدانه، وفتح الباب واسعاً لتوجيه النقد أو اللوم أو الاتهام إلى كل شخص في الكنيسة الكاثوليكية مهما علت مرتبته؛ إذا كانت قراراته لا تروق للحركة الصهيونية.
واستمرت الحملة على قداسة البابا بيوس الثاني عشر، ففي الولايات المتحدة أصدر أستاذ يهودي اسمه جونتر ليفي كتاباً أسماه (الكنيسة الكاثوليكية وألمانيا النازية). وكان محور البحث في هذا الكتاب؛ ما إذا كان البابا بيوس الثاني عشر قادراً على وقف قتل اليهود على يد النازيين؟
لقد سقطت الهالة عن قداسة البابا وأسقطتها الحركة الصهيونية.
انظر: نحن والفاتيكان وإسرائيل، أنيس القاسم، ص ٢٦ - ٣٠. وحول مسرحية (المندوب) وأثرها في ضعف مكانة قداسة البابا، واهتزاز مكانة الفاتيكان أمام الحركة الصهيونية؛ انظر: الصهيونية في الستينات، ص ٥٠، وحول كتاب (الكنيسة الكاثوليكية وألمانيا النازية)، انظر: المرجع السابق، ص ٥٥.

(١) وقد ظهرت حركة قوية في الكنيسة الكاثوليكية لإعادة تفسير الكتاب المقدس باستعمال طرق النقد الحديثة التي يستعملها البروتستانت واليهود. وبعد استنكار هذه الحركة مدة من الزمن أخذت الآن تنال قبولاً في الأوساط الكاثوليكية. وكجزء من هذا الاتجاه؛ فإن خمسة من العلماء اليهود اشتركوا في إعداد ترجمة جديدة للكتاب المقدس. وتضم هذه اللجنة، فضلاً عن اليهود الخمسة، سبعة من الكاثوليكيين، وخمسة عشر من البروتستانت. وقد صدر الجزآن الأول والثاني من هذه الترجمة في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٤م.
وكجزء من هذه الحملة المركزة لإعادة تفسير الكتاب المقدس، بدأ الحاخامات اليهود في أمريكا نشاطهم داخل الكنائس المسيحية مباشرة، فخطبوا فيها، واشترك العلماء اليهود والبروتستانت في دورة مدتها ثمانية أسابيع، لدراسة الكتاب المقدس الكاثوليكي. وفي كلية (يونيون العبرية)=

وقد تُوِّجت جهود الصهيونية المكثفة على الكنيسة الكاثوليكية والفاتيكان بنجاحها في (اكتساب عدد من الأنصار - من بين صفوف أعضاء المجمع المسكوني المقدس - الذين طلبوا إلى المجمع المسكوني أن يستنكر التيارات المعادية لليهود في العالم، وأن يلغي من الصلوات المسيحية تلك العبارات التي تسيء إلى اليهود، وأن يصدر وثيقة تبرئ اليهود من مسؤولية صلب المسيح، وإلقاء هذه المسؤولية على الجنس البشري كله)[١].

وفي ٢٠/ ١١/ ١٩٦٤م صدرت هذه الوثيقة بقلم الكاردينال بيا الألماني[٢].

وقال هذا الكاردينال في معرض دفاعه عن وثيقة التبرئة: (إن الكنيسة ما هي إلا استطراد لشعب إسرائيل المختار)، (إن الكنيسة لا يمكن أن تنسى أن المسيح جاء في الجسد من نسل إبراهيم، وأن أمه المباركة، وكذلك الرسل، هم أيضاً من نسله)[٣].

وقال الأب جوزيف جاكسون الأمريكي: (إذا كنا نلوم اليهود لموت المسيح فيجب أن نثني عليهم لمولده)[٤].

= يوجد ٢٥ طالباً مسيحياً يدرسون دراسات عالية. مجلة تايم ٢٧ سبتمبر (آذار) ١٩٦٤م، و٢٩/ ٥/ ١٩٦٤م. نقلاً عن كتاب: نحن والفاتيكان وإسرائيل، أنيس القاسم، ص ٣٢، ٣٣.
فالحركة الصهيونية، ومعها عدد كبير من اليهود من ذوي الخبرة والنفوذ، وعدد آخر من غير اليهود ممن تأثروا لسبب أو لآخر بالحركة الصهيونية، تركز تركيزاً كبيراً على الكتاب المقدس، وإن هذا التركيز ظهر بصورة واضحة قبيل انعقاد المجمع المسكوني، وفي أثناء انعقاد دورتيه الأولى والثانية، وفيما بعد ذلك.
وإن الاتجاه في هذا التركيز هو إعادة تفسير نصوص الكتاب المقدس - سواء ما تتبناه الكنيسة الكاثوليكية أو الكنائس البروتستانتية - تفسيراً يلائم النظرة اليهودية، وإنه ينصبّ الآن على علاقة اليهود بصلب السيد المسيح، ثم سيتطور ولا شك ليشمل النواحي الأخرى التي تهم الحركة الصهيونية، ومن بينها تفسير النصوص الخاصة بعودة اليهود إلى فلسطين. المرجع السابق: نحن والفاتيكان وإسرائيل، ص٣٤، ٣٥.

(١) الصهيونية في الستينات - الفاتيكان واليهود -، محمود نعناعة، ص ٨.
(٢) نحن والفاتيكان وإسرائيل، ص ٥٧، ٥٨، ٦٠، وموسوعة فلسطين والوعد الحق، ص ٢٧.
(٣) الصهيونية في الستينات - الفاتيكان واليهود -، ص ٧٦.
(٤) المرجع السابق.

وقال الزعيم الدومينكاني في إنجلترا هنري سانت: (إن اضطهاد اليهود عمل شرير، وعلى أية حال فنحن بمعنى من المعاني كلنا يهود لأن يسوع كان يهودياً، والدين الذي كان يزاوله كان دين اليهود)[١].

وفي عام ١٩٧٣م صدر عن اللجنة الأسقفية الفرنسية الكاثوليكية الخاصة بالعلاقات مع اليهود بيان يؤكد ما أسماه حق الشعب اليهودي في كيان سياسي، وقد جاء فيه: (فيما يتجاوز الاختلاف المشروع في الخيارات السياسية لا يستطيع الضمير العالمي بأن يرفض للشعب اليهودي الذي عرف تقلبات عديدة عبر تاريخه؛ الحق في وجود سياسي بين الأمم والوسائل اللازمة لذلك)[٢].

وفي عام ١٩٧٦م تراجع الفاتيكان عن التصديق على البندين (٢٠و٢١) من توصيات ندوة الحوار الإسلامي ـ المسيحي التي عقدت في طرابلس بليبيا في شهر فبراير بعد أن كان الوفد المسيحي قد وقّعهما.

وكان قد جاء فيهما:

البند (٢٠): إن الجانبين ينظران إلى الأديان السماوية نظرة احترام، وعلى هذا فإنهما يفرقان بين اليهودية والصهيونية[٣]؛ باعتبار الصهيونية حركة عنصرية عدوانية أجنبية عن فلسطين وعن كل منطقة الشرق.

البند (٢١): إن التزام الحق والعدل، والحرص على السلام، والإيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها يحمل كلا الجانبين على تأكيد الحقوق الوطنية للشعب

---

(١) المرجع السابق.

(٢) النبوءة والسياسة، ص ١٢.

(٣) اختلف الباحثون في مسألة الصهيونية وعلاقتها باليهودية، فمنهم من يرى أنهما مختلفان، ومنهم من يرى أنهما متفقان، فهما وجهان لعملة واحدة، وأن الصهيونية ما هي إلا الجهاز التنفيذي للعقائد اليهودية.

والذي أذهب إليه وأرجحه القول الثاني في هذه المسألة، وهو أن الصهيونية واليهودية لا تفترقان، وأن الصهيونية حركة دينية عنصرية سياسية استعمارية متطرفة تستمد أصولها من عقائد التوراة ـ المحرفة ـ، وشرائع التلمود ـ المختلقة ـ.

الفلسطيني، وحقه في العودة إلى دياره، وعلى تأكيد عروبة مدينة القدس، ورفض مشروعات التهويد والتقسيم والتدويل. واستنكار كل مساس بحرمة الأماكن المقدسة. ويطالب الجانبان بإطلاق سراح المعتقلين في فلسطين المحتلة، وفي طليعتهم علماء المسلمين ورجال الدين المسيحي، كما يطالبان بتحرير جميع الأراضي المحتلة، ويدعوان إلى تأليف لجنة دائمة للتحقيق في محاولات تغيير الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، وكشف ذلك أمام الرأي العالمي[(١)].

فالفاتيكان أصبح معترفاً بالوجود الصهيوني، ولم يعد يطالب بتدويل القدس كما كان الشأن سابقاً، بل أصبح همه محصوراً في إيجاد ضمانات لحرية ممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان في القدس[(٢)]، فهو معترف بإسرائيل، يجتمع بممثليها ومبعوثيها، وقد اجتمع باباوات الفاتيكان بعدد من المسؤولين الإسرائيليين في العقدين الأخيرين، ومن بينهم غولدا مائير (رئيسة وزراء إسرائيل السابقة)[(٣)]، والتي قامت بزيارة للفاتيكان في ١٥/ ١/ ١٩٧٣م،

---

(١) النبوءة والسياسة، من مقدمة الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، طرابلس، ص ١٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

(٣) غولدا مائير (١٨٩٨ - ١٩٧٨م): سياسية صهيونية، تولت رئاسة الوزراء من عام ١٩٦٩م - ١٩٧٤م. ولدت في روسيا، وكان اسمها (غولدا مايرسون مايوفيتش)، هاجرت مع عائلتها عام ١٩٠٦م إلى الولايات المتحدة، وانضمت إلى حزب عمال صهيوني عام ١٩١٥م. وفي عام ١٩٢١م هاجرت إلى فلسطين حيث نشطت للعمل في حركة الكيبوتز، وانتخبت عام ١٩٣٤م عضواً في قيادة الهستدروت، وتولت في مرحلة لاحقة رئاسة الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية.
قامت أثناء حرب ١٩٤٨م بجمع ٥٠٠ مليون دولار من يهود الولايات المتحدة الإمريكية لشراء أسلحة ومعدات قتالية للتنظيمات العسكرية الصهيونية، عُينت أول سفيرة لإسرائيل في موسكو في أعقاب إعلان الدولة اليهودية، وفي عام ١٩٥٦م عُينت وزيرة للخارجية إلى عام ١٩٦٦م، وبعد حرب حزيران - يونيو ١٩٦٧م تولت منصب السكرتير العام لحزب العمل الإسرائيلي الموحد، وبعد موت رئيس الوزراء الإسرايلي (ليفي إشكول) عام ١٩٦٩م تولت رئاسة الوزراء.
اشتهرت مائير بكراهيتها الشديدة للمسلمين، وتمسكها بالأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧م، وبإنكارها وجود الشعب الفلسطيني. قدمت استقالتها عام ١٩٧٤م بعد حرب حزيران تشرين الأول - أكتوبر ١٩٧٣م. انظر: موسوعة السياسة، (٥/ ٦١٧)، د. عبد الوهاب المسيري.

والتقت البابا بول السادس.

وصارت إسرائيل بعد حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧م على جدول أي حوار يهودي - كاثوليكي، وظلت القدس على رأس الاهتمامات الكاثوليكية، وجاءت بعدها مسألة الطموحات المشروعة للاجئين الفلسطينيين[١].

ومنذ ذلك الحين أخذت الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة الأمريكية تشهد مظاهر مؤيدة لإسرائيل، سواء داخل صحافتها أو في مواعظ وبيانات بعض قياداتها وفي بعض مؤتمراتها. وقد ساعد على ذلك توافر المناخ السياسي المؤيد للاتجاهات الصهيونية داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

ويعدُّ المقال الذي كتبه الأسقف أوستريشر من أشهر البيانات الواضحة في تأييدها للصهيونية السياسية. وقد ذكر المقال أن (القدس مدينة يهودية)، وطالب المسيحيين بالاعتراف اللاهوتي بالصهيونية معتبراً أن إسرائيل هي تعبير عن (إرادة الله)[٢].

وفي شهر مارس عام ١٩٨٢م أصدر الفاتيكان وثيقة حول القضية الفلسطينية والكيان الصهيوني جاء فيها: (إن تاريخ إسرائيل هو تاريخ متواصل، وإن انتشار إسرائيل في الأرض شهادة تاريخية بطولية لثقتها بالرب، وهي تحتفظ دائماً في قلبها بذكر أرض الأحرار، وإن وجود الدولة التاريخية أمر تاريخي هو علامة للتفسير في اتجاه واضح للرب)[٣].

(ويُقدِّر معهد غالوب عدد الأصوليين ممن يتبنون الاتجاهات الصهيونية، ويعتبرون أنفسهم أصوليين، بأكثر من ثمانية ملايين كاثوليكي من مجمل تعداد الطائفة الكلي البالغ ٥٢ مليوناً و ٧٧٤ و ٨٨، في عام ١٩٨٢م)[٤].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني، د. يوسف الحسن، ص ٥٨.

(٢) مجلة نيويورك تايم ٢٦ مايو ١٩٧١م، نقلاً عن المرجع السابق.

(٣) النبوءة والسياسة، مقدمة الناشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، طرابلس، ص ١٢.

(٤) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٥٩.

ومن الجدير بالذكر: أن أكثر الكاثوليك خروجاً على الخط السياسي العام المتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي، هم السياسيون الملتزمون بالكنيسة المنظمة.

ومن الأمثلة على ذلك تلك الرسالة التي وقّعها أكثر من عشرين نائباً كاثوليكياً في مجلس النواب الأمريكي، والتي سلّمها إلى البابا ممثلون عنهم في ٢٣/ ١١/ ١٩٨٤م. وقد طالبت الفاتيكان بالاعتراف بإسرائيل، وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، ودعت البابا (إلى تدخله الشخصي لتحقيق التأكيد البارز الذي يربط عالم الكاثوليك باليهود)[١].

وبهذا نجحت الحركة الصهيونية اليهودية في أن تُدخِل الكنيسة الكاثوليكية في فلكها، بعد أن ضمنت من قبل الكنائس البروتستانتية، حتى يتسنى لها أن تُنَفِّذ أمانيها، وعلى الأخص فيما يتعلق بدولتهم إسرائيل، بكل يسر وسهولة، وخاصة في ظل الضعف الإسلامي العام.

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٠.
علماً بأن بعد كل هذه التنازلات من الجانب المسيحي من الناحية العقائدية لليهود، فإن اليهود لم يتنازلوا عن شيء للمسيحية من الناحية العقائدية، فقد اعترفت اليهودية بأن المسيحية دين سماوي للأممين فقط وليس لليهود، وأن هذا الاعتراف من الناحية العملية وليس من الناحية العقائدية التي يجب أن يعتقدها كل يهودي. وردت على المسيحية بقولهم: إن الله لا يستحيل بشراً، وإنما يظل إلهاً ولا يموت على الصليب (وكأنه رجل مهجور)؛ إذ ببقائه إلهاً، لا بموته على الصليب، يعبر عن حبه للإنسان. وإن اليهود ليسوا في حاجة لأن يضحي المسيح من أجل خلاصهم، فخلاصهم مضمون بعودتهم إلى التوراة.
ضمن هذه الحدود الضيقة؛ فإن اليهودية تعترف بالمسيحية. ويجب على المسيحية - والحالة كذلك - أن تعترف أن اليهود هم شعب الله المختار، وبأن الميثاق قد أعطاه الله للشعب اليهودي فقط، وأن ترى الكنيسة صنع الله لا في العهد القديم فحسب، وإنما فيما تلاه في العصور اللاحقة إلى يومنا هذا في إسرائيل.
انظر: نحن والفاتيكان وإسرائيل، أنيس القاسم، ص٤٥ - ٤٩.

المبحث الثاني
موقف الكنيسة البروتستانتية[(١)]

ذكرت في المبحث السابق أن أوروبا قبل القرون الأربعة الأخيرة، وخاصة في القرون الوسطى، (لم تكن تعتبر اليهود الشعب المختار الذي قُدر له أن يعود للأرض المقدسة، وإذا كان اليهودي مختاراً لأمر فإنه اللعنة. وكان اليهود يُعتبرون مارقين، ويُوصمون بأنهم قتلة المسيح. ولم تكن هناك ذرة من حب عاطفي للمجد القديم للجنس العبري، كما لم تكن هناك أدنى بارقة أمل في إعادة بعث اليهود روحياً أو قومياً، ولم تكن هناك أدنى فكرة عن تملك اليهود لفلسطين، وكانت إسرائيل تعني مجرد اسم لديانة، بل ديانة دنيا)[(٢)].

وكانت (الصهيونية غير اليهودية)[(٣)] أو (المسيحية المتهودة أو الأصولية المسيحية)[(٤)] غائبة تماماً عن أوروبا في القرون الوسطى.

بدأت رياح التغيير في الموقف المسيحي تجاه اليهود مع بداية مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات المسيحية واليهودية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي؛ حين برزت حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في الكنيسة المسيحية[(٥)].

---

(١) ليس المقصود من هذا المبحث الدراسة التاريخية لنشوء الحركة البروتستانتية في ألمانيا والأراضي المنخفضة (هولندا) وفرنسا وباقي الدول المسيحية، وتمكنها من إنجلترا وفي الولايات المتحدة منذ اكتشافها، وأسباب ذلك النشوء وهذا الانتشار. ولكن المقصود عرض العقائد البروتستانتية المتعلقة باليهود وبالمسيح المنتظر وأرض فلسطين، وأثر هذه العقائد على الساسة ورجال الدين النصارى فيما يتعلق بفلسطين وتكوين الدولة اليهودية الحالية فيها.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، ص ٢٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، جورجي كنعان، ص٣٣. والمقصود بهاتين التسميتين الإصلاح الديني البروتستانتي، في الكنيسة المسيحية.

(٥) النبوءة والسياسة، ص ٩، البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ٢١.

كانت المبادئ البروتستانتية التي وضعتها حركة الإصلاح الديني مغايرة تماماً للمبادئ الكاثوليكية السابقة[١].

وهذه المبادئ البروتستانتية منها ما حدث في الماضي، ومنها ما سيحدث بعد ذلك.

فمن الأمور والأحداث التي حدثت في الماضي:

١ ـ أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم.

٢ ـ أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة، فلسطين وما حولها، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الرب لإبراهيم ـ عليه السلام ـ هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة، مع أن الرب عاقب اليهود لمخالفتهم تعاليمه، ولكن هذه المخالفة لم تؤثر في وعده لشعبه المختار، ففلسطين لهم كمكان لمعبد ربهم وموقع لمملكتهم (إسرائيل).

وهناك أمور ستحدث بعد ذلك:

١ ـ أن خطة الرب تتضمن العودة الثانية للمسيح للتبشير بمملكة الرب.

٢ ـ أن ذلك مشروط باستعادة إسرائيل بوصفها شعباً مختاراً لأرضها الموعودة، من أجل تمهيد المكان للمجيء الثاني للمسيح[٢].

(هذه الأدبيات اليهودية التي تسربت إلى صميم العقيدة المسيحية، وهي التي ألفت في الماضي، وتؤلف اليوم قاعدة الصهيونية المسيحية التي تربط الدين

---

(١) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ٢٩.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص١١، يوم الغضب، ص١٢، والصهيونية المسيحية، ص٣٤، والصهيونية غير اليهودية، ص ٢٤، ٢٥، والنبوءة والسياسة، ص ٩٤، ٩٥، والأصولية المسيحية، ص ٣١، ٣٢، حمّى سنة ٢٠٠٠، ص ١٤٢.

بالقومية، والتي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية)[١].

لذلك سُميت هذه الحركة بمبادئها بأنها (بعث عبري أو يهودي) أو (المسيحية المتهودة)، وتولدت عنها وجهة نظر جديدة عن الماضي والحاضر اليهودي، وعن مستقبله بشكل خاص[٢].

وكذلك سُميت (الصهيونية غير اليهودية)[٣].

---

(١) الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٣٤.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ص ٢٩، والأصولية المسيحية، ص ٣٣.

(٣) تقول ريجينا الشريف: «فالتعاليم الصهيونية غير اليهودية قائمة على مجموعة من الأساطير الصهيونية التي تسربت للتاريخ الغربي، وكان أكثرها وضوحاً ما تم عبر حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في القرن السادس عشر. وهذه الأساطير أصبحت تشكل في النهاية المنطق الروحي الباطني للصهيونية اليهودية السياسية، وهي أساطير الشعب المختار والميثاق وعودة المسيح المنتظر. وقالت أيضاً: هي مجموعة من المعتقدات المنتشرة بين غير اليهود والتي تهدف إلى تأييد قيام دولة قومية يهودية في فلسطين بوصفها حقاً لليهود، طبقاً لبرنامج بازل». الصهيونية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، ص١٠ ـ ٢٤.

أما قولها: (إن تعبيريْ «الصهيونية غير اليهودية» أو «المسيحية» التقليديين مضللان؛ لأنهما يوحيان الآن بحماس مسيحي للصهيونية تمليه الحجج الإنجيلية اللاهوتية، مع أن الدوافع السياسية لأنصار الصهيونية من غير اليهود هي التي تشكل في الوقت الراهن الجزء الأساسي من بنية الصهيونية غير اليهودية). انظر: ص١٠ من المرجع السابق.

فقد أخطأت في ذلك، ولنعلم أن الدين هو المحرك للغرب المسيحي، خاصة فيما يتعلق بأمور كبيرة في ديانتهم؛ مثل التبشير، ونزول المسيح، ومعركة آخر الزمان (هرمجدّون)، والألفية السعيدة كما سيمر معنا ـ إن شاء الله ـ، وغيرها من مثل علاقتها بالحروب ضد المسلمين خاصة الذين هم بين أظهرهم مثل البوسنة والهرسك وكوسوفو، أو خارج أراضيها مثل الشيشان.

وأن ما يظهر من حياة عَلمانية عندهم إنما هي مسألة طارئة في حياتهم ستنتهي مع مرور الزمان وسيبقى الدين النصراني ـ المحرف ـ هو المنطلق الأساسي بل الأوحد في علاقاتهم مع الآخرين خاصة أتباع الدين الإسلامي.

ولا ننسى أيضاً أن مصالح الغرب، وخاصة الاقتصادية، مع المسلمين أهم بمراحل من مصالحه مع الدولة اليهودية (إسرائيل)، وهذا لا يجهله أحد. وخاصة أن الدولة اليهودية تأخذ سنوياً من الدول الغربية النصرانية جزية من أموال ضخمة على حسب ما يقرره اليهود على النصارى، ولا إشكال عند اليهود في تغيير أسماء هذه الجزية كاسم مساعدات للإعمار والتنمية، أو قروض=

و (الأصولية المسيحية)[١] و (الصهيونية المسيحية)[٢].

وتكريساً لهذا التحول، فقد استطاعت هذه الحركة الانقلابية (البروتستانتية) أن تسل سلاح الكنيسة الكاثوليكية الرئيس - وهو وصايتها على الكتاب المقدس نصاً وتفسيراً - من يدها[٣].

ودُعي المؤمنون - المسيحيون - للعودة إلى الكتاب المقدس نفسه باعتباره مصدر المسيحية النقية الثابتة، وإلى فهم النصوص بمعناها الواضح البسيط[٤].

فأصبح العهد القديم المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها، وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفهومات الدينية دون قيود[٥].

= طويلة الأجل لا تُسدد، أو هبات، أو كفّارات لما حصل لليهود في الغرب. وبعكس ذلك تماماً فالمسلمون هم الذين يدفعون للنصارى ما يشاؤون تحت أسماء مختلفة. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) يقول د. يوسف الحسن: فالأصولية تُطلق على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق، والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، سواء العهد القديم أو العهد الجديد، والمقتنعة بأنه يتضمّن توجيهات لمجمل الحياة بما في ذلك الشؤون السياسية، وبخاصة النبوءات التي تشير إلى أحداث مستقبلية تقود إلى (استعادة إسرائيل والعودة الثانية للمسيح). البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني، ص ١٠.

(٢) الصهيونية المسيحية: هي مجموعة من المعتقدات الصهيونية المنتشرة بين المسيحيين، وبخاصة بين قيادات وأتباع الكنائس البروتستانتية، والتي تهدف إلى تأييد قيام دولة يهودية في فلسطين بوصفها حقاً تاريخياً ودينياً لليهود، ودعمها بشكل مباشر وغير مباشر باعتبار أن عودة اليهود إلى الأرض الموعودة - فلسطين - هي برهان على صدق التوراة، وعلى اكتمال الزمان وعودة المسيح ثانية. وحجر الزاوية في الدعم الشديد من هؤلاء المسيحيين لإسرائيل هو الصلة بين (دولة إسرائيل) المعاصرة وإسرائيل التوراة. لذلك أطلق على هذه الاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية اسم الصهيونية المسيحية. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني، د. الحسن، ص ١٢.

(٣) المسيحية والتوراة، شفيق مقار، ص٧٧.

(٤) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ٣٠.

(٥) الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٣٥.

(وقد أسهمت الأجواء التي وفّرها المناخ الديني الجديد في أوروبا في إشاعة جملة مفاهيم أو مبادئ، مفادها أن لكل فرد الحق في أن يفهم النصوص المقدسة بنفسه، ومن دون أي وساطة من كهنوت أو من سلطة كنسية. ومن المشروع دينياً وأخلاقياً أن يتناول الفرد الكتاب المقدس من أي وجه، ويقرأ بأي شكل، ويأخذ مما يمليه عليه عقله بحسب درجة فهمه واستيعابه، فلا قيود على حرية الفرد في القراءة والفهم؛ لأن الكتاب المقدس في متناول الجميع، ولا قيود على حرية العقل في الفهم، فكل فرد هو الوصي على عقله وعلى ما يختزن فيه. ثم إن مسألة (الخلاص) الديني مسألة شخصية، فكل إنسان مسؤول عن نفسه، ويبحث عن خلاصه بالطريقة التي يشاء وبالشكل الذي يريد.

وبهذا عمدت حركة الإصلاح الديني (البروتستانتية) إلى إحلال سلطة الكتاب المقدس، على اعتبار أنه معصوم من الغلط، محل سلطة الكنيسة الكاثوليكية المتمثلة في السلطة البابوية، فغدت سلطة الكتاب المقدس باعتبارهم فوق سلطة البابا والكنيسة)[(١)].

وهكذا فُتح الباب للبدع في اللاهوت المسيحي، وأصبح التأويل الحرفي البسيط هو الأسلوب الجديد في التفسير بعد أن هجر المصلحون البروتستانتيون الأساليب التقليدية الرمزية والمجازية[(٢)].

و(فتحت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الوطنية وجعله في متناول عامة الناس الباب أمام العهد القديم، كي يصبح مكوِّناً مهماً من مكونات العقلية الغربية، ويشيع بين الشعوب، معرفة لم تكن ميسرة من قبل بتاريخ العبرانيين

---

(١) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، جورجي كنعان، ص ٣٣-٣٤، وانظر أيضاً: المسيحية والتوراة، شفيق مقار، ص ٧٧، ونحن والفاتيكان وإسرائيل، أنيس القاسم، ص ١٨، والأصولية الإنجيلية، صالح بن عبد الله الهذلول، ص ٤٠، والصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ٣١.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ص ٣١.

ومعتقداتهم وشرائعهم، وبأرض فلسطين التي لم تطل صلتهم بها إلا لبضعة قرون من تاريخها الطويل، فحكايات العهد القديم باتت زاداً يومياً للعقل البروتستانتي، وبات المؤمنون، من تكرار قراءتهم لها، يحفظونها عن ظهر قلب. وحتى المسيح (يسوع الناصري) لم يعد المسيح ابن مريم ورأس الديانة التي انتمى إليها أولئك المؤمنون، بل مجرد نبي آخر من عديد الأنبياء اليهود.

والحقيقة أن العهد القديم لم يصبح فحسب أحب كتاب إلى قلوب البروتستانت، بل أصبح مرجعهم الرئيس ومصدرهم الموثوق به الذي استمدوا منه معرفتهم بالله ومعرفتهم بالتاريخ، فحكايات ذلك الجزء من الكتاب المقدس ورواياته التاريخية وأساطيره لم ينظر إليها بوصفها كذلك بل بوصفها التاريخ الحقيقي لله والعالم)[١].

و (علا شأن ما يسمى بـ (اللغة العبرية) على اعتبار أنها اللسان المقدس الذي تكلم به الله مع آدم ونوح وإبراهيم، وهي اللغة التي أوحى بها الله إلى موسى، وأنزل عليه بها ما أنزل من فرائض وشرائع. وهكذا أخذت تحتل مكانها إلى جانب اللغات الأوروبية، وصارت المعرفة بالعبرية في عصر النهضة جزءاً من الثقافة الأوروبية العامة، وكان على من يريد التخصص في الدراسات اللاهوتية، أن يتقن العبرية، وبذلك شكّلت العبرية عنصراً مهماً في اللاهوت البروتستانتي)[٢].

ولقد أدى انتشار العبرية والدراسات اليهودية في الجامعات والثقافة الأوروبية إلى إحداث التأثيرات الآتية:

١ ـ إمكان قبول التفسير اليهودي للعهد القديم، ولا سيما التفسير المتعلق

---

(١) المسيحية والتوراة، شفيق مقار، ص ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) الأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص ٣٥، وأيضاً الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص٣٥.

بمستقبل استعادة اليهود لفلسطين.

٢- اقتناع طلبة الجامعات والباحثين بأن كلمة إسرائيل الواردة في العهد القديم تعني كل الجماعات اليهودية في العالم.

٣- قبول التفسير بارتباط زمن نهاية العالم بعودة المسيح الثانية، وأن هذه العودة مرتبطة بمقدمة تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين[١].

وبهذا التغلغل للفكر اليهودي في الحركة الدينية البروتستانتية بواسطة ترجمات الكتاب المقدس إلى اللغات القومية؛ تغيرت مفهومات كثيرة ومصيرية في الفكر المسيحي؛ منها ما يتعلق بفلسطين (أرض الميعاد).

(فقد أصبحت فلسطين، في قراءات الكنائس ومواعظها، وفي العقل المسيحي في أوروبا البروتستانتية، الأرض اليهودية، وصار اليهود هم شعب فلسطين الغرباء في أوروبا والغائبين عن وطنهم، والعائدين إليه في الوقت المناسب)[٢].

(وقُلِّص تاريخ فلسطين قبل المسيح إلى تلك القصص التي تحكي عن الوجود العبراني في الأرض)[٣].

وبتأصل الفكر البروتستانتي (اليهو- مسيحية) في الذهنية الأوروبية؛ أصبحت فلسطين عند الأوروبيين هي أرض اليهود والوطن الذي خص الرب به بني إسرائيل؛ بناءً على الوعود الموجودة في العهد القديم. وسرى في النفوس الأوروبية اعتقاد بأن من الضروري عودة أو إعادة اليهود المنتشرين في مختلف بلدان العالم إلى أرض فلسطين[٤].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي- الصهيوني، د. يوسف الحسن، ص ٢٤.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٢.
(٣) الأصولية المسيحية، ص ٣٥، ونحن والفاتيكان وإسرائيل، ص ١٩.
(٤) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، جورجي كنعان، ص ٣٥.

وإن هذه المسألة عند المسيحيين ـ وهي العمل على تجميع اليهود في فلسطين ـ لم تكن لأجل خاطر اليهود، بل لأن هناك عقيدة عند النصارى مفادها: أن عودة المسيح الثانية إلى الأرض، وبداية العصر الألفي السعيد لن تتحققا إلا إذا سبقهما تجميع اليهود في فلسطين(١).

والواقع أن التفسير الحرفي لنصوص سفر الرؤيا هو الذي قادهم إلى هذا الاستنتاج(٢).

رؤيا يوحنا:

(وهي مجموعة من الرؤى المتتابعة، تنسب إلى يوحنا اللاهوتي صاحب الإنجيل الرابع، أعرب عنها الكاتب بأسلوب رمزي؛ مما جعل النصارى يختلفون في تأويلها وتفاصيلها، سُمّيت (رؤيا) لأنها تشبه الأحلام، لكن يوحنا رآها في اليقظة، ويزعمون أنها وحي، أوحى إليه الروح فيها بكثير من حقائق الديانة النصرانية وأحداث المستقبل، فهي نبوءة توسلت الرؤى والرموز لتهيئة النصارى لما سيواجههم من اضطهاد، وإلى مجيء المسيح ثانية، واليوم الآخر، والجنة، والجحيم)(٣).

بيد أن بعض محققي النصارى قديماً وحديثاً ينكرون أن يكون يوحنا الحواري ابن زبدي هو الكاتب الحقيقي لما يُنسب إليه من أسفار العهد الجديد، ومنها الإنجيل الرابع والرؤيا. وكان هذا الإنكار قد ابتدأ في القرن الثاني الميلادي، بل

---

(١) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ص ٩٤، والصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٣٩، والأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص ٣٩ـ٤١، المسيحية والتوراة، شفيق مقار، ص ٩٢، والصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ٣٨، ٤٥، والأصولية الإنجيلية، صالح الهذلول، ص ٤٨، ٥٦، ٦٣، ٦٤، وقبل أن يُهدم الأقصى، د. عبد العزيز مصطفى، ص ١٣٩ ـ ١٤٠، والاختراق الصهيوني للمسيحية، القس إكرام لمعي، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ص ٣٨.

(٣) الكتب السماوية وشروطها، عبد الوهاب طويلة، ص ٥٤٦.

يرون أن مصنفوها أناس مجهولون[١].

وذهب الشيخ «رحمت الله» إلىٰ أن هذه الرؤيا لا يصح إسنادها إلىٰ يوحنا الحواري؛ لأنها بلا حجة علىٰ ذلك، وكانت مشكوكاً فيها إلىٰ سنة ٣٦٣م، وبعض فقراتها مردودة وغلط إلىٰ الآن عند جمهور المحققين، وكذلك تردها الكنيسة السريانية، وأن كثيراً من محققي البروتستانت لا يسلمون بها كذلك.

وأثبت المحقق «برفسرا يوالد» بالشهادة القوية أن إنجيل يوحنا ورسائله، وكتاب المشاهدات؛ لا يمكن أن تكون من تصنيف مصنف واحد، حيث إن إنجيله والرسالة الأولىٰ له كانت علىٰ اللسان اليوناني وليس فيها ألفاظ صعبة؛ بخلاف عبارة المشاهدات (الرؤيا)؛ لأنها علىٰ خلاف محاورة اللسان اليوناني، ويستعمل السياق الوحشي. وأنها علىٰ خلاف عادته (أي يوحنا)، فهو لم يظهر اسمه في الأسفار المنسوبة إليه في العهد الجديد (لا الإنجيل الرابع، ولا رسائله الثلاث العامة الكاثوليكية الملحقة بإنجيله)؛ بخلاف هذه الرؤيا[٢].

وجاء في دائرة المعارف الفرنسية المشهورة باسم (لاروس القرن العشرين): (ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وأربعة أسفار أخرىٰ من العهد الجديد، لكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلّم بصحة هذه النسبة)[٣].

ويقول كميل خباز: (إن أئمة اليهود وضعوا مؤامرة سرية تهدف إلىٰ القضاء علىٰ المسيحية بأساليب متعددة، ومنها تحريف الإنجيل، حيث إن رؤيا يوحنا، وهي آخر الأسفار في الكتاب المقدس عند المسيحيين، هي نبوءة كاذبة ومدسوسة، كما أنها تؤلف إحدىٰ حلقات تلك المؤامرة.

---

(١) المرجع السابق، ص٤٠٠ـ٤٠١.

(٢) إظهار الحق، الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي، ت د. محمد أحمد ملكاوي، (١/١٥٨ـ١٦٠).

(٣) الكتب السماوية وشروط صحتها، عبد الوهاب طويلة، ص ٤٠٢.

وهذه الرؤيا لم تكن في الأصل كتاباً واحداً كما هي عليه اليوم، بل هي عبارة عن ثلاثة نصوص مستقلة، دونت على مراحل، ثم أعيدت صياغتها في سفر واحد في أواخر القرن الميلادي الأول. وهذه النصوص هي:

النص الأول: (الرسائل إلى الكنائس السبع)، هو الإنجيل اليهودي ـ النصراني الذي انتشر نحو سنة ٥٧م في كنائس غلاطية (تركيا) على يد رسل كذبة، وهو (الإنجيل الآخر) الذي أشار إليه بولس الرسول في رسالته الشهيرة إلى أهل غلاطية (غلاطية ١ : ٦ ـ ٧)، ويدعو هذا الإنجيل إلى تطبيق شريعة موسى ـ عليه السلام ـ؛ لأن خلاص الإنسان لا يتحقق بدونها.

النص الثاني: هو نبوءة عن قرب مجيء الدينونة (رؤياه : ١) بشكل رسالة منحولة نُسبت زوراً إلى القديس بولس الرسول، ونشرت في كنيسة تسالونيكي سنة ٥٢م. وقد دحض بولس الرسول تلك النبوءة في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي (٢ تس ٢ : ١ ـ ٣).

النص الثالث: هو نبوءة قمرانية عن مجيء القيامة، كتبت سنة ٦٦م، في مطلع الحرب اليهودية الكبرى (٦٦-٧٠) م، والهدف منها إقناع السلطات الرومانية بأن نصارى فلسطين هم المحرضون على الثورة ضد روما.

وبعد سقوط أورشليم سنة ٧٠م، وإقصاء الصدوقيين عن الزعامة الروحية للشعب اليهودي؛ تابع الفريسيون حربهم السرية ضد المسيحية، وفي أواخر عهد الإمبراطور دوميتيان (٨١ ـ ٩٦م) جُمعت النصوص الثلاثة المذكورة في كتاب واحد (رؤيا يوحنا) بعد ما أعيدت صياغتها وصبغت بصبغة مسيحية. ومن المعروف أن انتشار الرؤيا في ذلك العهد ترافق مع موجة من الاضطهادات قامت بها السلطات الرومانية ضد المسيحيين)[١].

---

(١) انظر: جريدة الأنوار اللبنانية، تاريخ ٨/ ٦/ ١٩٩٠م، نقلاً عن الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٣٦، ٣٧.

فرؤيا يوحنا كلها عبرانية؛ أي مأخوذة من رؤى العهد القديم، وبالأخص من حزقيال ودانيال، وقد كان الأجدر بدلاً من وضع رؤيا يوحنا كحاشية في ذيل العهد الجديد؛ أن توضع كمعبر أو كهمزة وصل بين العهدين. غير أنه كان من المؤكد، أياً كان موضعها من (الكتاب)، أن تظل تمارس غواية لا تقاوم على عقول (المسيحيين). وهي رؤيا تعوِّض اليهودية كما هي مكتوبة في (العهد القديم) عن فقدان البعد الأخروي، وتعزز الوعد الذي أكمل به مسيح المسيحيين الناصري (الناموس) الذي أكد أنه ما جاء لينقضه بل ليكمله، وهو وعد الحياة الباقية والانبعاث من الموت، وعيش الصالحين الذين تكتب أسماؤهم في سفر الحياة في ملكوت السماوات[1].

المسيح المنتظر عند النصارى:

يعتقد النصارى أن تجميع اليهود في فلسطين، وتأسيس دولة لهم هناك، يعجل بالمجيء الثاني للمسيح (عيسى ابن مريم)، يقول ديورانت: (وكان ثمة عقيدة مشتركة وحَّدَتْ الجماعات المسيحية المنتشرة في أنحاء العالم: هي أن المسيح ابن الله، وأنه سيعود لإقامة مملكته على الأرض، وأن كل من يؤمن به سينال النعيم المقيم في الدار الآخرة)[2].

يقول القس إكرم لمعي: (تعتبر عقيدة المجيء الثاني من العقائد المتميزة في المسيحية؛ إذ تعتبر أحد الأركان الأساسية للإيمان المسيحي، فيؤمن المسيحيون بأن

---

(١) وقد ذكر شفيق مقار صاحب كتاب المسيحية والتوراة، الكلمات المتشابهة بين رؤيا يوحنا اللاهوتي ورؤيا حزقيال، فقال: «ورؤيا يوحنا اللاهوتي نبعت من رؤيا حزقيال وعلى خطاها سارت، بل منها استعارت تصورات ظلت أساسية فيها». ثم ذكر المؤلف ستة عشر مقطعاً متشابهاً فيما بينهما، ص٢٣٩ ـ ٢٤١. وقال أيضاً: «كما أخذ اللاهوتي من حزقيال؛ أخذ من دانيال»، ثم ذكر بعض الأمثلة، ليس المقصود منها الحصر. فذكر خمسة مقاطع، ص ٢٤٥، ٢٤٦. انظر: ص ٢٢٧.

(٢) قصة الحضارة، (١١) (قيصر والمسيح)، ج ٣ من المجلد ٣، ص ٢٩٠، ول وايريل ديورانت.

ملكوت الله يوجد الآن في العالم من خلال شعبه الذي يؤمن به، ويجعله ملكاً على حياته، وسوف يعلن ملك الله للعالم بقوة في اليوم الآخر بالمجيء الثاني للمسيح، ونحن الآن نعيش زمن ما بين مجيئين للمسيح، فالمجيء الأول والذي وقع من ألفي عام، وتوقع المجيء الثاني الذي لا يعرف أحد موعده. وتوقع المجيء الثاني من أهم موضوعات الإنجيل، وكل مسيحيي العالم تقريباً يؤمنون بهذه العقيدة)[١].

كما أن اليهود كذلك ينتظرون مجيء مسيحهم، حيث إن هذا الانتظار حجر الزاوية في الإيمان اليهودي.

وهذه العقيدة اليهودية سببت حرجاً بالغاً للمسيحيين أتباع الكنائس البروتستانتية والصهيونية المسيحية، وأيضاً للصهيونيين اليهود الذين يطمعون في مساعدة المسيحيين لهم في الاستيطان في فلسطين، حيث إن المسيحيين يؤمنون بأن المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ هو المسيح الذي بشرت بمجيئه نبوءات (العهد القديم)، بينما اليهود يرفضون ذلك، ويتمسكون بأن المسيح الموعود عندهم والمخلص لهم لم يأت بعد.

لذلك يقول الشيخ د. سفر الحوالي: (والآن مع اقتراب نهاية الألف سنة الثانية من ميلاد المسيح عليه السلام، واعتقاد قرب نزوله كما يؤمن الأصوليون الإنجيليون؛ يلتقي الحلمان القديمان اللذان يتكون منهما الوعد المفترى[٢]: حلم النصارى بعودة المسيح ونزوله إلى الأرض ليقتل اليهود والمسلمين وكل من لا

---

(١) الاختراق الصهيوني للمسيحية، القس إكرام لمعي، ص ١٨٥.

(٢) وكانت كلمة فضيلة الشيخ سفر في ١٩٩٢م. والوعد المفترى الذي يقصده فضيلته، هو الوعد الذي ذُكر في التوراة (أسفار موسى الخمسة) وباقي أسفار العهد القديم؛ بأن الله كتب أرض فلسطين وما حولها لبني إسرائيل اليهود، وأن تجميع اليهود في فلسطين هو بداية نزول المسيح المنتظر الذي يحكم العالم في الألفية السعيدة على زعمهم.

يدين بدينهم في معركة هرمجدون ـ الآتي تفصيل الحديث عنها ـ، وحلم اليهود بخروج الملك من نسل داود الذي يقتل النصارىٰ والمسلمين، ويخضع الناس أجمعين لدولة إسرائيل، وهو المسيح الدجال.

ومن هاهنا اتفق اليهود والنصارىٰ علىٰ فكرة أن قيام دولة إسرائيل وتجمع بني إسرائيل في فلسطين هو تمهيد لنزول المسيح، كما يفسره كل منهما.

وهنا يظهر التخطيط اليهودي متجلياً في تلك الحيلة الغريبة التي ابتدعها حاخامات صهيون، وأقرهم عليها بلا تردد قادة الإنجيليين الألفيين (ولا غرابة فبعضهم يهودي مندس)، وهي تأجيل الخوض في التفصيل والاهتمام بالمبدأ الذي هو نزول المسيح، وذلك بالتعاون معاً والتخطيط اشتراكاً لتهيئة نزوله، فإذا نزل فسنرىٰ هل يؤمن به اليهود أو يكون هو الذي يؤمن به ـ الآن ـ اليهود؟!

فلتظل هذه المسألة معلقة تماماً؛ لأن الخوض فيها ليس من مصلحة الطائفتين معاً! وليعملا سواء للقضاء علىٰ العدو المشترك (المسلمين)!!

واتفق زعماء الملتين علىٰ نسج قناع يستر وجه المؤامرة عن أعين المغفلين من النصارىٰ والمستغفلين من المسلمين!)[١].

(وهذا الاختلاف في شخصية المسيح الآتي (بين اليهود والنصارىٰ) لا يعطل مسيرة العمل المشترك بينهما تمهيداً لمجيئه، بل إن كليهما يعين الآخر في القدر المشترك من الاتفاق. فهما متفقان علىٰ ضرورة إعادة بناء الهيكل في ساحة الأقصىٰ، و (تجميع اليهود في فلسطين)، ثم عندما يأتي المسيح يكون له شأن آخر)[٢].

---

(١) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترىٰ، فضيلة الشيخ د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ص ٢٦، ٢٧.

(٢) قبل أن يُهدم الأقصىٰ، د. عبد العزيز مصطفىٰ كامل، ص ١٣٩.

قال أحد زعماء اليهود لزملائه من المسيحيين: (إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرة الثانية، ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولىٰ، فلنبدأ أولاً بناء الهيكل، وبعد مجيء المسيح ورؤيته نسعىٰ لحل القضايا المتبقية سوياً)(١).

ولكن الناظر إلىٰ رؤيا يوحنا اللاهوتي - متذيلة العهد الجديد - يرىٰ أن المسيح الذي جاءت أوصافه في هذه الرؤيا ليس فيه من المسيح عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - غير صفة الحروف(٢).

الألفية السعيدة:

تعود جذور هذه العقيدة (عقيدة الألفية السعيدة) إلىٰ اليهودية، وقد ظهرت في كتابات معلمي المشناة التلموديين (تنائيم)، وفي الأسفار التوراتية الخفية أو الخارجية (الأبوكريفيا)؛ ولإيمان النصارىٰ بالتوراة وتأثرهم بها انتقلت هذه العقيدة إليهم، وجوهرها هو الاعتقاد بعودة المسيح المنتظر الذي سيُقيم مملكة الله في الأرض، والتي ستدوم ألف عام(٣).

وكما ذكرتُ من قبل؛ فإن إيمان النصارىٰ بهذه العقيدة هو التفسير الحرفي لرؤيا يوحنا اللاهوتي.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص ١١٨.

فالأوصاف التي طرحها يوحنا هي لمسيح يهودي، محارب، (عيناه كلهيب نار.. متسربل بثوب مغموس بدم. رؤيا ١٩: ١٢، ١٣)، (رجلاه شبه النحاس النقي كأنهما محميتان في أتون.. وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه. رؤيا ١: ١٥، ١٦)، (الأسد الذي من سبط يهوا، أصل داود. رؤيا ٥: ٥)، (الذي له مفتاح داود. رؤيا ٣: ٧)، وغيرها من الأوصاف.

يقول جورجي كنعان: (اللاهوتي يوحنا كان كاهناً يهودياً نشأ وتتلمذ على التراث اليهودي، وأخذ به إيماناً وعقيدة، فجاءت رؤياه يهودية بمضمونها وبصورها وبتطلّعها إلىٰ مجيء المسيح المنتظر)، ص ١٢١.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (٦ / ١٣٩)، د. المسيري، حمّى سنة ٢٠٠٠، ص ٢٠٤، د. عبد العزيز مصطفىٰ كامل.

جاء في هذه الرؤيا: (ورأيت ملاكاً هابطاً من السماء ومعه مفاتيح الهاوية وبيده سلسلة عظيمة. فقبض على التنين الحيّة القديمة الذي هو إبليس والشيطان، وقيّده ألف سنة وطرحه في الهاوية، وأقفل خاتماً عليه لئلا يُضل الأمم بعدُ إلى تمام الألف سنة، وبعد ذلك سيُحلُّ زماناً يسيراً. ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأوتوا الحكم، ورأيت نفوس الذين قُتِلوا لأجل شهادة يسوع ولأجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، ولم يتَّسِموا بالسمة على جباههم ولا في أيديهم، فَحيَوْا وملكوا مع المسيح ألفَ سنةٍ. فأما باقي الأموات فلم يَحيَوا إلى تمام ألف سنة هذه القيامة الأولى.

سعيد ومقدس مَنْ له نصيب في القيامة الأولى، إن هؤلاء لا يكون عليهم للموت الثاني سلطان، بل يكونون كهنةً لله وللمسيح، ويملكون معه ألف سنة)[١].

يقول د. الحوالي: (يعتقد النصارى أن المسيح سيرجع بعد ألف سنة، ثم يحكم العالم ألف سنة، وعلى هذه العقيدة اجتمعت آمالهم واتجهت أنظارهم سنة ١٠٠٠ ميلادية، ولكن المسيح لم يظهر، فهدأت المسألة وتلاشت في الواقع لكنها بقيت في الأحلام، ولما شارف هذا القرن على البزوغ، أي قرب سنة ١٩٠٠م، بدأت الدعوات تظهر من جديد، واعتقدوا أن المسيح إن لم يظهر في أول القرن العشرين فسيظهر في آخره أي عام ٢٠٠٠م[٢]، وبما أن ظهوره سيكون

---

(١) رؤيا (٢٠: ١-٦).

(٢) وهناك ظاهرة حصلت في أرض فلسطين المحتلة؛ تدل على هذه العقيدة عند النصارى، حيث أصدرت وزارة الداخلية الإسرائيلية في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٩م بياناً فيه: (أن الشرطة الإسرائيلية اعتقلت ١٤ شخصاً أمريكياً، وهم أعضاء في طائفة أمريكية متطرفة تخطط لأعمال عنف في القدس قبل عام ٢٠٠٠م لاستعجال مجيء المسيح المنتظر).
وشكلت سلطات الأمن الإسرائيلية فريق عمل العام الماضي (١٩٩٨م) للتعامل مع أعمال العنف المحتملة من الجماعات المسيحية في الأرض المقدسة مع اقتراب عام ألفين. انظر: جريدة الحياة، الثلاثاء ٥/ ١/ ١٩٩٩م الموافق ١٨/ ٩/ ١٤١٩هـ، العدد (١٣٠٨٨)، وجريدة أخبار اليوم، السبت ٩/ ١/ ١٩٩٩م الموافق ٢١/ ٩/ ١٤١٩هـ.

في موطنه الأصلي؛ فلا بد للإعداد والتهيئة لمقدمه بتجميع بني إسرائيل في أرض فلسطين التي ستكون عليها المعركة الكبرىٰ الفاصلة (معركة هرمجدون) أو (سهل مجيدون)، وهو سهل صغير في فلسطين يقولون إن المعركة ستشب فيه بجيوش يصل تعدادها إلىٰ ٤٠٠ مليون جندي ـ كما قال بعضهم ـ)[١].

يقول القس إكرام لمعي: (ولقد انقسم المسيحيون حول هذه النظرية إلىٰ أربع فرق، وهي:

الفرقة الأولى: قبل الألفين التاريخية (سابقو الملك الألفي).

وهم يعتقدون أن مجيء المسيح الثاني سوف يسبق الملك الألفي؛ بمعنىٰ أن المسيح سوف يأتي ثانية بشكل حرفي ثم يحكم الأرض لمدة ألف عام.

الفرقة الثانية: قبل الألفين المحدثون (الحقبية)[٢].

وتعتبر هذه الفرقة امتداداً للفرقة السابقة، ولكنها تفصل بين إسرائيل

---

(١) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترىٰ، فضيلة الشيخ د. سفر الحوالي، ص ٣٢، ٣٣.

(٢) (الحقبية) كلمة استخدمت لشرح النظام الذي وضعوه؛ لشرح كيف أن الله تعامل مع الإنسان بسبع طرق مختلفة علىٰ طول التاريخ. والكلمة (حقبة) تعني في مفهومهم: زمن يختبر فيه الإنسان إعلانات الله عن إرادته، ولقد حددوا الحقب كما يلي:

أ ـ حقبة الطهارة (الفطرة): وهي فترة ما قبل سقوط آدم في الخطيئة (فترة الجنة) قبل الطرد أو النزول.

ب ـ حقبة الضمير (المسؤولية الإنسانية): وهي الفترة من سقوط آدم إلىٰ نوح.

ج ـ حقبة الحكومة البشرية: وهي الفترة من نوح إلىٰ إبراهيم.

د ـ حقبة الوعد: وهي الفترة من إبراهيم إلىٰ موسىٰ.

هـ ـ حقبة الشريعة: وهي الفترة من موسىٰ إلىٰ عيسىٰ.

و ـ حقبة النعمة: وهي الفترة من مجيء المسيح الأول إلىٰ بداية الملك الألفي.

ز ـ حقبة الملكوت (الملك الألفي).

انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية، القس إكرام لمعي، ص ١٩٤. وهنا يظهر لنا ـ كما هو ظاهر أصلاً في أفعال النصارىٰ وأقوالهم ـ مدىٰ كراهيتهم للشريعة الإسلامية ولنبيها المصطفىٰ، خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ، ومدىٰ حقدهم علىٰ الأمة الإسلامية.

والكنيسة، وهذا ما يؤكد نظرية اختراق الفكر الديني اليهودي للمسيحية، ويتفق أصحاب هذه النظرية مع النظرية التاريخية (السابقة) في أن المسيح سوف يحكم الأرض بصورة حرفية لألف سنة بعد مجيئه الثاني. ولكن هناك فروقاً بين النظريتين[١].

الفرقة الثالثة: أصحاب التفسير الروحي للحكم الألفي.

وأهم ما يميز هذه الفرقة: القول بأنه بالمجيء الثاني للمسيح سوف تكون القيامة والدينونة، وأن الملك الألفي ليس حرفياً، وليس لمدة ألف عام بالضبط، فتعبير الألف سنة؛ إنما هو زمن لفترة معينة تنتشر فيها الرسالة بين الأمم، وتعود فيها الأمم من المشارق والمغارب إلى الله، ويعود اليهود إلى المسيح بطريقة طبيعية، ودون عنف أو قتل.

الفرقة الرابعة: رافضو الملك الألفي.

وهذه الفرقة كسابقتها تتفق على أن مجيء المسيح الثاني إعلان نهاية العالم والدينونة، وخلاصة رأي أصحاب هذه النظرية أنه يجب ألا تُفسر النبوة بشكل حرفي، ففي خلال العصر الذي يتوسط المجيئَيْن يكون حكم المسيح في السماء،

---

(١) من هذه الفروق: أنه في الحقبة السابعة وفيها الضيقة العظيمة على العالم، وفي هذه الفترة سوف تؤمن أغلبية إسرائيل بالمسيح، وسيدخل المسيح في معركة مع جميع أعدائه في موقعة (هرمجدون)، ويدمرهم ويسحقهم بقوة، وفي ذلك الوقت يكون قد تم تجميع اليهود الذين آمنوا بالمسيح أثناء الضيقة العظيمة من كل أنحاء العالم ليستقبلهم؛ حيث يكون عددهم مائة وأربعة وأربعين ألفاً (رؤيا ٧: ٤). وبمجرد دخول المسيح إلى أورشليم (القدس) كملك يقيد إبليس ليملك المسيح ملكاً حرفياً لمدة ألف عام، وتحت هذا الحكم سيكون لليهود مكانة أعظم من كل الأمم، فيعاد خلالها بناء الهيكل في أورشليم وتقدم الذبائح عليه ثانية، ويملأ السلام والعدل والحب كل العالم. ويرث شعب الرب (اليهود) الأرض، ويدخلون إلى ملكوت الله كالشعب المختار، فهذا ما يؤمن به أصحاب النظرية الثانية (الحقبية). الاختراق الصهيوني للمسيحية، ص١٩٥.

ويكون إبليس مقيداً من خلال العمل الذي عمله المسيح على الأرض. وفي هذه الفترة يعود بعض اليهود إلى المسيح، ويهزم إبليس نهائياً بمجيء المسيح الثاني ثم القيامة والدينونة بالمدينة الجديدة[١].

ومن خلال هذه العقيدة يتبين أن النصارى يعتقدون أنهم إذا عملوا على تجميع اليهود في أرض فلسطين، ونزول المسيح مرة ثانية إلى الأرض، فسيتحول اليهود إلى العقيدة النصرانية.

تقول لي أوبرين: (ففي حين أن المذاهب اللاهوتية لكثرة من البروتستانت المحافظين تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوءة توراتية، فإنها أيضاً تذهب إلى أن تجمع اليهود مجرد تمهيد لتنصيرهم قبل المجيء الثاني للمسيح)[٢].

يقول جورجي كنعان: (كما يعتقد الأصوليون المسيحيون في نصف الكرة الغربي؛ أنّ المسيح لا يستطيع أن يعود ما لم تكن هناك إسرائيل ليعود إليها، وأن تخلي اليهود عن يهوديتهم، وتحولهم إلى المسيحية؛ مقدمة أساسية أو شرط ضروري لحصول عملية (الخلاص) من الفناء، والعيش في فردوس العصر الألفي السعيد الذي سيكون في آخر الأيام للأبرار من المسيحيين، ولليهود الذين تحولوا إلى المسيحية. أما ما تبقّى من المسيحيين، ومن اليهود الذين (صلّبوا رقابهم)، وظلوا متمسكين برفض الإيمان بالمسيح؛ فسيفنون في معركة هرمجدون الكونية التي ستنشب في آخر الأيام)[٣].

وإيماناً بهذه العقيدة ـ تحويل اليهود إلى النصرانية ـ؛ فإن بعض الجماعات الأصولية المسيحية تنشط في مسألة التنصير داخل الدولة اليهودية (إسرائيل) على أرض فلسطين المسلمة.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(٢) المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل، ص ٢٨٦، لي أوبرين، ترجمة د. محمود زايد.

(٣) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، جورجي كنعان، ص ١٢٤.

وقد لاحظت جريدة أمريكية في لوس أنجلس (أن المبشرين المسيحيين الأصوليين في إسرائيل؛ ينشطون كثيراً وسط المسيحيين العرب في الأراضي المحتلة، مثلما ينشطون في اتجاه تنصير عدد من اليهود).

وأشارت الجريدة أيضاً إلى أنّ هؤلاء المبشرين المسيحيين يقدمون خدمات ترفيهية ومالية كثيرة إلى منظمات يهودية، وبخاصة وسط جنود الجيش الإسرائيلي. كما يقدمون دعماً سياسياً إلى دولة إسرائيل؛ مما يعني تغاضي الحكومة الإسرائيلية عن أنشطتهم التبشيرية مقابل ذلك الدعم السياسي[١].

وقالت صحيفة نيويورك تايمز: (يوجد في إسرائيل أكثر من ستة آلاف مبشر مسيحي من الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية الأمريكية، وقد نجحوا في تنصير أكثر من ألفي يهودي، لكن هؤلاء اليهود المتنصرين ظلوا على ولائهم لإسرائيل)[٢].

ومسألة التنصير داخل الدولة اليهودية على أرض فلسطين المسلمة؛ أخذت تنظر إليها بعض الجماعات اليهودية المتعصبة بقلق بالغ، فقد قامت بعض لجان الكنيست، وبخاصة لجنة التعليم، بالتحقيق في الاتهامات الموجهة إلى المبشرين المسيحيين، وخصوصاً من أتباع منظمة (الأغلبية الأخلاقية)، حول أنشطتهم وسط الأطفال اليهود. وفسّر أتباع هذه المنظمة السياسية الدينية نشاطهم التبشيري بأنه ممارسة طبيعية في البلد الذي ولد فيه المسيح.

وعلى الرغم من أن عدد المتنصرين من اليهود غير معروف؛ فإن المصادر الرسمية الإسرائيلية لا تذكر سوى أنهم لا يزيدون على سبعة أشخاص أو ثمانية سنوياً. لكن منظمات اليهود المتطرفة تقول: إن (الأعداد هي أكبر بكثير، وتُقدّرها بالمئات، وإن أكثر من ثلاثة آلاف يهودي قد اعتنق المسيحية منذ قيام

(١) Times Losangeles (18 March 1984) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٥٩.
(٢) المرجع السابق، ص ١٦١.

دولة إسرائيل حتىٰ الآن (عام ١٩٨٤م)، وتشير هذه المنظمات اليهودية إلىٰ أن أبرز البعثات التبشيرية المسيحية في إسرائيل هي جماعة (السفارة المسيحية الدولية بالقدس)، حيث إن نشاط رجال هذه السفارة يشكل نوعاً من المُعضلة لليهود. فمن ناحية تُقدّر إسرائيل لهم دعمهم الذي هي بحاجة إليه، ومن ناحية أخرىٰ تتخوف من أنشطتهم التبشيرية[(١)].

يقول اليهودي بيرلمتر: (نحن نحتاج إلىٰ كل الأصدقاء لدعم إسرائيل، فإذا جاء المسيح، فسوف نفكر بخياراتنا في ذلك اليوم. أما في الوقت الحاضر، فدعونا نصلّ للرب ونرسل الذخيرة)[(٢)].

(ولعل اليهود لا يكتفون بالسخرية من المسيحيين في ضمائرهم، وهم يشجعونهم علىٰ قبول المرحلة الأولىٰ من الحلم اليهودي، وهي العودة لفلسطين، ثم يديرون لهم ظهر المجن. ولكنهم يأملون فيما هو أهم، وهو تقويض المسيحية نفسها التي لا تفتأ تتراجع عن قواعدها الجوهرية، وكلما تراجعت عن واحدة طالبها اليهود بتنازلات أخرىٰ، وسوف يظل الباب مفتوحاً للتكهنات عن المنتصر الأخير في هذه (المباراة) القاتلة، إلا أنّ كثيرين من زعماء الكنيسة يعتقدون أنّ اليهود هم المؤهلون للانتصار؛ لأنهم حافظوا علىٰ تراثهم في أسوأ الظروف، وأثبتوا بطلان المسيحية وتراجعاتها في هذه القواعد الهامة)[(٣)].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٨، ١٥٩.
(٢) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة: محمد السماك، ص ١٥٩.
(٣) القضية الفلسطينية: نظرة في الجذور الدينية، الأستاذ: كامل الشريف، من مقالات كتاب: فلسطين والوعد الحق، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ٢٥.
ومن هذه التراجعات التي يقصدها المؤلف: تغيير النظرة المسيحية لليهودية؛ من نظرة عدائية ضد اليهودية إلىٰ نظرة مناقضة تماماً، حيث أصبحت اليهودية عندهم هي أساس المسيحية وأصلها، وما المسيحية إلا فرع منها. ومنها أيضاً الانشقاق الذي حصل في الكنائس المسيحية (كاثوليكية، بروتستانتية، أرثوذكسية)، وذلك بالنسبة لموقفهم من السلطة البابوية، وقراءة وتفسير الكتاب المقدس.

يقول الأستاذ محمود نعناعة: (وكم يؤسف المتتبع لمجريات الأحوال في إسرائيل ذلك الحلم الذي يداعب بعض المسيحيين من أن إنشاء إسرائيل وتجميع اليهود فيها؛ من شأنه أن يقرب الساعة التي يتحولون فيها إلىٰ المسيحية.

ولو أنصف هؤلاء الحالمون ونزلوا علىٰ الواقع المرير لأدركوا جيداً أن هدف زعماء الصهيونية من إنشاء إسرائيل كان بناء عرش كبير علىٰ أرض فلسطين، يحكمون من عليه العالم علىٰ شريعة التلمود السرية، بعد أن يتجمع اليهود في (أرض الميعاد)، ويتحكموا في مصادر الثروة العالمية، ويسيطروا علىٰ ساسة الدنيا وقادتها.

فتشجيع الغرب المتواصل للوجود اليهودي السياسي في فلسطين يساعد الصهيونية علىٰ محاربة الاندماج الاجتماعي لليهود خارج إسرائيل، ويضع في يدها السلاح الفعّال الذي يباعد بين ذلك الأمل الكلاسيكي؛ بتحول اليهود إلىٰ الإيمان المسيحي وبين تحقيقه علىٰ الطبيعة)[١].

معركة آخر الزمان «هرمجدُّون» (ARMAGEDDON):

يعتقد اليهود أن مسيحهم المنتظر سيأتي آخر الزمان ليقود ـ علىٰ زعمهم ـ الجيش اليهودي (أبناء النور) ضد جيش الأعداء (أبناء الظلام)، وينتصر عليهم وتتحكم صهيون في كل الأمم، وينبذ العالم الحروب، فتتحول السيوف إلىٰ محاريث، والرماح إلىٰ مناجل، في ظل سلام صهيوني شامل، وتختفي كل الأديان، فلا يبقىٰ إلا الديانة اليهودية الخاضعة لعبادة إلههم يهوه[٢].

(١) الصهيونية في الستينات (الفاتيكان واليهود)، محمود نعناعة، ص ٢٧٤.

(٢) سيتبين إن شاء الله، بكل جلاء، وبأقوال الرسول ﷺ، كذب وافتراءات اليهود في نتائج هذه المعركة المسماة عندهم (هرمجدون).

والحق هو أن المسيح المنتظر عندهم هو المسيح الدجال (مسيح الضلالة)، والذي يقود جيشه اليهودي إلىٰ الدمار الشامل والنهاية الأبدية؛ علىٰ يد المسيح عيسىٰ ابن مريم ـ عليه السلام ـ (مسيح الهداية) وجيشه الإسلامي. انظر من ص ٣١٩ من هذا الكتاب.

إن وقوع هذه المعركة حتمي عند أهل الكتاب (اليهود والنصارىٰ)، كما أن وقوعها ثابت عند المسلمين[١].

ونحن المسلمون متفقون مع اليهود والنصارىٰ علىٰ وقوع ملاحم رهيبة فيما بيننا في منطقة الشام، ومنها فلسطين، فهي منطقة فتن وملاحم وحرب ضروس[٢].

(فكلا الأمتين ـ اليهود والنصارىٰ ـ تعتقدان أن الفصول الكبرىٰ في ملحمة (نهاية التاريخ)؛ أي الزمن الأخير الذي سيشهد الأحداث الأخيرة، ستكون علىٰ هذه الأرض، أرض المَعَاد أو الميعاد أو . . (إسرائيل الكبرىٰ) كما يسمونها)[٣].

ولكننا مختلفون في نتائجها، كل يراها لمصلحته في النهاية، والحق ما قاله خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

إن نتائج هذه الملاحم لمصلحة المسلمين، حيث يبقىٰ الإسلام هو الدين المهيمن علىٰ كل الأديان، والحمد لله رب العالمين[٤].

تقول جريس هالسل: (إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركة تدعىٰ (هرمجدون)، وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح الذي سيحكم بعودته علىٰ جميع الأحياء والأموات علىٰ حد سواء)[٥].

---

(١) وأعني مدلول الكلمة لا لفظها؛ أي إن هناك ملاحم بين المسلمين وأهل الكتاب، فضد النصارىٰ في دابق والأعماق بسورية، وضد اليهود في فلسطين. كما سيمر توضيحه إن شاء الله تعالىٰ. انظر: من ص ٣١٩ من هذا الكتاب.

(٢) ولهذا فلا عجب أن تظل منطقة (الشرق الأوسط) هي البقعة الملتهبة طوال قرن منصرم، وكأنها تتهيأ للاشتعال في القرن الذي يليه.

(٣) حُمّىٰ سنة ٢٠٠٠، ص ١٣، د. عبد العزيز مصطفىٰ كامل.

(٤) راجع من ص ٣٠١ من هذا الكتاب.

(٥) النبوءة والسياسة، ص ١٩.

وأشير إلىٰ كيفية معالجة الرئيس الأمريكي رونالد ريجان احتلال اليهود أرض فلسطين، كان العلاج عنده علاجاً دينياً (توراتياً)، يقول: (حينما أتطلع إلىٰ النبوءات القديمة في (العهد القديم)، وإلىٰ العلاقات المنبئة بهرمجدون؛ أجد نفسي متسائلاً عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرىٰ ذلك واقعاً، ولا أدري إن كنت قد لاحظت مؤخراً أياً من هذه النبوءات، لكنها قطعاً تنطبق علىٰ زماننا الذي نعيش فيه)[(١)]. بل إنه يعتقد أن هذه المعركة ستكون نووية[(٢)].

وقد أعرب في لقاء معه عن إيمانه بأن أمريكا علىٰ عتبة يقظة روحية، وقال: (إنني مؤمن بذلك من كل قلبي، إن الله يرعىٰ أناساً مثلي ومثلكم في صلاة وحب ابتهاليين لإعداد العالم لعودة ملك الملوك وسيد الأسياد)[(٣)].

والقاسم المشترك الأعظم بين الطوائف البروتستانتية وبعض الكاثوليك ـ فضلاً عن تأييد إسرائيل وخدمة الإسرائيليين علىٰ نحوٍ أعمىٰ ـ هو إيمانهم بفكرة (هرمجدّون)؛ أي المعركة التي ينتصر فيها الخير علىٰ الشر، وتتحقق عودة المسيح[(٤)].

---

(١) (28 October 1983 Jerusalem Post) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ١٧٢.
ولقد قال الرئيس ريجان: (إن نهاية العالم وشيكة)، وكررها في أكثر من ١١ مناسبة، سواء حينما كان حاكماً لكاليفورنيا، أو رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية. وقالها في منزله، وفي البيت الأبيض، وعلىٰ العشاء، وعند الغداء، وعلىٰ الهواء، ومن خلال أسلاك التليفون، ولرجال الدين والسياسة، وقيادات وجماعات الضغط. وقالها لرجال مكتبه وللشيوخ، وحتىٰ لمجلة (الناس). (October 1984 24, New York Yimes)، نقلاً عن المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٢) النبوءة والسياسة، ص ٢٣.
(وقد تواردت الأخبار منذ مدة بأن البنتاجون الأمريكي قرر أن يتخذ من (حيفا)، وهي أقرب المدن لمنطقة مجدو، مقراً دائماً لقطع الأسطول السادس الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، ولا ندري ما المدىٰ الذي ستوصل إليه هذه التحركات المريبة). حمّىٰ سنة ٢٠٠٠، ص ١٧٣، د. عبد العزيز مصطفىٰ كامل.

(٣) وهذا اللقاء جمع القس مايك إيفانز، والقس جيري فولويل، والقس جيمي سوجارت، وجيمي بيكر مع مجموعة أخرىٰ، وذلك في يناير ١٩٨٥م. النبوءة والسياسة، ص ١٩٤.

(٤) مجلة الثقافة، المكتب السعودي بلندن، السنة الرابعة، رجب وشعبان ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، العدد (٢٢، ٢٣).

والمدارس الدينية في أمريكا مختصة بتدريس النظام الديني ونظرية هرمجدّون. وأكثر الإنجيليين شهرة - خاصة الإنجيليين التلفزيونيين (أصحاب المحطات المسموعة والمرئية)؛ أمثال روبرتسون، وسوجارت، وبيكر، وفولويل وغيرهم - يجعلون من تأييد إسرائيل نوعاً من العبادة. إنهم يؤمنون بأن عليهم أن يخوضوا معركة هرمجدّون، وأن المسيح يعود بذلك فقط إلى القدس، وأن إسرائيل اليوم تتبارك من الله بأنها هي نفسها صهيون توراتية[١].

يقول جيمي سوجارت: (كنت أتمنى أن أستطيع القول إننا سنحصل على السلام، ولكنّي أومن بأن هرمجدّون مقبلة، إن هرمجدّون قادمة وسيخاض غمارها في وادي مجيدو (في فلسطين)، إنها قادمة. إنهم يستطيعون أن يوقعوا على اتفاقيات السلام التي يريدون، إن ذلك لن يحقق شيئاً، هناك أيام سوداء قادمة، إن مشاكل إفريقيا لن تحل، وكذلك مشاكل أمريكا الوسطى، ومشاكل أوروبا، إن الأمور ستتوجه إلى الأسوأ)[٢].

وتقول مجلة واشنطن بوست عن هذه الموقعة (هرمجدّون): (إن العصر الحالي محكوم بالشيطان، وإن الوقت قد اقترب عند نهاية العالم حينما تغزو جيوش السوفيات وإيران والعرب والأفارقة والصين دولةَ إسرائيل، وستباد جيوش الغزاة بواسطة قنبلة ذرية، وسيموت الملايين من الإسرائيليين، أما المتبقي منهم فإنه سيتم إنقاذه لكي يقبل يسوع كمسيح له. والمؤمنون بالمسيحية والمتنصرون من اليهود؛ سوف يتم رفعهم جسدياً من على الأرض ليتوحدوا في السماء مع المسيح، ثم سيعود المسيح إلى الأرض بجيش من القديسين لمعاقبة غير المؤمنين، وتحطيم القوى المعادية له في معركة الخير والشر المسمَّاة هرمجدّون، والواقعة في سهل المجدل في فلسطين. وستنتهي هذه المحنة بقبول اليهود للمسيح

(١) النبوءة والسياسة، ص ٣٤.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٧.

كمنقذ لهم، وبزوغ فجر عصر الألف عام السعيد تحت حكم المسيح)[١].

يقول فولويل: (وهكذا ترون أن هرمجدّون هي حقيقة، وهي تعد المسرح لتقديم الملك الرب المسيح بقوة وعظمة. وبالرغم من الآمال الوردية وغير الواقعية تماماً التي أبدتها حكومتنا حول اتفاقية (كامب ديفيد) بين مصر وإسرائيل؛ فإن هذه الاتفاقية لن تدوم. إننا نصلي بالفعل من أجل السلام في القدس، إننا نحترم رئيس حكومة إسرائيل، ورئيس جمهورية مصر، فهما يريدان السلام، ولكن أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلىٰ أن يأتي يوم يجلس فيه الإله المسيح علىٰ عرش داود في القدس. إن هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءاً منه. ولكن حتىٰ ذلك الوقت لن يكون هناك سلام علىٰ هذه الأرض حتىٰ يعود أمير السلام ومخلّصنا)[٢].

وفي عام ١٩٧٠م حذّر القس (بيلي جراهام) من أن العالم يتحرك الآن بسرعة كبيرة نحو هرمجدّون، وأنها تقع إلىٰ الغرب من الأردن بين الجليل والسامرة في سهل جزريل (مجيدو). وعندما شاهد نابليون هذا المكان العظيم قال: (إن هذا المكان سيكون مسرحاً لأعظم معركة في العالم، ذلك أن الكتاب المقدس يُعلّمنا أن آخر أكبر حرب في التاريخ سوف تخاض في هذا المكان من العالم: الشرق الأوسط)[٣].

وفي عام ١٩٧٧م كتب الرئيس السابق للقساوسة الإنجيليين س. س. كريب: (في هرمجدّون، المعركة النهائية، سوف يسحق المسيح كلياً ملايين العسكريين المتألقين الذين يقودهم الديكتاتور المعادي للمسيح)[٤].

---

(١) (21 October 1984, Post Washington)، نقلاً عن البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ١٧٢.

(٢) النبوءة والسياسة، ص ٥٣، ٥٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٩.

(٤) الصهيونية المسيحية، ص ٨٢، والنبوءة والسياسة، ص ٤٩.

وأشار هول ليندسي أن العرب سيتورطون في هذه المعركة ضد المسيح[(١)].

وقال أيضاً: (إن دولة إسرائيل هي الخط التاريخي لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل)[(٢)].

ويرسم الإنجيليون النصارى (سيناريو) هرمجدّون:

١ ـ قيام دولة إسرائيل.

٢ ـ عودة اليهود من الشتات إلىٰ أرض الميعاد.

٣ ـ إعادة بناء هيكل سليمان علىٰ أنقاض المسجد الأقصىٰ.

٤ ـ تعرّض إسرائيل إلىٰ هجوم كبير من الكفار (المسلمين).

٥ ـ قيام دكتاتور يكون أسوأ من هتلر أو ستالين أو ماوتسي تونغ، يتزعم القوات المهاجمة.

٦ ـ خضوع معظم العالم لسيطرة هذا الديكتاتور الذي يعادي اليهود.

٧ ـ تحول (١٤٤) ألف يهودي إلىٰ المسيحية؛ بحيث يصبح كل واحد منهم مثل اليهودي المتنصر والداعية إلىٰ النصرانية (بيلي جراهام)، ينتشرون في العالم لتحويل بقية الشعوب إلىٰ الديانة الإنجيلية.

٨ ـ وقوع معركة هرمجدّون النووية التي تتسبب في كارثة بيئية ضخمة.

٩ ـ ارتفاع المؤمنين بالولادة الثانية للمسيح وحدهم؛ بمعجزة إلهية فوق أرض المعركة ونجاتهم من الكارثة، بينما تذوب أجسام بقية البشر في الحديد المنصهر.

---

(١) النبوءة والسياسة، ص ٥٠.

هول ليندسي: صاحب كتاب (آخر أعظم كرة أرضية) الذي بيع منه حوالي (١٨) مليون نسخة، وظل علىٰ رأس لائحة الكتب الأكثر مبيعاً خلال السبعينيات. المرجع السابق، ص ٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٠.

١٠ - حدوث ذلك في غفلة عين.

١١ - نزول المسيح بعد سبعة أيام إلى الأرض ومعه المؤمنون به.

١٢- حكم المسيح للعالم لمدة ألف عام بعدل وسلام حتى تقوم الساعة[١].

وكما ذكرت في صفحات مضت؛ أن اليهود استغلوا هذا الاعتقاد عند النصارى ليقنعوهم بأن يساعدوهم على الاستيطان في فلسطين، وجمع شملهم من الآفاق إلى أرض فلسطين الإسلامية، وتأسيس دولة اليهود هناك لتعجيل المجيء الثاني لمسيحهم المنتظر، و(لكي تكون دولة اليهود على أرض فلسطين بمثابة موقع متقدم لليهود وللنصارى لقتال المسلمين في هذه المعركة)[٢].

حتى إنه في حرب الخليج الثانية في آب- أغسطس ١٩٩٠م؛ نقلت وكالة الصحافة الفرنسية نبأ من القدس المحتلة يتضمن نداءً للحاخام مناحيم شنيرسون - الزعيم الروحي لحركة (حياد) الأصولية اليهودية - يقول فيه: (إن أزمة الخليج تشكل مقدمة لمجيء المسيح المنتظر)[٣].

(١) الصهيونية المسيحية، ص ٨٢ محمد السماك، ويوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟، ص ١٢ د. سفر الحوالي، النبوءة والسياسة، ص٩٤، جريس هالسل.

(٢) الأرض المقدسة، إبراهيم العلي، ص ١٩٥.

(٣) الصهيونية المسيحية، ص٨٠.

المبحث الثالث
أثر هذه المواقف في إنشاء دولة إسرائيل الحالية على أرض فلسطين

الصهيونية المسيحية هي مجموعة المعتقدات الصهيونية اليهودية المنتشرة بين المسيحيين، وبخاصة قيادات وأتباع الكنائس البروتستانتية، والتي تهدف إلى تأييد قيام دولة يهودية في فلسطين بوصفها حقاً تاريخياً ودينياً لليهود، ودعمها بشكل مباشر وغير مباشر؛ باعتبار أن عودة اليهود إلى الأرض الموعودة - على زعمهم - وهي فلسطين هي برهان على صدق التوراة، وعلى اكتمال الزمان وعودة المسيح ثانية.

(والعجيب أن الحركة الصهيونية لم تولد يهودية، بل هي نصرانية الأصل والمنشأ، والداعون لها من اليهود جاؤوا تبعاً)[١].

ومن الثابت تاريخياً أن الصهيونية البروتستانتية والأصولية المسيحية مارست دوراً مهمّاً وفعّالاً في تمكين الصهيونية اليهودية من بدء تنفيذ مشروعها الكوكبي الكبير بإقامة محطتها الأولى ومنصة قفزها (إسرائيل)؛ عن طريق حشد الرأي العام الغربي والمؤسسات الحكومية والخاصة، وجمع الأموال لهم، وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين. ورفع مظلّة حماية بالغة الشراسة والإصرار؛ ممعنة في العنف الدموي فوق تلك المحطة الأولى (إسرائيل)؛ درءاً لأي خطر أو شبهة خطر يمكن أن يتهددها أو ينقص من وضعها كقوة عظمى إقليمية في المنطقة العربية[٢].

---

(١) يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟ ص ٥١، د. سفر الحوالي.

(٢) المسيحية والتوراة، شفيق مقار، ص ٩٠، والنبوءة والسياسة، مقدمة الناشر، ص ١٠.

والدراسات التي تعزو نجاح الصهيونية إلىٰ المواهب السياسية والدبلوماسية لليهود الصهيونيين، كإرجاع الفضل في صدور وعد بلفور إلىٰ جهود وايزمان، أو إرجاع الفضل في السياسة الأمريكية الحالية الموالية لإسرائيل إلىٰ جهود اللوبي الصهيوني في واشنطن؛ قد جانبت الصواب في ذلك.

فهذه التفسيرات لقوة الصهيونية (ساذجة جداً؛ إذ إن مواهب وايزمان في الدبلوماسية الدولية والإقناع مهما بلغت من القوة؛ ما كانت لتؤتي ثمارها لو لم يكن أشخاص من غير اليهود قد بذروا بذور الصهيونية ورعوها قبل ظهور كتاب (الدولة اليهودية) لهرتزل عام ١٨٩٦م. وللسبب نفسه فإنه ما كان للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة أن يبلغ مستوىٰ النفوذ الذي بلغه لولا الحقيقة البسيطة الواقعة اليوم، وهي أنه يعمل في بيئة سياسية ملائمة إلىٰ أقصىٰ حد للأفكار الصهيونية)[١].

يقول حاييم وايزمان: (إن الإنجليز هم أشد الناس تأثراً بالتوراة، وتدين الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا؛ لأن الإنجليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلىٰ فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات)[٢].

ومنذ التغلغل التوراتي في الديانة النصرانية، وظهور الحركة البروتستانتية، وظهور (الصهيونية النصرانية) قبل (الصهيونية اليهودية) في القرن السادس عشر الميلادي، وتبنيها لفكرة عودة اليهود إلىٰ فلسطين تمهيداً لعودة المسيح[٣]؛ لمعت أسماء رجال ومنظمات وهيئات في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، عملت جاهدة علىٰ تنفيذ هذه العقيدة المزعومة علىٰ مر القرون الأربعة الماضية.

---

(١) الصهيونية غير اليهودية، ص ١١.
(٢) مذكرات وايزمان، ص ١٨.
(٣) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترىٰ، د. سفر الحوالي، ص ٤٤.

ففي أوروبا:

كان أوليفر كروميل في مقدمة أهم السياسيين البريطانيين المتحمسين لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين، وذلك على مدى عشر سنوات (١٦٤٩ - ١٦٥٨م) عندما كان رئيساً للمحفل البيورتاني(١).

وظهر في فرنسا من دعا إلى توطين اليهود في فلسطين، ومن هؤلاء إسحاق دي لابيرير (١٥٩٤ - ١٦٧٦م)، وفيليب جنتل دي لا نجالير (١٦٥٦- ١٧١٧م). وتنبأ قسيس فرنسي يدعى بيير جوريو بإعادة تأسيس مملكة يهودية في فلسطين قبل انتهاء القرن السابع عشر(٢).

وكان لألمانيا اللوثرية وإسكندنافية نصيبهما من الصهيونية التي تؤمن بالعصر الألفي السعيد، فقد كانت هامبورغ الواقعة في شمال ألمانيا مشهورة في القرن السابع عشر بأنها الموطن الأسطوري لليهود في القارة الأوروبية، وكان هذا الميناء

---

(١) الصهيونية المسيحية، ص ٣٩، والأصولية المسيحية، ص ٤٥، والصهيونية غير اليهودية، ص ٥٧.
الحركة البيورتانية (التطهيريون): فرقة من الفرق البروتستانتية كانت تمثل أشد أشكال البروتستانتية تطرفاً، وقد غالت هذه الفرقة في إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولية للعهد القديم. وكانت هذه الفرقة تجمع بين نزعة حب الخير لليهودية والانطباع بأن اليهود هم خلفاء العبرانيين القدامى، وكان إكبارهم للعهد القديم وأهله ناجماً عن الاضطهاد الذي قاسوه على أيدي الكنيسة الكاثوليكية.
جلبت البوريتانية لإنجلترا اجتماعياً وفكرياً الغزو (العبري) الذي كان قد اجتاح القارة الأوروبية، وأصبحت العبرية أمراً محسوساً على المستوى الشعبي وفي حياة الأمة اليومية. وكان البيوريتانيون يستشهدون بالعهد القديم لدعم أفكارهم السياسية. الصهيونية غير اليهودية، ص ٥٠ - ٥٢، والأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص ٤٥.
(٢) الصهيونية غير اليهودية، ص ٦١، والصهيونية المسيحية، للسماك، ص ٤١.
(وطرحت فرنسا لأول مرة خطة لإقامة كومنولث يهودي في فلسطين؛ مقابل القروض اليهودية للحكومة الفرنسية، وإسهام اليهود في تمويل حملة نابليون بونابرت لاحتلال المشرق العربي بما فيه فلسطين. وتذكر المؤرخة اليهودية تشمان أن نابليون بونابرت هو أول رئيس دولة يقترح استعادة دولة يهودية في فلسطين). البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن ص٢٦ - ٢٧.

ثالث مكان مهم بعد لندن وأمستردام يأوي إليه اليهود الإسبان والبرتغاليون الفارون من محاكم التفتيش. كما أن هامبورغ كانت مركز الحركة التقوية الألمانية، وهي حركة صوفية روحية تركز تعاليمها الأخروية على عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين. وقد عمل مؤسس هذه الحركة فيليب جاكوب سبنر (١٦٣٥ - ١٧٠٣م) على تعزيز حب السامية كوسيلة لإغراء اليهود بالتنصير قبل عودتهم لفلسطين، لكنه كان يدعو كذلك إلى تفهم واحترام اليهود الذين يؤثرون التمسك بدينهم(١).

وفي عام ١٦٥٥م نشر بول فلجنهادر(١٥٩٣ - ١٦٧٧م) كتابه (أخبار سعيدة لإسرائيل) الذي أكد فيه أن عودة المسيح المنتظر، ووصول المسيح اليهودي - حدث واحد(٢).

وفي عام ١٧٩٠م طلب ريتشارد بير أسقف ساند بروك من رئيس الوزراء الإنجليزي (وليم بت) أن يساعد على تحقيق (عودة اليهود للأرض المقدسة)(٣).

وظهرت في القرن التاسع عشر دعوات سياسية ودينية جديدة أسهمت في تهيئة الظروف والمناخ المناسبين لولادة الصهيونية اليهودية السياسية، وأدت دوراً أساسياً في تشجيع توطين اليهود في فلسطين(٤).

ويعتبر اللورد شافتسبري (أنطوني إشلي كوبر) (١٨٠١ - ١٨٨٥م) أحد أبرز العناصر الإنكليزية تحمساً وتشجيعاً للفكرة الصهيونية (قيام دولة يهودية في فلسطين)، وقد عقد آمالاً كبيرة على التنقيب عن آثار فلسطين للتدليل على صدق

---

(١) الصهيونية غير اليهودية، ص ٦٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الصهيونية غير اليهودية، ص ٨٦.
(٤) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص٢٧.

الكتاب المقدس وصحة ما ورد فيه. فجاء صندوق اكتشاف فلسطين ليضع أحلامه موضع التنفيذ بعد مضي حوالي ثلاثين عاماً على تدوين تلك الخواطر في مفكرته.

وقد قدم في أثناء انعقاد مؤتمر لندن عام ١٨٤٠م اقتراحاً إلى الحكومة البريطانية وإلى رئيس وزرائها اللورد (بالمرستون)؛ كي تتبنى مشروع إعادة اليهود إلى فلسطين. وكان مقتنعاً بأنه من الممكن أن يكون البشر أدوات لتحقيق أهداف سماوية، حيث كانت فلسطين في مخيلته بلداً مهجوراً، وهو واضع شعار (وطن بدون شعب لشعب بدون وطن)، والذي حوله الصهيونيون فيما بعد إلى (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)[١]. (وقد بنى صهيونيته على نبوءات توراتية)[٢].

وكان يطلق على اليهود دائماً تعبير (شعب الله القديم)، وقد عمل جاهداً لإعادة اليهود إلى فلسطين، فهو يرى في ذلك مفتاح الخطة الإلهية لمجيء المسيح ثانية، والأداة التي من خلالها تتحقق النبوءة التوراتية[٣].

(وقد احتل شافتسبري مكاناً بارزاً في تاريخ الحركة الصهيونية المسيحية، ورأى في اليهود شيئاً حيوياً بالنسبة إلى أمل المسيحيين في الخلاص)[٤].

ومع أن شافتسبري كان أبرز الإنجيليين الذين اهتموا بقضية العودة اليهودية في القرن التاسع عشر؛ فإن كثيراً من ذوي المكانة والنفوذ البريطانيين عملوا جادين لتحقيق هذا الهدف، منهم:

---

(١) الصهيونية غير اليهودية، ص ٩٠، ٩١، والبعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ٢٧، ٢٨، وإسرائيل الكبرى، د. أسعد رزوق، ص ٦١، والأصولية المسيحية، ص ٤٩، والصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٤٢.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ٩٠.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٢٨.

(٤) المرجع السابق.

اللورد بالمرستون (١٧٨٤ ـ ١٨٦٥م):

عُين وزيراً للخارجية البريطانية (١٨٣٠ ـ ١٨٤١م)، وفي فترة ثانية (١٨٤٦ ـ ١٨٦٥م)، ثم أُنتخب رئيساً لوزراء بريطانيا سنة ١٨٥٥م، وظل في هذا المنصب إلى أن توفي ١٨٦٥م[١].

ظل متحمساً لفكرة توطين اليهود في أرض فلسطين، وفي هذا المجال يعدُّ أهم نصير سياسي لمشروع اللورد شافتسبري الخاص بإعادة اليهود إلى فلسطين، كما أنه كان أول من اكتشف الفكرة السياسية في صلب الحكم الديني البروتستانتي.

وأنشأ اللورد بالمرستون في عام ١٨٣٨م أول قنصلية لبريطانيا في القدس، واختار وليام ينغ[٢]، وهو إنجيلي متدين وصديق اللودر شافنتسبري، ليكون أول نائب قنصل في القدس؛ مما يدل على أن للعامل اليهودي دوراً في قرار بالمرستون.

كما أنه بعث برسالة في ١١/ ٨/ ١٨٤٠م إلى سفير بلاده في الآستانة التركية، يدعوه فيها إلى حث السلطان والحكومة العثمانية على مساعدة اليهود،

---

(١) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، جورجي كنعان، ص ٤٩.

(٢) وليام ينغ: عندما عينه بالمرستون باختيار من شافتسبري نائباً للقنصل في القدس عام ١٨٣٨م، كانت تعليماته تنص بالتحديد على أن من بين مهامه حماية كل اليهود المقيمين في فلسطين، كما طلب منه أن يبعث تقريراً لوزارة الخارجية عن حالة السكان اليهود في الأراضي الواقعة ضمن نطاق سلطاته القنصلية. وكان هذا اعترافاً من بريطانيا باليهود كأمة وارتباطهم بفلسطين قبل أن يوضع البرنامج الصهيوني اليهودي بأمد طويل. أرسل وليام ينغ إلى وزارة الخارجية تقريراً في مايو عام ١٨٣٩م يقول فيه: (إن عدد اليهود المقيمين في فلسطين ٩٦٩٠ شخصاً، وإن وضعهم بائس، وإنهم يعتمدون اعتماداً كاملاً على المساعدة الخارجية). وكانت حماسة ينغ لتقديم الحماية (لليهود بشكل عام) تفضي كثيراً إلى نزاع مع القنصل البريطاني العام المقيم في مصر الكولونيل باتريك كامبل، والذي شعر بأن حماسة ينغ المبالغ فيها دفعته لتجاوز حدود سلطته. انظر: الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ١١٩.

وتشجيعهم للتوطن في أرض فلسطين؛ ملوّحاً له فيها بالشعور الجيّاش الذي أخذ يجتاح اليهود في أوروبا الشرقية للعودة إلىٰ وطنهم القديم[١].

لورنس أوليفانت (١٨٢٩-١٨٨٨م):

(كان أقوىٰ ممثل للصهيونية غير اليهودية)[٢]، إنجيلي متطرف، وعضو البرلمان الإنكليزي، وصحفي. قام بزيارة شخصية لفلسطين لمسح أراضيها ودراسة ظروف الاستيطان والاستعمار الزراعي فيها. أصدر كتاباً عام ١٨٨٠م سمّاه (أرض جلعاد)، ضمّنه آراءه وأفكاره بخصوص توطين اليهود في فلسطين وفي الضفة الشرقية في الأردن. أما بالنسبة لسكان المنطقة العرب فدعا إلىٰ طردهم مثلما حدث للهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنهم، أي العرب، علىٰ حد قوله (غير جديرين بأية معاملة إنسانية)[٣].

(ويحظىٰ لورنس أوليفانت بأهمية تفوق الآخرين؛ لأنه أول من أقام اتصالات بين الصهيونيين اليهود وغير اليهود)[٤].

وقد قام بإشراك اليهود أنفسهم في مشاريع الاستيطان والاستعمار[٥].

وعهد إليه رئيس الوزراء البريطاني اللورد بيكونسفيلد (دزرائيلي)، ووزير خارجيته اللورد سالزبري؛ أن يتفاوض مع السلطان العثماني بهدف الحصول

(١) الأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص ٤٩، والصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٤٣-٤٤، والبعد الديني في السياسة الأمريكية د. يوسف الحسن، ص ٢٧، والصهيونية غير اليهودية، ص ١١٦، ١١٨، ١١٩.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ١٤٠.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٢٩، والصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٤٧، والصهيونيةغير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ١٤٠، ١٤١، والأصول المسيحية، جورجي كنعان، ص ٥١، وإسرائيل الكبرىٰ، د. أسعد رزوق، ص ٦٢-٦٥.

(٤) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ١٤١.

(٥) المرجع السابق.

على موافقته على توطين اليهود في أرض فلسطين[١].

(وفي عام ١٨٨٢م استقر أوليفانت في فلسطين مستوطناً يروّج لفكرة الاستيطان اليهودي)[٢].

وليام هشلر (١٨٤٥ ـ ١٩٣١م):

(في الوقت الذي كان أوليفانت يحاول فيه الحصول على تأشيرة دخول لليهود من السلطان العثماني؛ كان وليام هشلر، الملحق في السفارة البريطانية في فيينا، ينظّم عملية تهجير اليهود الروس إلى فلسطين)[٣].

(ولد وليام هشلر لأبوين ألمانيين بروتستانتيين، وربي على تعاليم الأصولية المسيحية فاستحوذت على عقله نبوءات العهد القديم، وخلبت لبّه مقولة العصر الألفي السعيد، وما كان يُؤوله رجال الدين الأصوليون من علامات ودلائل يطلقون عليها شارات العصر Sings of the Time تنبئ باعتبارهم بقرب حلول العصر الألفي. انغرست في ذهنه مسألة قدوم المسيح المنتظر، وحين التقى بهرتزل عبّر عن الهَمِّ أو الرجاء الذي يملأ فكره وحياته، فقال له: أنت هو الذي كنت أنتظره.. أنت المسيح المنتظر)[٤].

كان قسيساً إنجليكانياً أيد المشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين بقوة، وجمع الأموال لمساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين. أوفدته الحكومة الإنجليزية عام ١٨٨٢م إلى الآستانة لمقابلة السلطان العثماني عبد الحميد وإقناعه بمسألة توطين اليهود في فلسطين.

نظم في السنة نفسها في آيار (مايو) ١٨٨٢م مؤتمراً في فيينا لشخصيات

---

(١) الأصولية المسيحية، ص ٥١، والصهيونية المسيحية، ص ٤٧، والصهيونية غير اليهودية، ص ١٤٢.

(٢) الأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص ٥١.

(٣) الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٤٧.

(٤) الأصولية المسيحية، ص ٥٤.

مسيحية نافذة؛ بهدف إيجاد حل (للمشكلة اليهودية)، وفي العام نفسه زار فلسطين ليتحرىٰ بنفسه ظروف الاستيطان اليهودي فيها[(١)].

وفي عام ١٨٩٤م نشر كتابه (عودة اليهود إلىٰ فلسطين طبقاً لنبوءات العهد القديم)، ضمّنه آراءه وآراء وأفكار الأصوليين بالعصر الألفي، وبالحسابات والمعادلات المبنيّة - بزعمه - علىٰ نبوءات باقتراب موعد العودة، واصطفاء اليهود للقيام ببناء هيكلهم المزعوم. ونُشر هذا الكتاب قبل كتاب هرتزل (الدولة اليهودية) بعامين[(٢)].

وصفته المؤلفات الصهيونية بـ (حبيب صهيون المسيحي)، حيث إنه بشَّر بإسرائيل، وبعودة اليهود إلىٰ فلسطين[(٣)].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ٢٩، ٣٠، والصهيونية غير اليهودية، ص١٤٦، ١٤٧، الصهيونية المسيحية، ص ٤٧، وإسرائيل الكبرىٰ، ص ٥١ - ٥٣، والأصولية المسيحية، ص ٥٥.

(٢) المراجع السابقة.

يقول: جورجي كنعان: (جاء في رؤيا يوحنا (١١ : ٢٠) قوله: (وسيدوسون الأم المدينة المقدسة اثنين وأربعين شهراً، وسأعطي لشاهدي فيتنبّأن ألفاً ومائتين وستين يوماً).

فكانت حسابات هشلر علىٰ النحو الآتي:

أن الشهر النبوي يساوي ثلاثين يوماً نبوياً، وأن اليوم النبوي يساوي سنة (كما يعتبر ذلك اللاهوتيون)، فإذا ضربنا ٤٢×٣٠ حصلنا علىٰ ١٢٦٠ يوماً نبوياً أو سنة. واعتبر هشلر دخول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلىٰ القدس سنة ٦٣٧م هو بداية دوس الأم للمدينة المقدسة - علىٰ هشلر لعائن الله المتتالية -، فإذا أضفنا ١٢٦٠ سنة إلىٰ ٦٣٧ سنة كان لدينا سنة ١٩٩٧م نهاية دوس الأم، وبدء عودة اليهود إلىٰ (سابق عزهم ومجدهم). وكان هشلر يكرر دائماً علىٰ مسامع هرتزل قوله: (لقد مهدنا السبيل لك). الأصولية المسيحية، ص ٥٥، والصهيونية غير اليهودية، ص ١٤٧، وإسرائيل الكبرىٰ، ص ٥٤.

وممن ذهب إلىٰ هذا مؤلف كتاب (تاريخ الحروب الصليبية)، ستيفن رنسمان ص ١٧ - ١٩، قال الشيخ د. سفر الحوالي: «وعلىٰ هذا الرأي ذهب المؤلف النصراني العربي فيليب حتىٰ». وقد رد عليهم فضيلته في كتاب (يوم الغضب) بحساب الأيام وذكر التواريخ كما وردت في نصوصهم، ومما قاله بعد ذلك: (. . . فإن وصف الرجس أبعد ما يكون عن أمة التوحيد وفتوحاتها العظمىٰ التي أخرجت الناس من الظلمات والرجس إلىٰ النور والطهارة)، ص٨١ - ٨٢. انظر: ص ٧٢ - ٨٨، من المرجع السابق، للدكتور سفر الحوالي.

(٣) إسرائيل الكبرىٰ، د. أسعد رزوق، ص ٥٢.

وفي الفترة التي كان فيها وليام هشلر قسيساً للسفارة البريطانية في فيينا (١٨٨٥ - ١٩١٠م)، وبخاصة النصف الثاني منها، قامت بينه وبين هرتزل صلات عميقة، فسعىٰ هشلر إلىٰ تأمين الاتصالات الأولية المهمة بين هرتزل والكثيرين من القادة الأوروبيين أنصار العصر الألفي. ومن هؤلاء الأوروبيين دوق بادن الأكبر فريدريك الأول، وقد ساعده ذلك علىٰ إقامة لقاءات بينه وبين القيصر الألماني.

كما أن هشلر كان أول من قدّم إلىٰ هرتزل خريطة فلسطين بحدودها من الفرات إلىٰ النيل. وقد جاء إلىٰ مؤتمر بال السويسرية عام ١٨٩٧م بصحبة هرتزل معتبراً نفسه سكرتيراً للمسيح المنتظر، وهتف في المؤتمر بقوله: (يحيا الملك)، أي هرتزل، ونادىٰ في المؤتمر مطالباً اليهود بأن (استفيقوا يا أبناء إبراهيم، فالله ذاته يدعوكم للرجوع إلىٰ وطنكم القديم)[1].

(كان تعاون هشلر ولورنس أوليفانت الفعّال مع الحركة الصهيونية اليهودية أول الحلقات في سلسلة طويلة من الاتصالات بين الصهيونيين اليهود وغير اليهود في مطلع القرن العشرين)[2].

وهكذا لم يتوقف هؤلاء القادة الكنسيون الأوروبيون - ومن بعدهم الأمريكان عندما أخذت أمريكا زمام أمر الدول - الذين آمنوا بهذه الاتجاهات والأفكار الصهيونية، والتي تبلورت حول دعم وتشجيع توطين اليهود في فلسطين، واعتبارهم شعباً مختاراً وفلسطين هي أرضهم الموعودة، عند حدود المواعظ الدينية والإيمان، بل تعدّوا ذلك إلىٰ الحركة المباشرة، ونشر هذه الدعاوىٰ، وبذل الجهد لدعمها مالياً وسياسياً وفكرياً[3].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص٣٠، والصهيونية غير اليهودية، ص ١٤٨، وإسرائيل الكبرىٰ، ص ٥٣، ٨٨، والصهيونية المسيحية، ص ٤٨، والأصولية المسيحية، ص ٥٥.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ص ١٤٨.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٣٠.

فمثلاً لم يلبث أن قام دعاة الصهيونية المسيحية بإنشاء (صندوق اكتشاف فلسطين) الذي أسس في لندن عام ١٨٦٥م برعاية الملكة فكتوريا ورئاسة أساقفة كانتربري. وقد أثار تأسيس هذا الصندوق المزيد من الاهتمام بمشروع توطين اليهود في فلسطين(١).

(إن التأثير الثقافي والفكري والديني على مستقبل الموقف الإنكليزي السياسي نحو إقامة الدولة اليهودية في فلسطين كان كبيراً، وبخاصة معتقدات البروتستانت المؤمنة بعودة المسيح الثانية وبناء مملكة الألف عام السعيد، وما تم من عبرنة أو تهويد للبروتستانتية؛ إذ شكّلت مسألة إعادة تفسير العهد القديم محوراً مركزياً في حركة الإصلاح الديني، وقد لعبت هذه التأثيرات دوراً أساسياً في تحضير إنكلترا لقبول الصهيونية اليهودية السياسية)(٢).

يعلق المؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف على قوة تيار المسيحية المتصهينة في إنجلترا؛ بقوله: (لقد قام المسيحيون الإنجليز بالتبشير بالمبادئ التي تقوم عليها القومية اليهودية). وقد أعرب عن امتنانه للكثيرين من المفكرين والأدباء والشعراء الإنجليز على مرّ العصور (الذين ناصروا القضية الصهيونية، فقد ظلت الصهيونية قرابة ثلاثة قرون فكرة دينية يتوارثها عظماء المسيحيين، خاصة في إنجلترا، جيلاً بعد جيل)(٣).

والواقع أن الذهن الإنجليزي كان مهيأً لتقبل الأفكار الصهيونية قبل هرتزل ووايزمان بوقت ليس بالقصير، وأن بذور الصهيونية نبتت ونمت في إنجلترا على

---

(١) إذ قدمت العديد من الدراسات التفصيلية لهذا المشروع، والذي شارك فيه خبراء آثار وتاريخ وجيولوجيا ورجال دين، وكانت غالبية هذه الدراسات تشير إلى ضرورة (عودة اليهود إلى أرض الميعاد)، وإقامة كيان لهم تحت الحماية الإنكليزية. المرجع السابق، ص ٣١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣١.

(٣) الأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص ٥٧.

أيدي المسيحيين المتهودين قبل ظهور كتاب هرتزل بفترة طويلة.

ومن هنا؛ فإن زعماء الصهيونية يعتزون بأن وعد بلفور (وثيقة بروتستانتية)، فهو يدعو لـ (عودة) اليهود إلىٰ أرض إسرائيل (فلسطين)؛ انتظاراً لـ (عودة المسيح باعتقاد البروتستانت، أو لـ (ظهوره ابتداءً) باعتقاد اليهود[١].

اللورد آرثر جيمس بلفور، وصهيونيته المسيحية:

أهم الأدوار في مراحل إنجاز المشروع الصهيوني - إنشاء دولة يهودية علىٰ حسب حدودهم المزعومة - قام به اللورد آرثر بلفور وزير الخارجية البريطانية آنذاك، وهو الاعتراف الدولي بهذا المشروع وهذه الحقوق المزعومة، وكان ذلك تحت رئاسة ديفيد لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني. وأصدر بلفور وعده في ٢/ ١١/ ١٩١٧م.

والمعرفة بحال آرثر بلفور الثقافية والدينية تُسهِّل لنا إدراك سبب إصداره لوعده إلىٰ اليهود بأرض فلسطين. (فقد كان لثقافته وقناعته الدينية دور مهم في بلورة موقفه السياسي من المشروع الصهيوني)[٢].

(وصلة بلفور القوية بالصهيونية تعكس تشرّبه بعبرانية الكتاب المقدس، فقد

---

(١) والدراسات التي تتناول هذا الموضوع كثيرة، فمثلاً بربارا توخمان التي تبحث طبيعة المسيحية المتصهينة في كتابها (التوراة والسيف) مركّزة علىٰ العهد البيورتاني في إنجلترا، تقول: «إنجلترا هي التي أخذت علىٰ عاتقها إعادة اليهود إلىٰ أرض فلسطين»، وتؤكد: (أن اضطلاعها بذلك العمل راجع إلىٰ ما باشره الدين من تأثير قوي في ذلك الاتجاه فيما سبق زماننا من قرون). وهناك دراستان تبحثان في الأنشطة السياسية، وفي الأدوار التي قام بها المسيحيون المتصهينون في بريطانيا. وتعدُّ الدراستان دعاة العودة من المسيحيين بأنهم روّاد الصهيونية الحديثة، وهما:

Albert M. hyamson British projects for the restoration of thr Jews, London 1917.

N.A. rose, the Gentile Zionists, London 1937.

المرجع السابق، ص ٥٧، ٥٨، ١٩٥.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٣١.

اهتم باليهود قبل ظهور الصهيونية الهرتزلية، كما عني بالفلسفة اليهودية وبمشاكل اليهود في العالم المعاصر، بالإضافة إلىٰ ما يدين به كل من الدين والحضارة المسيحية لليهودية)[١].

وتقول ابنة أخته ومؤرخة حياته بلانش دوغاديل: (لقد تأثر بلفور منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنيسة، وكان كلما اشتد عوده زاد إعجابه بالفلسفة اليهودية، وكان دائماً يتحدث باهتمام عن ذلك. وتعود جذور ذلك الاهتمام باليهود الذي رافقه طيلة حياته؛ إلىٰ دراسة أمه للعهد وتربيته الأسكتلندية. وما زلت أذكر أنني في طفولتي اقتبست منه الفكرة القائلة بأن المسيحية وحضارتها مدينتان بالشيء الكثير لليهودية)[٢].

ولقد وصف والدته ذات مرة بأنها (امرأة ذات إيمان ديني راسخ).

فقد نشأ إذاً وترعرع في أحضان التقاليد البروتستانتية الأسكتلندية بكل ما تحمله من حب للعهد القديم، وإيمان شديد بعودة اليهود بوصفها بشرىٰ بمجيء المسيح المنتظر. وكان يرىٰ أن التاريخ ما هو إلا أداة لتنفيذ هدف سماوي[٣].

وفي أثناء دراسته في جامعة كمبردج كان في عداد الطلاب الذين التقوا الكاتبة اليوت مؤلفة كتاب (دانيال ديروندا) (١٨٧٤ ـ ١٨٧٦م)، والتي دعت فيه للفكرة القائلة بضرورة تسديد الدين الأدبي والمعنوي المستحق لليهود في ذمة المسيحية والعالم المتمدن. كما أنه كان يقرأ إصحاحات سفر إشعيا التي تتغنىٰ بالتوق الدائم لفلسطين[٤].

---

(١) إسرائيل الكبرىٰ، د. أسعد رزوق، ص ٢٠٦.
(٢) انظر: المرجعين السابقين.
(٣) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ١٦٠.
(٤) إسرائيل الكبرىٰ، ص ٢٠٧.

ويقول دونالد واغتر: (وقد كانت أطروحات شعب الله المختار وحقه في أرض الميعاد، وتحقيق النبوءة بتجميع اليهود في دولة إسرائيل في فلسطين؛ من أبرز معتقدات بلفور التوراتية التي ورثها في طفولته، وتربى عليها في نشأته في إحدى الكنائس الإنجيلية الأسكتلندية)[١].

كما أن بلفور لم ير في اليهود أنهم أداة لتحقيق العصر الألفي المسيحي فحسب، ولم يكن ليعتبرهم وسطاء في صفقة المصالح الإمبريالية البريطانية، بل أصر على اعتبارهم منفيين يعيشون بعيداً عن وطنهم، فخالجته الفكرة القائلة بإعادة وطنهم القديم إليهم[٢].

ومما يذكر عنه أنه حينما اجتمع في عام ١٩٠٦م مع الزعيم الصهيوني اليهودي وايزمان في فندق مانشستر؛ أكد له ضرورة أن تقدم المسيحية كل قدراتها إلى اليهود لتحقيق فرصة العودة إلى وطنهم[٣].

وكان بلفور من السياسيين البريطانيين المطّلِعين على التاريخ اليهودي، وقد اعتبر أن تحطيم الرومان مملكة اليهود القديمة كان أحد أعظم الأخطاء في التاريخ[٤].

ويقول عنه بيتر غروز ـ أحد كبار الصحفيين في جريدة نيويورك تايمز الأمريكية، والذي عمل في لجنة التخطيط في وزارة الخارجية في عهد إدارة الرئيس كارتر، والذي شغل في عام ١٩٨٩م منصب مدير دراسات الشرق الأوسط في مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك ـ: (لقد كان بلفور أكثر فهماً من هرتزل لطموحات الصهيونية). وكان يقول على لسان بلفور: (إذا كان لا بد

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٣٢.
(٢) إسرائيل الكبرى، ص ٢٠٧.
(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ٣٣.
(٤) المرجع السابق.

من إيجاد وطن للشعب اليهودي ؛ فإنه من العبث البحث عن أي مكان غير فلسطين). كما يذكر أن بلفور أعلن صراحة إثر مغادرته واشنطن في آيار / مايو ١٩١٧م : (أنا صهيوني)، وذلك بعد أن وضع الخطوط النهائية للوعد المسمّى باسمه، وإثر اجتماعه مع الرئيس الأمريكي ولسون، ولقائه القاضي الصهيوني اليهودي لويس برانديز(١) .

وكان بلفور لا يخفي تصوره المبني على الحقد والكراهية لعرب فلسطين، وحول مستقبلهم بعد إصدار وعده بالأرض لليهود، فقد جاء في مذكراته بالنسبة (لسورية وفلسطين وما بين النهرين) : (ليس في نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين، مع أن اللجنة الأمريكية تحاول استقصاءها، إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية. وسواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة ؛ فإنها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد، والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهي ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف عربي الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة)(٢) .

أما بالنسبة للاستيطان اليهودي في فلسطين ؛ فقد أوصى في الجزء الأخير من هذه المذكرة : (إن كان للصهيونية أن تؤثر على المشكلة اليهودية في العالم فينبغي أن تكون فلسطين متاحة لأكبر عدد من المهاجرين اليهود. ولذا فإن من المرغوب فيه أن تكون لها السيادة على القوة المائية التي تخصها بشكل طبيعي، سواء كان ذلك عن طريق توسيع حدودها شمالاً، أم عن طريق عقد معاهدة مع سورية الواقعة تحت الانتداب، والتي تعتبر المياه المتدفقة من (الهامون) (حرمون، جبل الشيخ) جنوباً ذات قيمة بالنسبة لها. وللسبب ذاته يجب أن تمتد فلسطين لتشمل

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ص١٥٩ . وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] .

الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن)[١].

لويد جورج، وصهيونيته المسيحية:

أصدر اللورد بلفور وعده للصهيونية اليهودية تحت رئاسة لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني في ٢/ ١١/ ١٩١٧م.

ولويد جورج لا يختلف عن بلفور في إيمانه بالعهد القديم ونبوءاته، فقد نشأ وترعرع على الثقافة العبرية والتاريخ اليهودي؛ مما جعل رئيس خارجيته آرثر بلفور يعمل تحت مظلته وعلى عينه بلا معارضة أو مساءلة.

(كان بلفور ولويد جورج صهيونيين متحمسين، ومتفقين في تأييدهما للصهيونية)[٢].

فلويد جورج قد كفله خاله ريتشارد لويد - وهو واعظ متطوع ينتمي لإحدى فرق المعمدانيين الويلزية، وهي (كامبلينش أو حواريي المسيح) - بسبب وفاة والده وهو صغير، ولذلك فقد كانت له خلفية صارمة من العهد القديم.

وقد اعترف لويد جورج بأنه تمرس بالتاريخ العبري أكثر من تاريخ إنجلترا: (نشأت في مدرسة تعلمت فيها تاريخ اليهود أكثر من تاريخ بلادي، وبمقدوري أن أذكر أسماء جميع ملوك إسرائيل، ولكني أشك إن كنت أستطيع ذكر أسماء بضعة ملوك من ملوك إنجلترا أو مثل ذلك العدد من ملوك ويلز. لقد أُشربنا بتاريخ جنسكم في أعظم أيام مجده عندما أقام أدبه العظيم الذي سيتردد صداه حتى آخر أيام هذا العالم القديم، والذي سيؤثر في الأخلاق الإنسانية ويُشكّلها، وسيدعم ويُلهم الحافز الإنساني لا لليهود فحسب، بل للمسيحيين كذلك، لقد استوعبناه وجعلناه جزءاً من أفضل ما في الأخلاق المسيحية)[٣].

---

(١) المرجع السابق، والصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٥٠.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ص ١٦٠.

(٣) من كلمة جورج للجمعية التاريخية اليهودية في إنجلترا، في ٢٥ مايو ١٩٢٥م، المرجع السابق.

وفي هذا الحديث نفسه عزا لويد جورج الفضل في صهيونيته لشخصية حاييم وايزمان، فقد قال: (لقد اهتديت على يديه، لقد حولني للصهيونية).

وفي ١٥/ ١٠/ ١٩٠٥م وصفته صحيفة (جويش كرونكل) بأنه (مؤمن متحمس للحركة الصهيونية). وكان مُسلِّماً لحجج وايزمان بشأن وطن قومي لليهود في فلسطين، بل إن وايزمان ذكر: (إن تأييد لويد جورج للوطن القومي اليهودي كان سابقاً لتوليه رئاسة الوزارة). لقد بدأت معرفة وايزمان بلويد جورج في يناير عام ١٩١٥م، ولكنه كان على اتصال وثيق بهرتزل والحركة الصهيونية عام ١٩٠٣م[١].

(ومع وجود لويد جورج في رئاسة الوزارة وآرثر جيمس بلفور وزيراً للخارجية؛ تغلغلت الصهيونية غير اليهودية في أعماق دوائر القرار البريطاني التي كانت محاطة بحشد من الشخصيات المختصة الأقل شأناً، والتي كانت مخلصة في صهيونيتها)[٢].

ولهذا فإن الخلفية الدينية المؤمنة بقصص العهد القديم وتفسيراته العبرية لكل من لويد جورج وآرثر بلفور؛ كان لها أثر كبير في تحريك مواقفهما السياسية ودفعهما نحو إصدار الوعد الذي كان أول اعتراف دولي بالصهيونية السياسية، وبمشروعها: إقامة دولة لليهود في فلسطين[٣].

إن هذا الوعد (وعد آرثر بلفور ولويد جورج)، والذي حمل اسم (وعد بلفور)، والذي استغرق عامين (منذ ١٩١٥ إلى ١٩١٧م)، والذي يحوي بضع عشرات من الكلمات، ونصه:

(تنظر حكومة جلالة الملك بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب

---

(١) المرجع السابق، ص١٦١.
(٢) المرجع السابق، ص ١٦٢.
(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٣٤.

اليهودي في فلسطين، ولسوف تبذل قصارىٰ جهدها لتسهيل الوصول إلىٰ هذا الهدف، علىٰ أن يفهم جلياً أنه لن يؤتىٰ بعمل من شأنه أن يغيّر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرىٰ)[1].

هذا الوعد يحوي في كلماته المعتقدات الأساسية للصهيونية:

١ ـ اعترف هذا الوعد بوجود (الشعب اليهودي) كأمّة، ثم أصبح هذا الشعب (كياناً قومياً) يعترف به القانون الدولي بعد أن تمّ دمج الوعد في الانتداب البريطاني علىٰ فلسطين، وإقراره في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠م، وضمان عصبة الأمم المتحدة له في عام ١٩٢٢م.

٢ ـ أنكر هذا الوعد وجود شعب فلسطين العربي المسلم في الوقت الذي اعترف باليهود كأمّة، ولم يتأثر النصارىٰ في فلسطين بشيء؛ لأن إخوانهم في إنجلترا وباقي أوروبا وأمريكا رعوهم حق الرعاية، فضاع في هذه اللعبة المسلمون في فلسطين ومقدساتهم.

وقد أشار الوعد إلىٰ ٩٠٪ وأكثر من سكان فلسطين في ذلك الوقت بأنهم (الطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين)، وهذه التسمية المنافية للعقل والقانون، والتي تتجنب مجرد ذكر كلمة (عربي مسلم)، كانت تهدف إلىٰ إخفاء حقيقة أن فلسطين بلد إسلامي عربي! وبهذا التقىٰ الوعد مع تفسيرات الصهيونية المسيحية وما اقتنعت به منذ انشقاق الثورة البروتستانتية علىٰ الكنيسة الكاثوليكية

---

(١) سرقة أمة، وليم و. بيكر، ترجمة د. سهيل زكار، و أ. عدنان برنية، ص ٢٥، ومدىٰ مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين، د. محمد إسماعيل السيد، ص ١٣٣، وسياسة الاستعمار والصهيونية، د. حسن صبري الخولي، (١/ ٢٠٣). وفيما يتعلق بأصداء هذا التصريح العالمية؛ انظر: الجزء الثاني من رسالة الماجستير (تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة)، للدكتور. محمد عبد الرؤوف سليم.

الأم في القرن السادس عشر الميلادي، والتي ترىٰ أن فلسطين بلد ليس إسلامياً وليس عربياً ولكنه وطن يهودي. وبذلك أصبحت الأسطورة القائلة (إن فلسطين وطن الأجداد لكل اليهود) مقبولة علىٰ أعلىٰ مستويات صانعي القرار السياسي وفي غياب الأمة الإسلامية.

٣ ـ كانت الألفاظ التي صيغ بها وعد بلفور غامضة، وبخاصة فيما يتعلق بالأرض التي يضمها الوطن اليهودي في فلسطين. لكن الصهاينة غير اليهود هم أول من اشتغلوا بحدود فلسطين عند اليهود، وهي بالطبع (فلسطين التوراتية) والتي تشمل الشام: (لبنان، وسورية، والأردن).

وكان هشلر ولويد جورج وآرثر بلفور وغيرهم من الصهاينة غير اليهود علىٰ دراية واسعة بالجغرافيا التوراتية، ولم يكن يساورهم شك فيما ستسفر عنه السياسة البريطانية عن الوطن القومي اليهودي.

وقد أُثر عن بلفور قوله: (إنهم كانوا يعنون دولة يهودية دائمة)، وأكد لويد جورج هذا التفسير في الشهادة التي أدلىٰ بها أمام لجنة بيل. ومنذ عام ١٩١٧م قرر هؤلاء في أذهانهم وضع فلسطين المستقبلي كدولة يهودية، وإن لم يكن ذلك مسطراً علىٰ ورق[١].

وقد كان وعد بلفور لزعماء الصهيونية اليهودية آنذاك أمراً لم يكن متوقعاً، يقول وايزمان: (لقد حصلنا نحن اليهود علىٰ وعد بلفور بشكل غير متوقع، لم نكن نحلم أبداً بوعد بلفور، ولقد جاءنا بصراحة بشكل مفاجئ)[٢].

وبهذا الوعد تكون الصهيونية المسيحية الأوروبية قد جسَّدت أطروحاتها الدينية عملياً، فجاءت مرحلة من التعاون الوثيق بينها وبين المصالح

---

(١) الصهيونية غير اليهودية، ص ١٧٢ ـ ١٧٤، والبعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ٣٤.
(٢) الصهيونية غير اليهودية، ص ١٧٢.

الإمبريالية الغربية(١).

فالصهيونية المسيحية وصلت ذروتها خلال العقدين الأولين من هذا القرن(٢).

وقد انتقلت الصهيونية المسيحية منذ بدايتها الأولى إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فالبيورتانيون (التطهيريون) هم مؤسسو الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان تطور النظام العالمي يتجه باستمرار نحو إحداث تغييرات في مواقع القوى العظمى ومراكز الإدارة الدولية(٣).

وفي أمريكا:

شكلت الاتجاهات الصهيونية عنصراً بارزاً في الحياة الثقافية والسياسية الأمريكية منذ البداية الأولى لاستيطان الأوروبيين العالم الجديد، خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر، والذي سمي فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية(٤).

ولأجل الصراع الديني في أوروبا بين الطوائف البروتستانتية والكنيسة الأم (الكاثوليكية)؛ وجدت هذه الطوائف متنفساً لها في العالم الجديد، فصبغته بصبغتها الأصولية البروتستانتية، فحملت معها كل التقاليد التي بسببها حصل انشقاقها على الكنيسة الكاثوليكية، وما حصل بينها من صراعات طائفية من التصاقها التصاقاً تاماً بالكتاب المقدس بقسميه (القديم والجديد)، وخاصة العهد القديم وتفسيراته ونبوءاته (كتجميع اليهود في أرض الميعاد ـ فلسطين وما حولها ـ،

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني، د. يوسف الحسن، ص ٣٤.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، ص ١٧٤.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ٣٤.

(٤) المرجع السابق.

وكانتظار المسيح المنتظر، والعصر الألفي السعيد) التي انتشرت في إنكلترا ودول أوروبا في القرن السادس عشر وما بعده.

فخرجت بعض هذه الطوائف والحركات الدينية البروتستانتية من أوروبا، وخاصة الطائفة البيورتانية، بروح التدين التوراتي، فلما دخلوا العالم الجديد (أمريكا) تفاءلوا بأن هذا خروج كخروج بني إسرائيل من مصر ودخولهم إلى الأرض المقدسة (فلسطين)، فأخذوا يسمون المدن والمناطق في أمريكا بأسماء من التوراة، فشاعت أسماء مثل (صهيون، حبرون، أورشليم الجديدة)، وسموا أبناءهم بأسماء التوراة (إبراهام، سارة، إليعازر، يشوع)، وكانت اللغة العبرية لغة مهمة في المستوطنات الأمريكية الأولى، وبهذا تأسس المجتمع الأمريكي من بدايته على أساس بروتستانتي توراتي مقدِّس لليهودية[١].

وقد تحدّث الرئيس الأمريكي جيمي كارتر أمام الكنيست الإسرائيلي في آذار (مارس) ١٩٧٩م قائلاً: (لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين وجسَّدوا هذا الإيمان؛ بأن علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، بل هي علاقة فريدة؛ لأنها متجذّرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب

---

(١) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، ص ٥٩، والصهيونية المسيحية، ص ٥٥، والصهيونية غير اليهودية، ص ١٨٣ ـ ١٨٤، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، ص ٤٤، والبعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ٣٧.
حتى إن أول كتاب ينشر في العالم الجديد (أمريكا) كتاب يهودي، وهو ترجمة مباشرة للكتاب التوراتي سفر المزامير (Psalm).
ودخلت اللغة العبرية ومعها الدراسات اليهودية في برامج جامعة هارفارد التي أنشئت في عام ١٦٣٦م، وكانت العبرية من بين الموضوعات الإجبارية في الجامعة التي لا يمكن قبول الطالب فيها إلا إذا كان قادراً على ترجمة النص العبري إلى اللاتينية. وقد قدمت أول دفعة طلابية تخرجت في جامعة هارفارد عام ١٦٤٢م أول أطروحة جامعية بعنوان (العبرية هي اللسان الأم)، وأول مجلة كانت مجلة (اليهودي).
البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ٣٧. الصهيونية المسيحية، ص ٥٥، ٥٦.

الأمريكي نفسه. لقد شكّل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون طليعيون، ونحن نتقاسم تراث التوراة)[١].

وقد سُمح لليهود ببناء محافلهم الدينية في وقت مبكر إثر هجرتهم إلى العالم الجديد (أمريكا)، وتم لهم ذلك قبل أن يسمح البروتستانت المسيطرون على معظم المستوطنات الجديدة لطائفة الكاثوليك ببناء كنائسها[٢].

وعندما انتهى عهد لاهوت القرن السابع عشر الميلادي؛ بدأت فلسطين كوطن لليهود تحتل مكانة خاصة في الثقافة الأمريكية، وبقيت عودة اليهود إلى فلسطين فكرة محببة ومبدأ مسلّماً به في كل من الأدبين الديني والشعبي[٣].

ومع نهاية القرن الثامن عشر أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودي يشكل جانباً مهماً من اللاهوت البروتستانتي الأمريكي، حيث احتلت معتقدات المسيح المنتظر والعصر الألفي السعيد مكاناً بارزاً. واتخذت الإنجيلية في الولايات المتحدة الأمريكية شكلاً أكثر هيمنة مما كانت عليه الحال في إنجلترا، وبلغت ذروتها في ثقافة شعبية متميزة كانت تتضمن كثيراً من تعاليم الصهيونية الروحية والدينية، فأصبحت هذه المعتقدات تشكل جزءاً من مصفوفة التاريخ الفكري الأمريكي[٤].

وعبر تلك السنوات وبعدها ظهرت أسماء أعضاء في الكنائس الأمريكية وأعضاء في الحكومة الأمريكية ـ قد يصل بعضهم إلى أن يكون الرجل الأول في أمريكا ـ، وأسماء هيئات ومؤسسات ومنظمات وغيرها؛ لم يؤمنوا بالمعتقدات البروتستانتية والتقاليد التوراتية وتفسيرات العهد القديم (ومنها عودة اليهود إلى فلسطين، ومعتقدات المسيح المنتظر، والعصر الألفي السعيد) إيماناً نظرياً

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨.

(٣) الصهيونية غير اليهودية، ص ١٨٤.

(٤) المرجع السابق.

فحسب، ولكنهم عملوا على تطبيق هذه المعتقدات في الواقع، وخاصة ما يعتقدونه في أن مقدمة هذه المعتقدات هو تجميع اليهود في أرض فلسطين.

ومن هذه الأسماء:

أ ـ بعض رجال الحكومة الأمريكية:

■ جون آدمز (١٧٩٧ ـ ١٨٠١م).

إذا كان الرئيس جورج واشنطن، الرئيس الأول لأمريكا، وهو شديد التدين مسيحياً متصهيناً ظلّ حتى آخر أيامه عظيم التقديس للشعائر والطقوس والتاريخ اليهودي، قد اكتفى بمدح (يهوه) إله اليهود بأنه زرع شعبه في أرض الميعاد (فلسطين).

فإن خلفه الرئيس الثاني لأمريكا جون آدمز ظل يُعرب عن رغبته الصادقة في أن يعود اليهود ثانية إلى أرض يهوذا (فلسطين) كأمة مستقلة. وكان يؤمن ـ على حد ـ قوله: (بأن القدر قضى بأن يكون اليهود العامل الجوهري الأعظم والأفعل في جعل أمم العالم أمماً متحضّرة)[1].

---

(١) المسيحية والتوراة، شفيق مقار، ص ١٦٣، والأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص ٦٥.
وبلغ من تأثير (العهد القديم) على الروّاد الأوائل في أمريكا حدّاً جعل أعضاء اللجنة التي شكلت عام ١٧٧٦م في الولايات المتحدة الأمريكية ـ وكانت مكونة من جون آدمز، وتوماس جفرسون الذي أصبح رئيساً لأمريكا عام ١٧٩٧م، وتوماس جفريز الذي أصبح رئيساً لأمريكا من (١٨٠١ ـ ١٨٠٩م)، وبنيامين فرانكلين ـ للتوصية بشعار رسمي لأمريكا؛ يركّزون على شعار مستوحى من (ملحمة) بني إسرائيل الدينية. فاقترح بنيامين فرانكلين رسماً يمثّل موسى ـ عليه السلام ـ وهو يفلق البحر الأحمر بعصاه، ويغرق في مياهه فرعون مصر وجيشه بعد عبور بني إسرائيل سالمين. واقترح توماس جفرسون أن يمثّل الرسم بني إسرائيل خارجين من مصر بقيادة موسى ـ عليه السلام ـ، يتقدّمهم يهوه كعمود نار ليلاً وعمود سحاب نهاراً. أما جون آدمز فأيّد اقتراح جفرسون على اعتبار أن عمود السحاب رمز لعلو بني إسرائيل، وعمود النار رمز بني إسرائيل أيضاً في رفعهم (مشعل النور الذي قاد البشر إلى دروب الحضارة). المرجعان السابقان، المرجع الأول، ص ١٦٣، المرجع الثاني، ص ٦٠. ويزيد شفيق مقار قائلاً: (من المعطيات الهامة =

■ وودرو ولسون (١٩١٣ - ١٩٢١م): (ابن راعي الكنيسة).

يعدُّ الرئيس الأمريكي ولسون أحد الرؤساء الأكثر تأثراً بالصهيونية منذ طفولته، فقد نشأ في بيئة دينية؛ إذ كان ابن أحد رجال الكنيسة الإنجيلية المسيحية[١]، فنشأ بذلك على التعاليم البروتستانتية آخذاً بالكتاب المقدس إيماناً وعقيدة، فظل مقتنعاً بالمبادئ والأهداف الصهيونية وبضرورة تحقيقها، وطالما عبر عن تعاطفه مع الأيديولوجيا الصهيونية اليهودية[٢].

ويرى نفسه أنه قد أُعطي الفرصة التاريخية لخدمة رغبة الرب بتحقيقه البرنامج الصهيوني، فكان يقول عن نفسه: (إنه يتوجب على ابن راعي الكنيسة أن يكون قادراً على المساعدة لإعادة الأرض المقدسة - فلسطين - إلى شعبها اليهودي)[٣].

وفي ٣١/ ٨/ ١٩١٨م بعث الرئيس ولسون رسالة إلى زعيم الصهيونية الأمريكية الحاخام ستيفن وايز مصادقاً بشكل رسمي على وعد بلفور: (راقبت باهتمام مخلص وعميق العمل البناء الذي قامت به لجنة وايزمان في فلسطين بناءً على طلب الحكومة البريطانية، وأغتنم الفرصة لأعبّر عن الارتياح الذي أحسستُ به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الحليفة منذ إعلان السيد بلفور باسم حكومته على موافقتها على إقامة

= التي توجّه البحث صوب (العالم الجديد) احتواء الخاتم الرسمي لدولة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك قبل ظهور الصهيونية اليهودية بوقت طويل، على (مجنّ داود) النجمة السداسية التي ترفرف اليوم من علم محطة الصهيونية الأولى (إسرائيل). والمجنّ في الخاتم مكوّن من ثلاث عشرة نجمة؛ تمثل كل نجمة منها ولاية من الولايات الثلاث عشرة الأولى التي تألف منها الاتحاد)، ص ١١٧.

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٤٥.

(٢) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، ص ٦٦، والصهيونية غير اليهودية، ص ١٩٠.

(٣) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، ص ٤٦، والبعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ٤٥، والصهيونية غير اليهودية، ص١٩٠.

وطن قومي لليهود في فلسطين، ووعده بأن تبذل الحكومة البريطانية قصارىٰ جهدها لتسهيل تحقيق ذلك الهدف، مع الحرص علىٰ عدم القيام بأي عمل يلحق الأذىٰ بالحقوق المدنية والدينية لغير اليهود في فلسطين، أو حقوق اليهود ووضعهم السياسي في دول أخرىٰ)[١].

بل إنه في عام ١٩١٧م تبادل آرثر بلفور الرسائل مع الرئيس ولسون للاتفاق علىٰ الصيغة النهائية للتصريح الذي سوف تصدره بريطانيا بشأن الوطن القومي اليهودي. وقد وافق ولسون علىٰ مشروع التصريح سراً، وظلت الموافقة الأمريكية طي الكتمان؛ بسبب موقع الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولىٰ وفي السياسة الدولية، وعندما تأكدت نهائياً هزيمة تركيا، قال ولسون في آب عام ١٩١٨م: (أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا)[٢].

وقدم ولسون ورقة عمل إلىٰ مؤتمر باريس للسلام: (بدعوة اليهود للعودة إلىٰ فلسطين والاستيطان فيها، مع تأكيد المؤتمر علىٰ تقديم كل مساعدة ممكنة لذلك، والتأكيد بأن سياسة عصبة الأمم ستكون الاعتراف بفلسطين دولة يهودية عندما تصبح يهودية فعلاً)[٣].

هذه المواقف المؤيدة للحركة الصهيونية أملتها علىٰ ولسون في الدرجة الأولىٰ تربيته الدينية[٤]، حيث إن هذه التربية وفّرت له رصيداً من المشاعر والأفكار التي

---

(١) رسالة ولسون إلىٰ ستيفن وايز، أوراق ولسون، مكتبة الكونجرس، واشنطن، ملف ٦ رقم ٦١٨. نقلاً عن الصهيونية غير اليهودية، ص ١٨٨، والصهيونية المسيحية، ص ٦٠.
ويُلاحظ كيف أن الرئيس الأمريكي ولسون تجنب استعمال كلمة المسلمين، واستعمال عبارة اليهود تماماً كما فعل بلفور في نص وعده.

(٢) إفلاس النظرية الصهيونية، نصر شمالي، ص ١٣١.

(٣) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، جورجي كنعان، ص ٦٦.

(٤) الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٦٠.

تركت أثراً على موقفه المستقبلي من الحركة الصهيونية وأهدافها[١].

وكانت تصريحاته العلنية والسرية متناسقة مع الفكرة الصهيونية، وكانت قراراته عن فلسطين والصهيونية نابعة من مشاعره الذاتية الشخصية لا من اعتبارات السياسة الواقعية. ومما يؤكد ذلك أنه بعث بمذكرته التي يوافق فيها على وعد بلفور عبر مستشاره الكولونيل هاوس متجاهلاً وزارة الخارجية في دولته ووزير خارجيته روبرت لانسنغ (الذي كان معارضاً لموقف الرئيس هذا على أسس سياسية)، ولكن ولسون لم يأبه لنصيحته، بل واصل تأكيده لزعماء الصهيونية بأن باستطاعتهم الاعتماد على تأييده الشخصي[٢].

(فقرارات هذا الرئيس وبياناته تعطي مثالاً على حالة دخلت فيها اعتبارات العقائد والمشاعر والأخلاقيات مجال صنع السياسة، وسيطرت في النهاية على جميع الاعتبارات الموضوعية للسياسة الواقعية)[٣].

---

(١) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، ص١٩٠.

(٢) وكانت هذه الموانع السياسية، كما يعتقدها روبرت لانسنغ، ويرى أنها توجب تأجيل الموافقة العلنية على وعد بلفور، ثلاثة موانع، هي:

أ- أننا لسنا في حالة حرب مع تركيا. ولذا فعلينا أن نتحاشى كل ما من شأنه أن يظهر أننا نؤيد أخذ أراض بالقوة منها.

ب- أن اليهود ليسوا جميعاً راغبين في إعادة جنسهم كشعب مستقل، ومن غير الحكمة تفضيل فريق على آخر.

ج- أن كثيراً من الفرق المسيحية والمسيحيين سيغضبون حتماً إذا وضعت الأرض المقدسة تحت السيطرة المطلقة للجنس الذي يعزى إليه موت المسيح.

ولأسباب عملية، لا أرى ضرورة الذهاب إلى أبعد من السبب الأول، فهو كاف لتجنب إعلان سياسة حول وضع فلسطين النهائي.

وزارة الخارجية الأمريكية، الوثائق المتعلقة بعلاقات الولايات المتحدة الخارجية، وثائق لا نسنغ ١٩١٤ - ١٩٢٠م (واشنطن، ١٩٤٠م)، مجلد ٢، ص٧١. نقلاً عن المرجع السابق، ص ١٩١.

(٣) المرجع السابق، ص١٩٤.

وبعد أن وافق ولسون وبدون شروط على وعد بلفور؛ أخذ خلفاؤه في الرئاسة يلزمون أنفسهم بالموقف الصهيوني بطريقة أو بأخرى، فأخذ كل رئيس يُعبّر عن تعاطفه مع الحركة الصهيونية، ويُسلّم بهدفها في فلسطين، فأظهر الرؤساء الجمهوريون الثلاثة الذين خلفوا ولسون: وارن هاردنج (١٩٢١ - ١٩٢٣م)، وكالفن كولدج (١٩٢٣ - ١٩٢٩م)، وهربرت هوفر (١٩٢٩ - ١٩٣٣م) - المشاعر نفسها التي كان يبديها سلفهم الديموقراطي[١].

وقد عبّر الرئيس الأمريكي وارن هاردنج في ١/ ٦/ ١٩٢١م عن تعاطفه مع الحركة الصهيونية؛ بقوله: (يستحيل على من يدرس خدمات الشعب اليهودي ألا يعتقد بأنهم سيعودون يوماً إلى وطنهم القومي التاريخي)[٢].

وفي مايو عام ١٩٢٢م عبّر كذلك عن تأييده الشديد لصندوق إنشاء فلسطين: (يسعدني أن أعبّر عن موافقتي وتعاطفي القلبي مع جهود صندوق إنشاء فلسطين؛ من أجل إعادة فلسطين وطناً قومياً للشعب اليهودي. لقد كنت أرقب باهتمام ما أعتقد أنه عملي بقدر ما هو عاطفي، وهو اقتراح إعادة تأهيل فلسطين، وآمل أن تلقى الجهود المبذولة الآن في هذه البلاد وغيرها أقصى درجات النجاح)[٣].

وفي عهد هذا الرئيس (وارن هاردنج) في ٢١/ ٩/ ١٩٢٢م صادقت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بصورة نهائية على وعد بلفور، وبذلك دخلت شريكاً مضارباً مع بريطانيا في فلسطين لبناء الوطن القومي اليهودي[٤].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص ٦٦، والصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص١٩٤.

(٣) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص ١٩٥.

(٤) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص٤٦، والصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٦١.

وفي عهده ظهر عضو الكونجرس السناتور هنري كابوت لودج رئيس العلاقات الخارجية، والذي أدىٰ دوراً أساسياً في تبني هذا المشروع - وهو الموافقة النهائية علىٰ وعد بلفور - وتبريره في الكونجرس الأمريكي. كما كان له دور فعّال في إبراز نص في القرار الأمريكي يشير بوضوح إلىٰ الحقوق المدنية والدينية للمسيحيين في فلسطين. فقد جاء في القرار ما نصه: (إن الولايات المتحدة الأمريكية تحبّذ تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين؛ علىٰ أن يُفهم بوضوح بأنه لن يجري شيء يلحق الضرر بالحقوق الدينية والمدنية للمسيحيين والتجمعات غير اليهودية الأخرىٰ في فلسطين)[١].

وكانت الاتجاهات الصهيونية عند لودج الدوافع القوية وراء ذلك القرار، وتعود جذورها إلىٰ معتقداته الدينية وقناعاته ومشاعره المعادية للمسلمين والعرب. وتتضح هذه المشاعر الصهيونية في خطاب له ألقاه في مدينة بوسطن عام ١٩٢٢م، وقال فيه: (إنه جدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم أن يكون هناك وطن قومي لأفراد جنسه الراغبين في العودة إلىٰ البلاد التي كانت مهداً لهم، والتي عاشوا وعملوا فيها عدة آلاف من السنوات، إنني لا أحتمل فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين)[٢].

(وقد لوحظ أن مواقف أعضاء الكونجرس من جمهوريين وديمقراطيين كانت متشابهة، كما أنه لم يكن هناك ما يشير إلىٰ أن هؤلاء الأعضاء كانوا متأثرين بالأصوات اليهودية، فقد استشهد كثير منهم بالعهد القديم، واقتبسوا نبوءات توراتية)[٣].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية د. يوسف الحسن، ص ٤٦، ٤٧.
ويُلاحظ كيف أن هذا الخطاب تجنب استعمال كلمة المسلمين واستبدل بها (بالتجمعات غير اليهودية)، واستعمل عبارة اليهود تماماً كما فعل بلفور في نص وعده وولسون في رسالته.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترىٰ، د. سفر الحوالي، ص ٤٧.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٤٧.

■ فرانكلين روزفلت (١٩٣٣ - ١٩٤٥م).

من أهم ما قام به هذا الرئيس: ممارسة الضغط على بريطانيا لحملها على التراجع عن الكتاب الأبيض للعام ١٩٣٩م الذي يقيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وهذا يتعارض مع معتقدات الصهيونية المسيحية، والتي كان روزفلت يُؤمن بها، حيث ترى أن هذا التحديد عرقلة لإرادة الله وتعطيل للنبوءات المقدسة(١).

■ هاري ترومان (١٩٤٥ - ١٩٤٩م):

كان ترومان بإجماع التواريخ الصهيونية تجسيداً للصهيونية الأمريكية غير اليهودية على المستوى السياسي(٢).

اعترف ترومان فعلياً بإسرائيل في ١٤/ ٥/ ١٩٤٨م، وحتى قبل أن تطلب منه حكومة إسرائيل ذلك بشكل رسمي(٣).

وبادرت أمريكا في العام نفسه إلى تقديم منحة لإسرائيل قدرها مائة مليون دولار مخصصة لمشاريع التنمية، بالإضافة إلى قرض - تحوّل إلى منحة - بقيمة ٣٥ مليون دولار(٤).

هذه المواقف الموالية لليهود من ترومان لم تكن مجرد سعي وراء أصوات اليهود، فقد قال مستشاره في البيت الأبيض كلارك كلفورد: (إن الأصوات اليهودية لم تكن ذات أهمية بالنسبة لحملة الانتخابات للرئاسة القادمة)، ولم تكن نتيجة للضغط الصهيوني، حيث إن الرئيس ترومان رفض استقبال حاييم وايزمان

---

(١) الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص ٤٧، والصهيونية غير اليهودية، ص ١٩٧.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، ص ٢٠٤.

(٣) الصهيونية المسيحية، ص٦٤، والأصولية المسيحية، ص٦٧، والصهيونية غير اليهودية، ص٢١٤.

(٤) الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص٦٥.

في مطلع عام ١٩٤٨م؛ بسبب شعوره بالمرارة من سلوك الزعماء الصهيونيين غير اللائق وفظاظتهم الغريبة، وكان هذا الضغط الصهيوني يضعف في بعض الأحيان حماسة ترومان الشخصية للصهيونية.

بل كانت هذه المواقف متمشية كلياً مع مشاعره الشخصية التي كانت صهيونية، فخلفيته المعمدانية وتربيته كانتا تركزان على عودة اليهود إلى صهيون، فقد درس التوراة بنفسه، فكان يؤمن - باعتباره أحد تلاميذ التوراة - بالتسويغ التاريخي لوطن قومي يهودي، وكان لدى ترومان اقتناع بأن وعد بلفور عام ١٩١٧م حقق آمال الشعب اليهودي وأحلامه القديمة[١].

وكان يقول إنه كمعمداني (يحس بشيء عميق له مغزاه في فكرة البعث اليهودي)، وكان معروفاً عنه حبه للفقرة التوراتية الواردة في المزمار ١٣٦، والتي تبدأ بـ (لقد جلسنا على أنهار بابل، وأخذنا نبكي حين تذكّرنا صهيون).

ولقد اعترف ترومان أنه ما من مرة قرأ فيها قصة إنزال الوصايا العشر في سيناء إلا شعر بوخز خفيف يسري في عروقه، وقد قال إن موسى - عليه السلام - تلقى المبدأ الأساسي لقانون هذه الأمة على جبل سيناء[٢].

وقد عبّر عن تعاطفه مع الصهيونية قبل أن يتولى الرئاسة بأمد طويل، وظل يشدّد على وجوب إعادة اليهود إلى صهيون[٣].

(وقصة حياة ترومان الشخصية حافلة بالاقتباسات والإشارات التوراتية الضمنية، وتشير إلى ميله للإسهاب في ذكر التعاليم اليهودية المسيحية)[٤].

---

(١) الصهيونية غير اليهودية، ص٢١٢ - ٢١٤، والصهيونية المسيحية، ص٦٥، والأصولية المسيحية، ص ٦٦.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، ص٢١٥، والصهيونية المسيحية، ص٦٥.

(٣) الأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص٦٦.

(٤) الصهيونية غير اليهودية، ص ٢١٥.

■ جيمي كارتر (١٩٧٦ - ١٩٨٠م):

يقول عنه القس بيلي جراهام: (يذهب الرئيس كل يوم أحد إلىٰ الكنيسة، ويقرأ وزوجته فصولاً من التوراة قبل النوم، ولا يشرب الكحول في البيت الأبيض)(١).

فقد نشأ هذا الرجل نشأة دينية بروتستانتية إنجيلية، فتركت هذه التربية أثراً بالغاً في ثقافته واقتناعه فآمن بحرفية الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وخاصة فيما يتعلق باليهود وعودتهم - علىٰ زعمهم - إلىٰ أرض الميعاد (فلسطين)؛ بناء علىٰ نصوص من العهد القديم. لذلك كان في بيان كارتر الانتخابي أن (تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية)(٢).

وقد عبّر عن خلفيته الأصولية في كلمته أمام الكنيست الإسرائيلي في آذار ١٩٧٩م بقوله: (إننا نتقاسم معاً تراث التوراة)(٣).

لقد سجّل الرئيس كارتر في أثناء عهده من عام ١٩٧٦م حتىٰ ١٩٨٠م إنجازات كبيرة لمصلحة إسرائيل والحركة الصهيونية، وعبّرت مواقفه عن إيمان لاهوتي بإسرائيل وبالتزام دعمها إلىٰ الأبد(٤).

وقد عبّرت الجماعة اليهودية الأمريكية عن سعادتها حينما أعلن الرئيس كارتر عن إدانته لمن يتهم اليهود بقتل المسيح بـ (اللاسامية). وقال مدير الشؤون الدينية فيها: (لأول مرة في تاريخ الرؤساء الأمريكيين يُصدر رئيس أمريكي إعلاناً مباشراً عن قضية مجحفة ضد اليهود، ولها جذور دينية تاريخية تقليدية)(٥).

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص٨٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص٦٧.

(٤) البعد الديني د. يوسف الحسن، ص٨٣.

(٥) المرجع السابق. وجاء فيه أيضاً - ص٨٤ -: =

وقال كارتر في خطاب ألقاه في استقبال رئيس وزراء العدو الصهيوني بيجن في البيت الأبيض الأمريكي: (منذ خراب بيت المقدس واليهود يصلّون كي تكون السنة القادمة في القدس، وقد عانى اليهود خلال ألفي سنة التمييز والمذابح المنظمة، حتى قامت دولة إسرائيل، وعاد اليهود إلى أرض التوراة)(١).

(كانت سياسة كارتر متأثرة بمفهومه عن فلسطين بأنها الأرض التي وعد الله بها اليهود. وكان مفهومه للسلام في الشرق الأوسط يدور حول (الوجود الدائم والأمن لدولة إسرائيل اليهودية)، وطالما عبّر عن التزامه الكامل والمطلق نحوها كإنسان وكأمريكي وكشخص متديّن)(٢).

(ولا يزال كارتر إلى هذا اليوم - في عام ١٩٩٩م - مبشراً، وينتقل من أفغانستان إلى الحبشة والسودان وغير تلك البلدان؛ مدافعاً عن التنصير، ومبشراً بالنصرانية، فهو رجل منصّر وقسيس)(٣).

■ **رونالد ريجان (١٩٨٠ - ١٩٨٨م):**

تربى ريجان تربية دينية، فقد ولد لأم قارئة للكتاب المقدس، متعبدة جداً، مؤمنة بالمسيح وبالخلاص، مؤمنة بالغيب إلى ما لا حدود له. فنشأ ريجان تحت

= أن الرئيس كارتر قدّم إنجازات كثيرة لمصلحة إسرائيل، وكان من أهمها: دوره المباشر في اتفاقيات كامب ديفيد الموقعة بين جمهورية مصر العربية والعدو اليهودي الصهيوني (إسرائيل) في أيلول سبتمبر ١٩٧٨م، وتزويده (العدو اليهودي الصهيوني) بمساعدات عسكرية واقتصادية أكثر من أي رئيس أمريكي قبله، فقد تسلمت إسرائيل في عهده ١٠ مليارات دولار، وهي حوالي نصف ما تسلمته طوال تاريخها. وكان أول رئيس أمريكي يؤسس لجنة رئاسية لموضوع الهولوكست (حرق اليهود) في العهد النازي في عام ١٩٧٨م، كما كان أول رئيس أمريكي يضغط باتجاه فرض قانون أمريكي لمناهضة أنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل في عام ١٩٧٧م بعد أن رفض كل من الرئيسين الأسبقين نيكسون وفورد مواجهة المقاطعة العربية لإسرائيل.

(١) الأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص٦٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، د. سفر الحوالي، ص٥٠.

هذا التأثير، على قراءة الكتاب المقدس وزيارة الكنائس[١].

وكان يؤمن بعمق أن من علامات العودة الثانية للمسيح المخلص تجميع اليهود في فلسطين، فقال ريجان: لجيمس ميلز - رئيس مجلس الشيوخ في ولاية كاليفورنيا -: (إن جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجدّون قد مرت، ففي الفصل ٣٨ من حزقيال: إن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين، حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفي سنة، ولأول مرة يبدو كل شيء في مكانه بانتظار معركة هرمجدّون والعودة الثانية للمسيح)[٢].

وفي رسالة وجهها ريجان في ٣١/ ١٠/ ١٩٨٤م إلى المؤتمر السنوي للمنظمة الصهيونية الأمريكية جاء فيها: (إنني دائماً أتطلّع إلى الصهيونية كطموح جوهري لليهود، وبإقامة دولة إسرائيل تمكّن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم في وطنهم التاريخي؛ ليحققوا بذلك حلماً عمره ألفا عام)[٣].

■ جورج بوش (الأب) (١٩٨٨ - ١٩٩٢م):

وصف نفسه في كتابه (التطلع إلى الأمام) بأنه متدين، وأن جده كان قسيساً، وأنه هو وأسرته يقرؤون الكتاب المقدس كل يوم، ويتحدث كيف واجهته مشكلة تعميد ابنته حينما كان سفيراً في الصين، ورأينا صورته وهو يرتدي القبعة السوداء ويلثم حائط المبكى على طريقة اليهود[٤].

وله علاقات صداقة حميمة مع زعماء الأصوليين الإنجيليين، وخاصة جيري فولويل، فأمام مئات من القيادات اليهودية ورجال الإعلام والكونجرس، وفي

---

(١) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ص٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص٦٤، وانظر بعض أقواله في هرمجدّون: ص ١٠٦ من هذا الكتاب.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٧٩.

(٤) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، د. سفر الحوالي، ص ٣٩.

حفل أقامته جامعة الحرية التابعة للأصولي جيري فولويل عام ١٩٨٣م ـ تحدث عمّا يعتقد أنه ضمان لعدم تكرار عمليات اضطهاد لليهود ـ فقال: (أعتقد بكل أمانة؛ أننا برجال من أمثال جيري فولويل؛ فإن شيئاً فظيعاً كالإبادة الجماعية لليهود لن يحدث ثانية)(١).

وقد امتدحه فولويل ـ الصهيوني المسيحي ـ بقوله: (بوش سيكون أفضل رئيس في عام ١٩٨٨م)(٢).

■ **بيل كلنتون (١٩٩٢ ـ ٢٠٠٠م):**

وهو الرئيس السابق لأمريكا، وترتيبه الثاني والأربعون فيهم، يحمل المعتقدات الكنسية الصهيونية نفسها، والتي أفصح عنها بوضوح في خطابه الذي ألقاه في الكنيست الإسرائيلي في ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٤م، حيث قال نقلاً عن راعي كنيستة الذي أوصاه بإسرائيل قبل ١٣ عاماً قائلاً له: (إنك إن تخليت عن إسرائيل فلن يغفر الله لك أبداً، إن مشيئة الله أن اختار إسرائيل أرضاً لنا، وإنّ مشيئته أن إسرائيل ستبقى إلى الأبد)(٣).

فقد خضع هذا الرئيس خضوعاً تاماً للدولة اليهودية (إسرائيل) الجاثمة على أرض فلسطين المسلمة.

يقول د. جون دوك ـ رئيس المجلس الوطني للعلاقات العربية الأمريكية ـ: (إن ٥٥٪ من مستشاريه يهود، والمستشار الأول في البيت الأبيض كان أستراليا إسرائيلياً قبل تعيينه)(٤).

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ١٧١ ـ ١٧٢.
(٢) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ص ٣٢.
(٣) مجلة المجتمع، العدد (١٢٤٥)، ص ٢٥ غرة ذي الحجة ١٤١٧هـ الموافق ٨/ ٤/ ١٩٩٧م، بقلم د. أحمد منصور.
(٤) الأصولية الإنجيلية، صالح الهذلول، ص ٧٣.

وعلىٰ رأس المسؤولين من اليهود في إدارة كلينتون وزيرة الخارجية (مادلين أولبرايت)؛ فقد اعترفت أن أصولها يهودية، وأن جدها القريب توفي علىٰ يهوديته. وأيضاً (دنيس روس) المسؤول عن ملف الشرق الأوسط، والذي كان يجوب عواصم الدول العربية كمنسق أمريكي لما يُسمىٰ بمفاوضات السلام[١].

استقبل كلينتون بعض أعضاء اللوبي الصهيوني من منظمة (إيباك) ـ وهي منظمة يهودية أمريكية تعمل لرعاية المصالح الإسرائيلية في أمريكا ـ استقبلهم في البيت الأبيض في منتصف مارس ١٩٩٤م، واعترف لهم بأنه يعتبر القدس عاصمة أبدية موحدة للدولة اليهودية (إسرائيل) غير مقسمة، وحُرّة وتحت السيادة الإسرائيلية[٢].

وفي أثناء مقابلته لرئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في واشنطن في مارس ١٩٩٣م؛ قال له مادحاً الدولة اليهودية: (الديمقراطية الإسرائيلية هي الصخرة التي تقوم عليها العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، وأنها النموذج المضيء لشعوب العالم)[٣].

والتزم الرئيس الأمريكي ـ كما جاء علىٰ لسان سفيره في إسرائيل ـ بأمن إسرائيل وتفوقها النوعي علىٰ دول المنطقة عسكرياً وتقنياً وحضارياً؛ التزاماً لا يتزعزع[٤].

ب ـ بعض القساوسة:

■ **القس: وليم بلاكستون (١٨٤١ ـ ١٩٣٥م):**

وهو من أبرز الصهيونيين المسيحيين، ولد في الولايات المتحدة الأمريكية من

---

(١) أضواء علىٰ السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، د. أحمد منصور، ص ٣٧.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٠، ٣٩، ١٠٢.
(٣) المرجع السابق، ص ٦٦.
(٤) المرجع السابق، د. أحمد منصور، ص ٣٢، ٤٥.

أتباع الكنيسة البروتستانتية، شغف منذ صباه بقراءة (العهد القديم)، وتتبع ما فيه من تنبؤات. أخذ بالتفسير الواضح للكتاب المقدس، ولم ير أي حاجة للجوء إلى التفسيرات الرمزية، فهو من أتباع العصمة الحرفية للكتاب المقدس[1].

وهو مسيحي ديّن، ثري وممول، ورحّالة عالمي، ومؤلف ومنصّر إنجيلي، كان ينفق الملايين على التنصير. من أوائل من مارس الضغط المؤسسي والمنظّم على صانعي القرارات الأمريكية لمصلحة أهداف الصهيونية اليهودية السياسية، وهو بطل صهيون البارز[2]، (تحتفل الدولة اليهودية بذكراه)[3].

وفي اعتقاده أن الله أبقى على اليهود لأنهم كانوا شعبه الخاص، وسيبقون كذلك، آمن بالمجيء الثاني للمسيح، وعمل من أجله. نشر في عام ١٨٧٨م كتابه (عيسى قادم) فحقق نجاحاً باهراً، تمثل في إعادة طباعته مرّات عدة، وبيع منه ملايين النسخ، وترجم إلى أكثر من ٤٨ لغة منها اللغة العبرية، وكان أوسع الكتب انتشاراً في القرن التاسع عشر الميلادي، وكان هذا الكتاب أخطر منشور للدعوة الصهيونية المتعلقة بـ (الاستعادة الأبدية لأرض كنعان من قِبَل الشعب اليهودي). وقد أشاد بلاكستون في كتابه في طبعة عام ١٩٠٨م باليهود وعودتهم إلى فلسطين كإشارة إلى نهاية الزمن.

وقد أثار هذا الكتاب انتباه عدد كبير من الزعماء المسيحيين، يفوق عدد من أثّر فيهم أي كتاب آخر طوال عشرات السنين[4].

---

(١) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا الشريف، ص١٨٦، والأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص٦٤.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص٤٢، والصهيونية غير اليهودية، ص ١٨٦.

(٣) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، د. سفر الحوالي، ص ٤٤.

(٤) الأصولية المسيحية، ص٦٥، والبعد الديني في السياسة الأمريكية، ص٤٢، والصهيونية غير اليهودية، ص ١٨٦، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، ص ٤٥.

وفي العام نفسه الذي أصدر فيه كتابه السابق؛ أسس بلاكستون منظمة في شيكاغو تدعى (البعثة العبرية من أجل إسرائيل)، وعملت هذه المنظمة على دعوة اليهود إلى العودة إلى الأرض المقدسة في فلسطين. واستمرت في عملها إلى يومنا هذا، وأصبح اسمها حالياً (الزمالة اليسوعية الأمريكية)، وبذلك يكون بلاكستون من أوائل من أسس جماعة ضغط منظّمة، أو ما يسمى (لوبي)، لمصلحة الصهيونية[١].

وقاد في أوائل ١٨٩١م حملة للتوقيع على عريضة على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية لتأييد دولة يهودية في فلسطين، وقد قُدمت هذه العريضة يوم ٥/ ٣/ ١٨٩١م إلى الرئيس الأمريكي هاريسون، وطالبه فيها بـ (استخدام نفوذه ومساعيه لتحقيق طلبات الإسرائيليين في فلسطين كوطن قديم لهم)، وقد وقّع هذه العريضة ٤١٣ شخصية أمريكية بارزة[٢].

واصل بلاكستون رسالته الصهيونية المسيحية حتى وفاته عام ١٩٣٥م، فبعث إلى هرتزل بنسخة من العهد القديم واضعاً (خطوطاً وعلامات تحت النصوص التي تشير إلى استعادة اليهود فلسطين)، ولقد حُفظت هذه النسخة من العهد القديم في ضريح هرتزل في القدس، وزُرعت غابة باسم بلاكستون في إسرائيل فيما بعد تقديراً لذكراه)[٣].

■ **القس: جيري فولويل:**

برز جيري فولويل كرجل دين إنجيلي في أواخر الخمسينيات، لكنه لم يدخل

---

(١) الصهيونية المسيحية، ص٥٨، والبعد الديني في السياسة الأمريكية، ص٤٢، والأصولية المسيحية، ص٦٥.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص٤٣، والأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص٦٥، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، د. سفر الحوالي، ص٤٥، والصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص٥٩.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ٤٤.

الحياة السياسية الأمريكية إلا في أواخر الستينيات؛ حينما أخذ بدءاً من عام ١٩٦٧م في بث برنامجه الديني المسموع (ساعة من إنجيل زمان) عبر محطات التلفزة[١].

تصل دروسه التنصيرية الأسبوعية إلىٰ ٥,٦ ملايين منزل (٦,٦٪ من جميع المشاهدين)[٢].

يعدُّ من أبرز قادة الحركة الصهيونية المسيحية الأصولية تأييداً ودعماً لإسرائيل. وتعود جذور فكره الصهيوني إلىٰ معتقداته اللاهوتية التوراتية؛ إذ يشير في أدبياته باستمرار إلىٰ ما يسميه (وعد الله لإبراهيم منذ أربعة آلاف عام سأبارك من يبارك إسرائيل وألعن من يلعنها)، ومن هذا الموقف اللاهوتي؛ فإنه علىٰ الولايات المتحدة الأمريكية أن لا تتردد في تقديم كل الدعم المالي والعسكري إلىٰ إسرائيل، وإنّ دعم أمريكا لإسرائيل ليس لمصلحة إسرائيل، ولكن من أجل مصلحة أمريكا نفسها[٣].

وقد اعتبر قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨م ليس مفتاحاً للنبوءات التوراتية فحسب، ولكن علامة علىٰ ما أسماه (مباركة الله ووفاؤه لشعب الله). ويعتقد أنه لا مجال للنقاش في كون يهودا والسامرة جزءاً من إسرائيل، وكذلك الجولان، وأن القدس عاصمة أبدية موحَّدة لإسرائيل. ويكرر أنه يجب أن يكون الدعم لإسرائيل غير مشروط[٤].

ويؤكد جيري فولويل من خلال أنشطته المرئية والمسموعة والمقروءة وباستمرار أن: (إعادة تأسيس إسرائيل عند المسيحيين الأصوليين؛ هو إيفاء

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٠.
(٢) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ص٣١.
(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٠٠، ١٠١.
(٤) المرجع السابق، ص١٠١. القدس بين الوعد الحق والوعد المفترىٰ، ص ٥٦.

بالنبوءات، ويجب على كل أمريكي بذل كل جهد ممكن لضمان الدعم الكامل لإسرائيل).

ولا يكتفي بالحدود الجغرافية الحالية لإسرائيل؛ بما فيها الضفة الغربية والجولان، بل يطالب بامتداد أراضيها من الفرات إلى النيل، فهو القائل في برنامجه اليومي (ساعة من إنجيل زمان) - في صيف ١٩٨٢م في أثناء غزو إسرائيل للبنان -: (يذكر سفر التكوين من التوراة أن حدود إسرائيل ستمتد من الفرات إلى النيل، وستكون الأرض الموعودة هي العراق، وسوريا، وتركيا، والسعودية، ومصر، والسودان، وجميع لبنان، والأردن، والكويت)، فالأصولية الإنجيلية ترى أن كل هذه الأرض أرض كنعان؛ إذن فكلها موعودة [١].

ويهاجم فولويل في برامجه وخطبه الدينية الدول العربية، ويرى أن (لا مكان بيننا، ولا علاقات حسنة معهم؛ لأنهم ينكرون قيم الولايات المتحدة الأمريكية، وطريقة معيشتها، ويرفضون الاعتراف بإسرائيل)[٢].

وقد منحه رئيس وزراء العدو الصهيوني (إسرائيل) مناحيم بيجن ميدالية شرفية رفيعة تحمل اسم: ميدالية فلاد يمير زيف جابوتنسكي - وهو أيديولوجي صهيوني يميني متطرف[٣].

وخلاصة موقفه من إسرائيل في كلمة يرددها دائماً في كتبه ومنشوراته وبرامجه ومقابلاته وخطبه، وهي أن الوقوف ضد إسرائيل هو معارضة لله[٤].

---

(١) المرجعان السابقان، المرجع الأول، ص ١٠٥. والمرجع الثاني الصفحة نفسها.

(٢) يقول د. سفر الحوالي: «وهذا اتباع لما جاء في التوراة من أن هناك سبعة شعوب ملعونة أهمها الشعب العربي». القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، ص ٥٧، والبعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ١٠٥.

(٣) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ص ٨٨.

(٤) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٠٠. =

■ **القس: بات روبرتسون:**

من خلال برنامجه الشهير في أمريكا المسمى بـ (نادي السبعمائة) الذي يصل إلى أكثر من ١٦ مليون عائلة؛ أي أكثر من ١٩ بالمائة من الأمريكيين الذين يملكون أجهزة تلفزيون[١].

ومن خلال غيره من البرامج والأنشطة كان روبرتسون يوضح باستمرار مواقفه الموالية والمؤيدة لليهود وللكيان الصهيوني (إسرائيل) في فلسطين المحتلة، والمبنية على عقيدته الصهيونية النصرانية.

وكان يُكثر في خلال تلك البرامج والأنشطة من القراءات التوراتية، ومن

= يمتلك جيري فولويل برنامجاً دينياً اسمه (ساعة من إنجيل زمان)، وكنيسة أسماها (كنيسة شارع توماس المعمدانية)، وفي هذه الكنيسة أجهزة إعلامية ومنظمة سياسية للعمل السياسي، تضم في أعضائها أكثر من ٦,٥ ملايين شخص، ويظهر جلياً في جميع أنشطتها مدى تغلغل الأفكار الصهيونية فيها.

وأسس كلية أسماها (كلية لينشبرغ المعمدانية) ثم غير اسمها لتصبح (كلية الحرية المعمدانية)، ثم طورها إلى جامعة أسماها (جامعة الحرية) يلتحق بها ٦٥٠٠ طالب، ويتعلم فيها الطلبة (علوم اللاهوت من وجهة نظر يهودية)؛ من خلال المفهومات الصهيونية لمسائل إسرائيل واليهود مختلطة بدعاوى وذرائع سياسية واستراتيجية معاصرة. وتوفر هذه الجامعة مناخاً دينياً مسيحياً لطلبتها، وتشمل برامج الدراسة في هذه الجامعة العديد من التخصصات مثل الكيمياء والمحاسبة وعلم الأحياء والتربية والعلوم السياسية وغيرها، وتمنح دبلوم الدراسات التوراتية. وهناك سبعة مقررات دينية تعليمية إجبارية في جميع التخصصات في الجامعة؛ منها مقرران تعليميان في العهد القديم، ومقرر تعليمي في مذهب (العصمة الحرفية للكتاب المقدس).

وأسس أيضاً منظمة (الأغلبية الأخلاقية)، وتنظر هذه المنظمة إلى مسألة دعم إسرائيل كأحد أهم بنود برامجها. وكل هذه الأنشطة والهيئات التي يمتلكها فولويل تعمل على مصلحة دولة العدو اليهودي الصهيوني (إسرائيل) انطلاقاً من العقائد الصهيونية المسيحية.

لذلك أقام الصندوق القومي اليهودي في نيويورك في مطلع عام ١٩٨٠م حفلاً لتكريم فولويل، وقدمت له ميدالية زعيم الصهيونية جابوتنسكي. كما زرعت إسرائيل غابة باسم جيري فولويل في أحد جبال القدس. البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ١٠٠ ـ ١١٢.

(١) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، ص ٢٩.

الحديث عن التراث المسيحي ـ اليهودي المشترك، وذِكر الأيام الأخيرة من هذا الزمان، والمجيء الثاني للمسيح، وكانت الإجابة عنده حول هذه القضايا وغيرها؛ تتمحور في أن إعادة مولد (إسرائيل) هي الإشارة الوحيدة لبداية العد التنازلي لبقية النبوءات التوراتية[١].

وإصراره على العمل لصالح إسرائيل كبير جداً، ومن ذلك قوله: (لقد أقسمت نذراً لله؛ بأنه رغم المعارضة لإسرائيل من حولي، فإننا سنقف بجانب إسرائيل مهما يكن).

قام في ٢٨/ ٧/ ١٩٨١م باستضافة مخرج الفيلم اليهودي (تفاحات الله)، وهذا الفيلم عبارة عن فيلم وثائقي عن تاريخ الصهيونية وقيام إسرائيل، وقد قدم المخرج قائلاً: (نعرف نحن المسيحيين من صميم قلوبنا؛ أن الله يقف بجانب إسرائيل، وليس بجانب العرب الإرهابيين)[٢].

وفي أثناء غزو إسرائيل للبنان في صيف عام ١٩٨٢م؛ طلب روبرتسون في برنامجه (نادي السبعمائة) إلى المشاهدين أن (يكتبوا إلى الرئيس ريجان، ويدعوا أعضاء الكونجرس إلى حث إسرائيل على مواصلة غزوها للبنان، إلى الحد الذي تراه إسرائيل ضرورياً).

ويرى أن استيلاء إسرائيل على القدس في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧م (أهم حدث تنبوئي في تاريخ حياتنا، وأن زمان غير اليهود قد قارب على النهاية، وأن شبكته الإذاعية ستكون جزءاً حيوياً من حركة الإله نحو دعم إسرائيل).

وكان روبرتسون ضمن الوفد الرسمي الأمريكي لنائب الرئيس جورج بوش في زيارته الرسمية إلى السودان في شباط / فبراير ١٩٨٥م. وقد وُقِّع على إثرها

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١١٥.
(٢) المرجع السابق، ص ١١٥.

اتفاق أمريكي ـ سوداني بترحيل يهود إثيوبيا (الفلاشا) إلىٰ إسرائيل[١].

وهاجم في افتتاح قناته التلفزيونية رقم ١٢ المسماة (نجمة الأمل) في جنوب لبنان؛ الإسلام والعرب، وذكر أن الشر الكبير لدىٰ العرب لأنهم أعداء(إسرائيل)، وكان ينظر إلىٰ العرب علىٰ أنهم أعداء الله؛ لأن صراعهم ضد (إسرائيل) ومعارضتهم لها هو تحدٍّ لإرادة الله[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص١١٦ ـ ١١٧.

(٢) المرجع السابق، ١١٦ ـ ١١٨.

والقنوات التي يمتلكها روبرتسون وتعدُّ منبراً للدفاع عن دولة العدو الصهيوني (إسرائيل) الجاثم علىٰ صدر الأمة الإسلامية؛ هي:

في عام ١٩٦١م قام بشراء محطة تلفزة في مدينة بورتسموث في فرجينيا، وأصبحت الآن شبكة واسعة من المحطات، تغطي الولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلىٰ ٦٠ دولة أجنبية، وتستخدم قمراً صناعياً في البث الإذاعي والتلفزيوني.

ويملك شبكة إعلامية أسماها (شبكة الإذاعة المسيحية) (CBN)، وهي من بين الشبكات الأكثر حداثة وتجهيزاً في عالم التلفزة، وتقع علىٰ رأس قائمة أهم الشبكات المسيحية المرئية والمسموعة وأكثرها اجتذاباً للمشاهدين، كما تحتل الموقع الرابع بعد شبكات التلفزة الرئيسية الثلاث في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويملك جامعة معتمدة منذ عام ١٩٧٧م هي جامعة (CBN)، وهي تمنح درجة الماجستير إضافة إلىٰ الشهادات الجامعية الأخرىٰ، وفيها كليات للإعلام والتربية وإدارة الأعمال والقانون والدراسات التوراتية.

وأبرز أنشطة روبرتسون وأكثر منابره تأثيراً وجماهيرية برنامج الكنيسة المرئية المسمّىٰ (نادي السبعمائة)، ويذاع عدة مرات يومياً في محطات البث العادية، وبخاصة القناة رقم ١٠، وأربع مرات يومياً من خلال شبكة سي. بي. إن (CBN)، ويجذب هذا البرنامج ٤ ملايين و٤٠٠ ألف شخص يومياً، وبخاصة في قطاع النساء، فضلاً عن المشاهدين في سن الشباب.

ونتيجة لاهتمامه الخاص بإسرائيل ـ فضلاً عن منابره السابقة ـ فقد قام في ١٠/ ٤/ ١٩٨٢م بامتلاك وإدارة القناة التلفزيونية رقم ١٢ المسماة (نجمة الأمل) في جنوب لبنان، وتبث هذه المحطة التلفزيونية إرسالها في المنطقة التي يسيطر عليها الجيش المنشق عن الجيش اللبناني، بقيادة الرائد سعد حداد (ومن بعده أنطوان لحد) المتعاون مع إسرائيل.

المرجع السابق؛ د. يوسف الحسن، ص١١٢ ـ ١١٨، والأصولية المسيحية جورجي كنعان، ص٨٧، والنبوءة والسياسة، جريس هالسل، ص ٢٩ ـ ٣٠.

■ **القس: جورج أوتيس:**

هو أحد القياديين في الكنيسة المرئية والصهيونية المسيحية المنظّمة، يترأس منظمة سياسية دينية تسمىٰ (رعوية المغامرة الكبرىٰ)، وتؤمن هذه المنظمة بمبدأ عصمة التوراة، وبدور (إسرائيل) الحديثة في تقريب موعد العودة الثانية للمسيح، وبالالتزام بدعم (إسرائيل) والدفاع عن سياستها، وموضوعات وأحاديث هذه المنظمة في مضمونها صهيونية سياسية، مع أجزاء ثانوية حول النصرانية وإرشاداتها، والتي لا تخرج عن تفسيرات التوراة بما يخدم غرض دعم (إسرائيل) ومساعداتها، ومهاجمة من يعترض طريقها[١].

وقد كانت هذه المنظمة (رعوية المغامرة الكبرىٰ) من بين المنظمات الصهيونية النصرانية التي صاغت وموّلت الإعلانات باهظة الثمن في كبريات الصحف الأمريكية عقب غزو (إسرائيل) لبنان في صيف ١٩٨٢م. ومما جاء في هذه الإعلانات: (نحن ملتزمون بأمن إسرائيل، كما نؤمن بأن كل الأرض المقدسة هي ميراث للشعب اليهودي غير قابل للنقل أو التصرف، وهو الوعد الذي أُعطي إلىٰ إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولم يُلغ قط. كما أن إنشاء (إسرائيل) الحديثة هو إيفاء لا ينازع للنبوءة التوراتية، ونذير بمقدم المسيح، ونعتقد أن اليهود في أي مكان ما زالوا هم شعب الله المختار، وأن الله يبارك من يباركهم)[٢].

ومن أبرز أنشطة هذا الرجل أنه اشترك اشتراكاً مباشراً في الصراع العربي - الإسرائيلي، بالحضور المادي الملموس علىٰ أرض الصراع في جنوب لبنان، فقد عمل علىٰ تكوين أول محطة إذاعية صهيونية مسيحية تفتح في الشرق الأوسط، أطلق عليها اسم (صوت الأمل)، وهي محطة إذاعية في ٩/ ٩/ ١٩٧٩م. وكشف أوتيس عن دور (إسرائيل) في إقامة هذه المحطة بقوله: (إنّ مساندة

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١١٨ - ١٢٠.
(٢) (New York) 11 November 1981، نقلاً عن المرجع السابق، ص ١١٩.

إسرائيل كانت معجزة، فهل تصورتم أنه سيأتي اليوم الذي يدفعنا فيه اليهود إلىٰ إقامة محطة مسيحية؟!). ثم افتتح محطة مرئية أطلق عليها اسم (نجمة الأمل)، وكان يسميها أحياناً (تلفزيون الشرق الأوسط)، وكان ذلك في ٨/ ٣/ ١٩٨١م، وهي المحطة التي اشتراها القس بات روبرتسون فيما بعد.

وفي أحد البرامج لهذه المحطة قام أوتيس بقراءة نصوص توراتية؛ موضحاً من خلالها أن (مجد هذا البيت الأخير؛ سيكون أعظم من البيت السابق)، وهي مقارنة بين إسرائيل المعاصرة، وملوك بني إسرائيل الواردة أخبارهم في الكتب الدينية المقدسة عندهم[1].

■ **القس: مايك إيفانز:**

(مايك إيفانز يهودي تنصّر من أجل مساعدة شعبه)[2].

وهو الوحيد من بين المسيحيين الأصوليين من أم يهودية، ويرىٰ نفسه في مهمة ربانية لحث الولايات المتحدة الأمريكية و(إسرائيل) علىٰ العمل معاً من أجل الله[3].

ويعدُّ مايك إيفانز من أكثر الأصوليين إعلاناً عن علاقاته بإسرائيل.

من أبرز برامجه (إسرائيل: مفتاح أمريكا للبقاء)، وقد اعتاد أن يستضيف فيه قيادات الحركة الصهيونية المسيحية، والحركة الصهيونية اليهودية، ومسؤولين إسرائيليين، فيتحدثون عن الدور الحاسم الذي تلعبه (إسرائيل) في المصير الروحي والسياسي للولايات المتحدة الأمريكية[4].

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٩ ـ ١٢٠.
(٢) النبوءة والسياسة، ص ١٩٢.
(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٢٢.
(٤) المرجع السابق.

ورغم أن لهذا البرنامج بعداً سياسياً واضحاً؛ فإنه يُصنف من قبل المسؤولين في أمريكا ضمن البرامج الدينية، لضمان بثه مجاناً من محطات التلفزيون المحلية في أكثر من ٢٥ ولاية، بالإضافة إلى شبكة البث المسيحية للمشتركين (بواسطة الكابلات)[١].

أنتج إيفانز بالتعاون مع قيادات صهيونية مسيحية أخرى فيلماً تلفزيونياً أسماه (القدس دي. سي.)؛ مستخدماً حرفي دي. سي؛ أي عاصمة داود؛ ليرتبط هذا الاسم في أذهان الأمريكيين بحرفي (دي. سي)؛ أي مقاطعة كولومبيا في واشنطن العاصمة؛ بهدف ترسيخ الانطباع عند الشعب الأمريكي بأن القدس هي عاصمة إسرائيل؛ مثلما أن واشنطن هي عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية[٢].

ومن أقواله: (إن الكتاب المقدس يقول: إن الله أعلن القدس عاصمة في أيام الملك داود عندما طلب من سليمان أن يبني المعبد هناك. وسنصلي من أجل سلام القدس وازدهارها)، (ولقد وُعدت إسرائيل بهذه العاصمة في الكتاب المقدس، وأعيدت هذه المناطق إليها تاريخياً بواسطة الإنكليز)[٣].

وعمل على استخراج بيان دولي بتوقيع المتبرعين لأنشطته - وصل عددهم إلى أكثر من مليون أمريكي - هذا البيان موجه إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ورئيس وزراء إسرائيل، ومما جاء فيه: (نحن نؤمن بأن القدس تخص الله القدير، وأن كلمة الله غير قابلة للتفاوض، ونحن نؤمن علاوة على ذلك بأن الكتب المقدسة تعترف بالقدس عاصمة روحية لإسرائيل، وبأن المسيح سيعود إليها كذلك، من أجل هذا قد تعاهدنا على الصلاة من أجل شعب إسرائيل، والوقوف معه في كفاحه من أجل الحرية والسلام، ونحن نؤمن بكلمة الله حينما

---

(١) النبوءة والسياسة، ص١٩٣.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٢٣.

(٣) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، ص١٩٧، ١٩٨.

تقول: سوف أبارك من يباركهم وألعن من يلعنهم، نحن نؤمن بأنه يتوجب على أمريكا الوقوف بجانب إسرائيل، وكلمة الله تعرف بالقدس، وعلينا واجب الاعتراف بكلمة الله)[١].

كما بث في فبراير ١٩٨٦م برنامجاً جديداً حول عودة المسيح الثانية، ودور (إسرائيل) في تقريب موعد هذه العودة وأسماه (العودة)[٢].

ج- بعض المنظمات والهيئات:

وصل عدد المنظمات والهيئات النصرانية المتصهينة المؤيدة للصهيونية اليهودية في أمريكا إلى مائتين وخمسين منظمة في أواخر الثمانينيات، وهي تقوم بحرب مكشوفة على المسلمين في أمريكا، وتشدد على ضرورة وضع حد لتزايد أعداد المسلمين ونفوذهم في المجتمع الأمريكي، وتقوم بحملات محمومة لجمع التبرعات من النصارى الأمريكيين لصالح اليهود؛ بهدف الإسراع بتنفيذ مخطط هدم المسجد الأقصى المبارك لتشييد (الهيكل الثالث) على أنقاضه، ولإكمال حملة الاستيطان اليهودي في الأراضي الفلسطينية[٣].

ومن أهم هذه المنظمات الصهيونية النصرانية:

- **السفارة المسيحية الدولية ـ القدس:**

تمَّ إعلان تأسيس هذه المنظمة في ٣٠/ ٩/ ١٩٨٠م، في مدينة القدس المحتلة، في القسم الغربي منها، وبحضور أكثر من ألف رجل دين مسيحي، يمثلون ٢٣ دولة، إضافة إلى عدد من كبار المسؤولين الإسرائيليين. ولها في

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٦.

(٣) من دراسة قدمها الدكتور يوسف الحسن إلى ندوة (الإعلام الصهيوني ومتطلبات المواجهة العربية) التي نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ نقلاً عن كتاب الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص ١٩٥، لإسماعيل الكيلاني.

الولايات المتحدة الأمريكية ٢٠ فرعاً، واتخذت من مدينة مونتريت في ولاية كارولينا مقراً رئيساً لإدارة هذه الفروع.

وجاءت ولادة هذه المنظمة الصهيونية النصرانية الأصولية تأكيداً لأهمية ـ ما يزعمون ـ وهو العمل المسيحي نيابة عن (إسرائيل).

وجاء تأسيسها مباشرة إثر قيام ١٣ دولة أجنبية بنقل سفاراتها من القدس إلىٰ تل أبيب؛ تعبيراً عن رفضها القرار الإسرائيلي ـ بإعلان القدس عاصمة موحّدة وأبدية لإسرائيل في صيف عام ١٩٨٠م ـ، ويديرها أصوليون متعصبون، ممن يحملون مشاعر العداء تجاه الدين الإسلامي، وتجاه العرب والمسلمين بشكل عام، وتجاه الفلسطينيين بشكل خاص. وقد نادت في أول نشراتها الإخبارية لـ (قنصليتها) في القدس: (ليكن دعاؤكم ضد روح الإسلام)، و (أن الأرواح الشريرة في الإسلام مسؤولة عن العبودية الروحية في العالم العربي، وعن موقف العداء الشديد لإسرائيل في جميع أمم الشرق الأوسط، وأمم أخرىٰ في العالم أغلبيتها من المسلمين، وعن فكرة (الابتزاز النفطي) ضد أمم العالم التي تساند إسرائيل، وعن السخرية الكبيرة من الله . . . فهناك مسجد إسلامي في أقدس بقعة، وهي جبل موريا، وهذا وصمة للموقع المقدس للهيكل، وعن تدمير النصارىٰ اللبنانيين، وقتل مئات الآلاف من النصارىٰ منذ عشرة أعوام)[1].

ويقول المنشور التأسيسي لهذه المنظمة الصهيونية المسيحية: (إنه من الواضح أن الله وحده هو الذي أنشأ هذه السفارة المسيحية الدولية في هذه الساعات الحرجة؛ من أجل تحقيق الراحة لصهيون، واستجابة حب جديدة لإسرائيل).

---

(١) المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩، لي أوبرين، ترجمة د. محمود زايد، والبعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٢٩، وقبل أن يهدم الأقصىٰ، د. عبد العزيز مصطفىٰ، ص ١٧٤، والاختراق الصهيوني للمسيحية، القس إكرم لمعي، ص١٤١.

وقد اختصر مدير السفارة أهدافها بقوله: (إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم، وإن القدس هي المدينة الوحيدة التي تحظى باهتمام الله، وإن الله قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد).

ويرى أعضاء هذه السفارة أنه إذا لم تبق (إسرائيل)؛ فإنه لا مكان للمسيح عند مجيئه الثاني. ولا تكتفي هذه المنظمة بدعمها وجود (إسرائيل)، بل تدعم سياساتها التوسعية؛ بما فيها اعتبار الضفة الغربية وغزة حقوقاً أعطاها الرب للشعب اليهودي[١].

وأعلنت هذه السفارة إثر بدء أعمالها عن أهداف سبعة لها، خصصت ستة أهداف منها لإسرائيل والشعب اليهودي، أما الهدف السابع فقد كان للوعظ المسيحي الموجّه إلى اليهود - أي تنصير اليهود في أرض فلسطين، وهذا التنصير لليهود تقدمة لمجيء المسيح الثاني -، ولكن تحت ضغوط اليهود المتعصبين في (إسرائيل) تم إسقاط هذا الهدف، وبقيت الأهداف الستة التي تتمحور حول تحالف سياسي وثيق مع الصهيونية.

ويمكن تلخيص هذه الأهداف فيما يلي:

أ- إبداء الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي، وبدولة العدو اليهودي الصهيوني (إسرائيل).

ب- تذكير وتشجيع المسيحيين للصلاة من أجل القدس، وأرض إسرائيل (فلسطين المحتلة).

ج- تعليم المسيحيين في جميع أنحاء العالم وتثقيفهم بكل ما يجري في إسرائيل (فلسطين المحتلة).

د- حث القيادات المسيحية والكنائس والمنظمات الدينية على ممارسة النفوذ

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٣٠.

المؤثرة في بلادها لمصلحة إسرائيل والشعب اليهودي.

هـ- إنشاء مشروعات أو مساعدة مشروعات (إسرائيل)؛ بما فيها المشاريع الاقتصادية لمصلحة رفاهية اليهود في (إسرائيل).

و- ممارسة نفوذ وفاقي بين العرب واليهود[١].

عقدت هذه السفارة أول مؤتمر صهيوني نصراني دولي لها، في المكان نفسه الذي انعقد فيه أول مؤتمر صهيوني يهودي في مدينة بازل في سويسرا في ١٨٩٧م، وقد دعت هذه السفارة لعقده في الفترة من ٢٧-٢٩/ ٨/ ١٩٨٥م[٢].

وبعد ٨٨ سنة، وفي بازل السويسرية، وأمام لوحة كبيرة لهرتزل، قام خطباء نصارىٰ ويهود إسرائيليون يردّدون بابتهال نداء هرتزل: إن كل العالم يكره اليهود. وإنه طوال التاريخ كرهت شعوب العالم اليهود. وإنه يوجد حلّ واحد: إن علىٰ اليهود أن يعيشوا بشكل كامل بين اليهود، وأن يكونوا أقوياء عسكرياً[٣].

ويقول أحد المشاركين في هذا المؤتمر، وهو القس الأمريكي ديفيد لويس رئيس منظمة (مسيحيون متحدون لأجل إسرائيل): (لقد بدأ الآن أعظم حوار لاهوتي في تاريخ المسيحية، داخل الكنائس، حول العلاقات المسيحية اليهودية، ووحدة المسيحية واليهودية، ودعم المطالبة باعتراف الفاتيكان بإسرائيل)[٤].

وحثّ النصارىٰ (إسرائيل) علىٰ ضمّ الضفة الغربية بسكانها- مليون فلسطيني تقريباً- إلىٰ باقي الأجزاء التي احتلتها (إسرائيل) من فلسطين المحتلة.

---

(١) المرجع السابق، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترىٰ، د. سفر الحوالي، ص ٦٤

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص١٣٣.

(٣) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، ص ١٣٢.

(٤) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٣٣.

وقبل التصويت على ذلك؛ وقف يهودي إسرائيلي كان جالساً بين الحضور، وأشار إلى أن استقصاءً للرأي في (إسرائيل) أظهر أن ثلث الإسرائيليين يُفضّلون مقايضة الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧م بالسلام مع الفلسطينيين. فرد عليه ديرهوفن - الناطق باسم هذه السفارة - قائلاً: (إننا لا نهتم بما يصوّت عليه الإسرائيليون، إننا نهتم بما يقوله الله، والله أعطى هذه الأرض لليهود).

ويتضح من وثائق وأنشطة هذه السفارة حرصها على إبراز اتجاهاتها الصهيونية دون مواربة[(١)].

■ **المائدة المستديرة الدينية:**

تأسست هذه المنظمة في سبتمبر ١٩٧٩م بواسطة عدد من القيادات النصرانية الأصولية والسياسية، من أمثال القس جيري فولويل، والقس بول يريش - رئيس منظمة سياسية يمينية محافظة تسمى (لجنة إبقاء كونجرس حر) -، وقد ترأس هذه المنظمة أحد القساوسة، ويدعى (إدوارد ماك أتير)[(٢)].

أهم أهدافها: تنظيم لقاءات، وإعداد ندوات بين القيادات السياسية والدينية، وذلك من أجل الدولة اليهودية (إسرائيل)، وقد حضر إحداها رونالد ريجان عام ١٩٨٠م، وكان حينئذ مرشحاً للرئاسة[(٣)].

وأبرز أنشطة هذه المنظمة حفلات الإفطار السنوية التي تقيمها للصلاة من أجل (إسرائيل) ودعم سياساتها وأغراضها، ودرجت على إصدار بيان عقب الصلاة تبارك فيه (إسرائيل) باسم ما يزيد على ٥٠ مليون نصراني يؤمنون بالتوراة في الولايات المتحدة الأمريكية، ويتضمن البيان الصادر عن هذا اللقاء، والذي

---

(١) النبوءة والسياسة، جريس هالسل ترجمة محمد السماك، ص١٣٣ - ١٣٤.

(٢) المنظمات اليهودية الإمريكية، ص٢٨١، والبعد الديني في السياسة الأمريكية، ص١٣٦، والأصولية الإنجيلية، ص٦٧، وقبل أن يهدم الأقصى، ص١٧٥.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص ١٣٧، والأصولية الإنجيلية، ص ٦٧.

تحضره قيادات سياسية ودينية ورجال أعمال بارزون، وممثلون عن الحكومة الأمريكية، دعماً واضحاً لسياسات (إسرائيل).

ففي مؤتمر (مائدة إفطار وصلاة من أجل إسرائيل) لعام ١٩٨٣م، والذي عُقد في العاصمة الأمريكية، تضمّن البيان نقاطاً دينية وسياسية وعسكرية لمصلحة (إسرائيل)، كان من بينها:

أ- دعوة للتعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية و(إسرائيل)، وقد أعقب ذلك قراءة مختارات من التوراة تؤكد حق اليهود في أرض فلسطين.

ب- دعوة لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس؛ إذ رأى البيان أن حدود الأرض المقدسة التي رسمها الكتاب المقدس؛ لا يمكن أن تغيّرها رمال المقتضيات السياسية والاقتصادية المتحركة[1].

وفي ١/ ٢/ ١٩٨٤م عملت المنظمة حفلة أخرى (صلاة إفطار لمصلحة إسرائيل)، وكان الحديث في هذه الصلاة يدور حول: العلاقات الميثاقية بين الله والشعب اليهودي، وعن (المسؤولية الفريدة من نوعها الملقاة على عاتق المسيحيين للوقوف بجانب إسرائيل؛ تنفيذاً لهذا الميثاق التوراتي).

وتشارك هذه المنظمة في تنظيم الرحلات والزيارات من الولايات المتحدة الأمريكية إلى (إسرائيل)، وتقوم بإرسال البرقيات والرسائل إلى مراكز القرار السياسي الأمريكي لمصلحة (إسرائيل).

يعني أن الحديث عن دعم (إسرائيل) وأمنها وعاصمتها الموحدة؛ هو محور منشورات هذه المنظمة ونشاطها[2].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف الحسن، ص ١٣٧.
(٢) المرجع السابق، ص١٣٧، ١٣٨.

■ مؤسسة جبل المعبد (الهيكل):

ومن أقوى المنظمات الصهيونية النصرانية هذه المنظمة التي تسمى «مؤسسة جبل المعبد (الهيكل)»، وتتخذ من ولاية كالفورنيا مقراً لها، وتتفرّع عنها عدة لجان ومنظمات ومعاهد لخدمة هدفها الذي أُنشئت من أجله، وهو بناء الهيكل الثالث- المزعوم- في القدس، من بينها (المنتدى الأمريكي للتعاون المسيحي اليهودي)، و (معهد البحث عن المعبد في القدس).

وقيادة هذه المنظمة قيادة ثلاثية، وهم: مؤسسها الأول تيري رايزنهوفر، وهو رجل مسيحي إنجيلي متعصب من الأثرياء (تاجر أراض وبترول)، ورجل أعمال آخر من كالفورنيا يدعى تشاك كريغر، ورجل دين بروتستانتي أصولي يدعى جيمس ديلوش.

وقد برزت نشاطات هذه المنظمة في مطلع عام ١٩٨٣م؛ حينما دافعت عن المعتقلين اليهود الذين قاموا بتخريب وإتلاف أجزاء من المسجد الأقصى في ١٠/ ٣/ ١٩٨٣م، وقالت عنهم في منشور نشرته صحيفة (جيروسالم بوست): (إنهم أبناء إسرائيل المخلصون).

وتعقد هذه المنظمة مآدب إفطار صلاة من أجل (إسرائيل) في أمريكا، يشارك فيها شخصيات بروتستانتية أصولية ويهود والسفير الإسرائيلي المعتمد لدى الولايات المتحدة الأمريكية. وفي مأدبة في بدايات عام ١٩٨٤م طالبت هذه المنظمة على لسان رئيسها رايزنهوفر بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.

ويبعث أثرياء أمريكيون تبرعات مالية معفاة من الضرائب إلى الدولة اليهودية عبر هذه المنظمة. ويقول عضو الكنيست الإسرائيلي ياهودا بيراش: (إن لدى مؤسسة جبل المعبد الآن عشرات الملايين من الدولارات، كما أن أكثر من

٢٠ صاحب ملايين أمريكي مستعدون لتدعيم هذه المؤسسة بمساعدات مالية إضافية). وهي من جانبها تقوم بتقديم المساعدات المالية لتدريب عدد من الكهنة اليهود على كيفية خدمة الهيكل الذي تنوي بناءه في القدس.

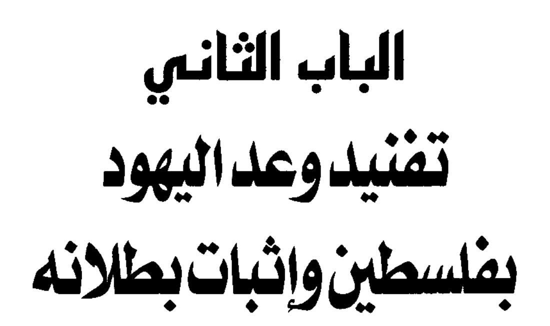
تتمتع هذه المنظمة بصلات واسعة مع المنظمات والقيادات الصهيونية المسيحية، ولها منافذ مفتوحة على البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية(١).

هذه أسماء بعض الشخصيات والمنظّمات في الولايات المتحدة الأمريكية التي آمنت بالمعتقدات البروتستانتية، والتقاليد التوراتية، وتفسيرات العهد القديم، وعملت على تطبيق هذه المعتقدات في الواقع، ومن نتائجه حصول اليهود على فوائد ومكاسب ضخمة، وعلى رأسها إقامة دولتهم في أرض لا تحل لهم (أرض فلسطين المسلمة)، ودعم الدول النصرانية لهم على ما يشاء اليهود بدون مساءلة أو استفسار، على حين غفلة المغفلين من النصارى، والمستغفلين من المسلمين.

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص١٣٨-١٤١، د. يوسف الحسن، والمنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل، ص ٢٨٣، لي أوبرين، وقبل أن يهدم الأقصى، ص ١٧٦، د. عبد العزيز مصطفى كامل.





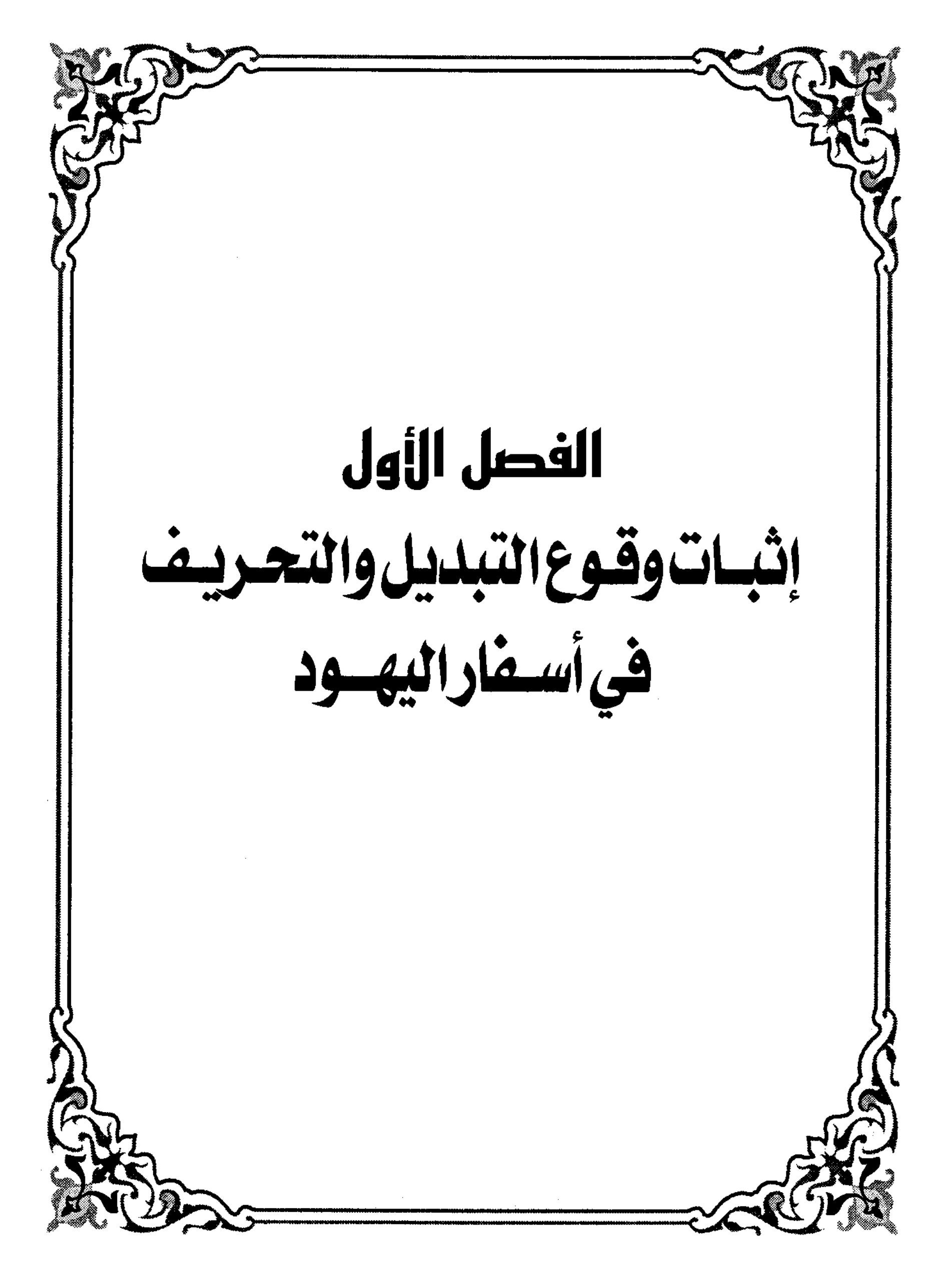
الباب الثاني
تفنيد وعد اليهود بفلسطين وإثبات بطلانه

ويشمل فصلين:

الفصل الأول: إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار اليهود.

الفصل الثاني: إثبات بطلان هذا الوعد.





الفصل الأول

إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار اليهود



المبحث الأول
إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار توراة (موسى) الخمسة

العهد القديم عند اليهود (كتابهم المقدس) يضم عقائدهم وشرائعهم وتاريخهم.

وأسفار موسى الخمسة (التوراة) تمثل الجزء الأول والأهم من أسفار العهد القديم، وقد ذكر القرآن الكريم أن الله قد أنزل كتاباً على موسى ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الإسراء: ٢]، ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٢ – ٤].

ولكن هل الكتاب (التوراة) الذي ذُكر في القرآن الكريم أنه أنزل على موسى عليه السلام؛ هو التوراة (الأسفار الخمسة) الموجودة في العهد القديم عند اليهود، خاصة أن اليهود يعتبرون أن هذه التوراة (أسفار موسى الخمسة) وباقي أسفار العهد القديم هي نفسها التي كتبها الأنبياء، حيث يقول أحدهم ـ بعد ما ساق بعض الأدلة على وحي الكتاب ـ : (لم يبق مفر من التسليم بأنه الكتاب المقدس الموحى به من الله، وأن فكرة وجود كتاب مقدس غيره مفقود؛ هي وليدة الوهم والادعاء)، وقال أيضاً: (فالتوراة بكل كتبها المقدسة هي بعينها كما صدرت من أيدي كاتبيها)[١]؟

فلنجب عن هذا السؤال ببيان ضياع التوراة التي جاء بها موسى ـ عليه السلام ـ

(١) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، ص٦٨، د. يحيى ربيع.

من واقع نصوص أسفار العهد القديم، ومنها الأسفار الخمسة التي يقول اليهود إنها لموسى عليه السلام، والتي يؤمنون بها.

جاء في الرواية اليهودية أن موسى ـ عليه السلام ـ تلقى التوراة ابتداءً مشافهة من الرب، ثم سجلها كتابة بعد أن قرأها على قومه، فقالوا: كل ما تكلم الرب نفعل ونسمع له. (فجاء موسى وحدَّث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام، فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا: كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل. فكتب موسى جميع أقوال الرب، وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب، فقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال)[١].

ولكن جاء في السفر نفسه من هذه الرواية وفي الصفحة نفسها أن الرب أعطى موسى الشريعة والوصية وهي مكتوبة. (وقال الرب لموسى: اصعد إليّ إلى الجبل، وكن هناك فأعطيك لَوْحَي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم)[٢]، (ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل. وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة)[٣].

فأمره الرب أن يأمر بني إسرائيل أن يصنعوا تابوتاً من خشب السنط، بيّن له أوصافه؛ ليضع فيه موسى الشهادة التي سيعطيه الرب إياها[٤]، كما أمره أيضاً أن يقرب أخاه هارون ـ عليه السلام ـ وبنيه من بين بني إسرائيل ليكونوا كهنة لله، وأمره أن يصنع لهم ثياباً مقدسة خاصة بهم، بيّن وصفها[٥]، (ثم أعطى موسى

(١) خروج (٢٤: ٣ـ٨).
(٢) خروج (٢٤: ١٢).
(٣) خروج (٢٤: ١٨).
(٤) خروج (٢٥: ١٠ـ٢١).
(٥) خروج (٢٨: ١ـ٤٣).

عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لَوْحَي الشهادة، لَوْحَي حجر مكتوبين بإصبع الله)[١]، (فانصرف موسىٰ ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده، لوحان مكتوبان علىٰ جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة علىٰ اللوحين)[٢]، ومن هذه النصوص يتبيّن أن ما كتبه الرب هو لوحا الشهادة، أما الوصية فليس لها ذكر هنا. وحينما رجع موسىٰ ـ عليه السلام ـ إلىٰ قومه وجدهم يرقصون حول العجل، (فحمي غضب موسىٰ وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أصف الجبل)[٣]، وجاء فيها أن الرب قال لموسىٰ بعد ذلك: (انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين، فأكتب أنا علىٰ اللوحَيْن الكلمات التي كانت علىٰ اللوحَيْن الأولَيْن اللذَيْن كسرتهما، واصعد في الصباح إلىٰ جبل سيناء. وبكر موسىٰ في الصباح وصعد إلىٰ جبل سيناء كما أمره الرب، وأخذ في يده لَوْحَي الحجر)[٤]، (وقال الرب لموسىٰ: اكتب لنفسك هذه الكلمات؛ لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل. وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء، فكتب علىٰ اللوحَيْن كلمات العهد: الكلمات العشر)[٥].

ثم جاء بعد ذلك: (وكتب موسىٰ هذه التوراة، وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل، وأمرهم موسىٰ قائلاً: في نهاية السبع السنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال، حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره، نقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم، اجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال

---

(١) خروج (٣١ : ١٨).
(٢) خروج (٣٢ : ١٥ـ١٦).
(٣) خروج (٣٢ : ١٩).
(٤) خروج (٣٤ : ١ـ٤).
(٥) خروج (٣٤ : ٢٧ـ٢٨).

والغريب الذي في أبوابك؛ لكي يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم، ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة)[١].

ثم بيَّن -عليه السلام- نفسيات هؤلاء القوم، وعدم صلاحيتهم للقيام بهذه المهمة وتأدية تلك الأمانة، حيث قال لهم: (لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة؛ هو ذا وأنا بعدُ حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب؛ فكم بالحريّ بعد موتي! اجمعوا إليّ كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض؛ لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به، ويصيبكم الشر في آخر الأيام؛ لأنكم تعملون الشر أمام الرب)[٢].

وبعد وفاة موسى -عليه السلام- تم الأمر لخليفته يشوع بن نون، فبنى (مذبحاً للرب إله إسرائيل، كما هو مكتوب في سفر توراة موسى، مذبح حجارة صحيحة، وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل، وجميع إسرائيل وشيوخهم والعرفاء وقضاتهم وقفوا جانب التابوت من هنا ومن هناك مقابل الكهنة اللاويين حاملي تابوت عهد الرب، وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة، لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قدام كل جماعة إسرائيل)[٣].

ولكن العجيب والغريب أنه جاء في الرواية اليهودية أن يشوع: (جمع جميع أسباط إسرائيل[٤]، وقطع عهداً للشعب في ذلك اليوم، وجعل لهم فريضة وحكماً في شكيم، وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله[٥]. وكان بعد

(١) تثنية (٣١: ٩-١٢).
(٢) تثنية (٣١: ٢٧-٢٩).
(٣) يشوع (٨: ٣٠-٣٥).
(٤) يشوع (٢٤: ١).
(٥) يشوع (٢٤: ٢٥-٢٦).

هذا الكلام أنه مات يشوع)[١].

ويظهر من هذه النصوص المقدسة عندهم ـ على زعمها ـ أن يشوع بن نون ـ عليه السلام ـ أضاف فرائض وأحكاماً جديدة إلى التوراة التي سلمها موسى إليهم، ولعلها تكون أول إضافة إلى هذه الأسفار بعد موت موسى ـ عليه السلام ـ، ولم يرد في الرواية اليهودية ذكر لقراءة التوراة بعد هذه القراءة التي قام بها يشوع بن نون عليه السلام.

وبعد عصر يشوع جاء حكم قضاة من الكهنة على بني إسرائيل، وفي هذا العصر وقع من الرذائل والمنكرات بل من الارتداد والوثنية؛ ما أضعف حكم بني إسرائيل على الأراضي المقدسة، وجعلهم في معارك دائمة مع جيرانهم من أهل فلسطين.

وفي إحدى المعارك التي جرت بين بني إسرائيل والفلسطينيين؛ انكسر بنو إسرائيل وهربوا، فاستولى الفلسطينيون على التابوت وما فيه من لَوْحي الحجر ونسخة التوراة، وظل التابوت في بلادهم سبعة أشهر[٢].

أعاد الفلسطينيون التابوت بمحض اختيارهم وإرادتهم؛ لما حصل لهم من شرور في مدة مكث التابوت عندهم، فأرجعوه إلى بني إسرائيل مع قربان إثم لرب إسرائيل[٣].

لم تذكر الرواية اليهودية ماذا حل بالتوراة التي في داخل التابوت في فترة مكث التابوت عند الفلسطينيين!

وبعد عصر القضاة جاء حكم الملوك على بني إسرائيل، وجاء في الرواية اليهودية أن في هذا العصر وفي عهد داود ـ عليه السلام ـ تم نقل التابوت إلى

---

(١) يشوع (٢٤ : ٢٩).
(٢) صموئيل الأول (٤ : ١ ـ ٢٢، ٦ : ١).
(٣) راجع في تفصيل ذلك: صموئيل (٥ : ١ ـ ١٢، ٦ : ١ ـ ٢١).

مدينته في احتفال عظيم(١).

وفي عهد سليمان عليه السلام؛ ذكرت الرواية اليهودية ما مفاده: أن سليمان -عليه السلام- جمع شيوخ إسرائيل في العيد لوضع تابوت عهد الرب في محراب البيت في قدس الأقداس، وحمل الكهنة التابوت وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التي في الخيمة، وكان الجميع يمشون مع الموكب حتىٰ سليمان عليه السلام، وفتح التابوت بعد وضعه في مكانه المخصص له، وكانت المفاجأة: لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسىٰ هناك في حوريب؛ حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر(٢).

وهكذا فُقدت التوراة في ظروف غامضة.

ولم ترد أدنىٰ إشارة للتوراة بعد سليمان عليه السلام، واختفت، حتىٰ ورد أنه تم العثور عليها فجأة بمحض المصادفة في عهد يوشيا (٦٤١ - ٦١١ ق.م)؛ أي بعد وفاة موسىٰ -عليه السلام- بأكثر من سبعمائة سنة(٣).

آل الأمر في حكم بني إسرائيل إلىٰ يوشيا بن آمون، وكما جاء في الرواية اليهودية أنه (عمل المستقيم في عيني الرب، وسار في طريق داود أبيه، ولم يحد يميناً ولا شمالاً)(٤).

عمل هذا الملك في السنة الثانية عشرة من ملكه علىٰ تطهير الهيكل وأورشليم وسائر يهوذا من التماثيل والأصنام ومذابحها(٥)، ولكنه لم يجد التوراة.

وفي السنة الثامنة عشرة من ملكه بعد أن طهر الأرض والبيت أرسل الكاتب

(١) صموئيل الثاني (٦: ١٢-١٤).

(٢) ملوك أول (٨: ١-٩).

(٣) الفكر الديني اليهودي، ص ٢٣، د. حسن ظاظا.

(٤) ملوك ثاني (٢٢: ٢)، وأخبار الأيام الثاني (٣٤: ٢).

(٥) أخبار الأيام الثاني (٣٤: ٣-٧)، و «يوشيا بن آمون» أحد ملوك يهوذا في عصر الانقسام، انظر: ص ٤٤ من هذا الكتاب.

شافان بن أصليا إلى بيت الرب ليحسب مع كاهنه العظيم حلقيا؛ الفضة التي دخلت الهيكل من الزائرين لكي تُصرف لعاملي الشغل الذين كانوا يعملون في بيت الرب لأجل إصلاح البيت وترميمه، وهناك حصلت المفاجأة: (وعند إخراجهم الفضة المدخلة إلى بيت الرب وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى، فأجاب حلقيا وقال لشافان الكاتب: قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب. وسلم حلقيا السفر إلى شافان، فجاء شافان بالسفر إلى الملك)(١).

ثم جاء في الرواية اليهودية أن الملك لما سلمه كاتبه سفر الشريعة أرسل إلى كل شيوخ يهوذا وأورشليم، (وصعد الملك إلى بيت الرب وجميع رجال يهوذا وكل سكان أورشليم معه والكهنة والأنبياء، وكل الشعب من الصغير إلى الكبير، وقرأ في آذانهم كل كلام سفر الشريعة الذي وجد في بيت الرب)(٢).

وقطع معهم عهداً لإقامة كلام هذا العهد المكتوب في هذا السفر(٣).

وجاء في الرواية اليهودية أيضاً أن يوشيا أقام كلام الشريعة المكتوب في السفر الذي وجده حلقيا الكاهن(٤) بقية حكمه؛ وتقدر بثلاثة عشر عاماً(٥).

جاء بعده ابنه يهو آحاز الذي قالت عنه الرواية اليهودية: (فعمل الشر في عيني الرب)(٦)، ثم توالت النكبات على اليهود من قِبَل الشعوب المحيطة بهم، حتى تمكن نبوخذ نصر من سبيهم إلى بابل، ونهبه للهيكل وتدميره له ولأورشليم (القدس) وتخريبها عام ٥٨٦ ق. م(٧).

---

(١) أخبار الأيام الثاني (٣٤: ٨-١٦)، وملوك ثاني (٢٢: ٣-٩).

(٢) ملوك ثاني (٣٣: ١-٢)، وأخبار الأيام الثاني (٣٤: ٢٩-٣٠).

(٣) ملوك ثاني (٣٣: ٣)، وأخبار الأيام الثاني (٣٤: ٣١).

(٤) ملوك ثاني (٣٣: ٢٤).

(٥) لأن مدة حكمه كما جاء في الرواية اليهودية إحدى وثلاثون سنة، ملوك ثاني (٢٢: ١).

(٦) ملوك ثاني (٣٣: ٣٢).

(٧) ملوك ثاني (٢٥: ٨-١١)، والعنصرية اليهودية، (١/ ٢٠٩)، د. أحمد عبد الله الزغيبي، =

مكث اليهود في بابل تحت حكم السبي حتىٰ سمحت لهم الدولة الفارسية بالعودة إلىٰ أورشليم، فكان ممن عاد من اليهود مجموعة بقيادة عزرا بن سرايا من سبط هارون[١]، وعاد عزرا الكاهن والكاتب إلىٰ أورشليم عام ٤٥٨ ق.م تقريباً[٢].

وعند وصول عزرا إلىٰ أورشليم؛ جاء في الرواية اليهودية ما مفاده: أن الشعب طلب من عزرا أن يأتي بسفر شريعة موسىٰ، فأتىٰ عزرا الكاتب بالشريعة أمام الشعب، وشرع في قراءته هو وزملاؤه اللاويون سبعة أيام كاملة من مطلع نهار كل يوم منها إلىٰ منتصفه، حتىٰ أتوا علىٰ جميع ما يحتويه ملفات هذا السفر، فما كان من بني إسرائيل بعد ذلك إلا أنهم وقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم[٣].

ويقول ول ديورانت: (ولما فرغوا من قراءتها ـ أي الشريعة ـ أقسم الكهنة والزعماء والشعب علىٰ أن يطيعوا هذه الشرائع، ويتخذوها دستوراً لهم يتبعونه، ومبادئ خلقية يسيرون علىٰ هديها ويطيعونها إلىٰ أبد الآبدين.

= وبنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص ٤٦، د. محمد سيد طنطاوي، واليهود في شبه الجزيرة العربية، ص ٣٢، د. محمد أرشيد العقيلي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٢٦٥، د. فتحي الزغبي، واليهود في السنة المطهرة، (١/ ١١٥)، د. عبد الله بن ناصر الشقاري.

(١) عزرا: يرجع نسب عزرا حسب ما ورد في سفره إلىٰ هارون (٧: ١ ـ ٥)، وفيه أنه لقربه من الملك الفارسي وهو (أرتحشستا الأول)، وعمله مستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية؛ فقد سمح له بعودة فوج جديد إلىٰ أورشليم، وأرسل معه ما يحتاج إليه من مال ومعونة. جاء وصفه أنه كاتب ماهر في شريعة موسىٰ ـ عليه السلام ـ (٧: ٦ ـ ١٠)، ويعرف لدىٰ الكثيرين بأنه مؤسس اليهودية، حيث يرجع إليه الفضل في جمع الأسفار وإعادة ترتيب الشريعة.

(٢) بذل المجهود في إفحام اليهود، ص ١٣٥، للحكيم السموأل بن يحيىٰ المغربي، تعليق: عبد الوهاب طويلة، وتأثر اليهودية، ص ٢٢١، د. فتحي الزغبي، والكتب السماوية وشروط صحتها، ص ١٩٣، عبد الوهاب طويلة.

(٣) نحميا (٨: ١ ـ ١٨)، (٩: ١ ـ ٣).

وظلت هذه الشرائع من تلك الأيام إلى يومنا هذا المحور الذي تدور عليه حياة اليهود، ولا يزال تقيدهم بها طوال تجوالهم ومحنهم من أهم الظواهر في تاريخ العالم)[١].

فهذه التوراة التي قرأها عزرا لبني إسرائيل، والتي قال عنها ديورانت: (هي الباقية إلى يومنا مع اليهود)، لا شك أنها لم تكن هي التوراة التي سلمها موسى -عليه السلام- إلى اللاويين، وذلك لأمور منها:

١ - جاء في الرواية اليهودية، كما سبق أن ذكرت، أن يشوع بن نون -عليه السلام- أضاف -كما زعموا- من عنده فرائض وأحكاماً جديدة إلى سفر شريعة الله.

ويتضح من هذا أن يشوع أضاف إلى توراة موسى، وقد تكون هذه أول إضافة على ما جاء به موسى عليه السلام.

٢ - جاء في الرواية اليهودية، كما سبق، أن يشوع بن نون -عليه السلام- كتب على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل.

بهذا التدوين على حجارة غير الحجارة التي تركها موسى -عليه السلام- مع اللاويين، في ظل عهد وحكم وفريضة أخذها يشوع -عليه السلام- على بني إسرائيل -كما زعمت الرواية اليهودية-؛ أصبح عندهم نسختان؛ نسخة كتبها موسى عليه السلام، ونسخة كتبها يشوع عليه السلام. ولم تخبرنا الرواية اليهودية ما فعلوا بنسخة موسى عليه السلام؛ هل أبقوها معهم؟ وهل كانت تصلح للقراءة وللأخذ منها؟ وإذا كانت كذلك؛ فلِمَ كانت نسخة يشوع -عليه السلام- على فروض وعهود جديدة؟ ثم على فرض بقاء النسختين معاً فأيهما كانت عند بني إسرائيل أكثر أهمية بل أكثر قداسة؟ وإذا كان الأمر يتعلق بمجرد

---

(١) قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص ٣٦٦، ول ديورانت.

نسخ نسخة للتداول؛ فلِمَ اقتصروا على نسخة واحدة ولم ينسخوا عشرات النسخ للتداول ولذيوع النص الذي تركه موسى عليه السلام؟[١].

٣ـ جاء في الرواية اليهودية ـ كما ذكرت من قبل ـ أن التابوت وما فيه من لَوْحَي الحجر ونسخة التوراة؛ لم يحفظه اليهود من أعدائهم، بل لقد استولى عليه الفلسطينيون أعداء اليهود ومكث عندهم سبعة أشهر.

لم يأت ذكر في الرواية اليهودية لما حصل للتوراة وهي بداخل التابوت، وهو عند الفلسطينيين تلك المدة، ذكروا فقط أنهم أعادوا التابوت، وما مصير التوراة التي بداخله؟ لم تتعرض لها الرواية! فهل ذلك ناتج عن أنه من البديهي أن تكون عادت مع التابوت سالمة غانمة، أو أنه من البديهي أن تكون قد أتلفت بعد أن أخرجت من الصندوق[٢].

وذكرت الرواية اليهودية أن التابوت بعد إعادة الفلسطينيين له إلى الإسرائيليين مكث عندهم عشرين سنة لم يُفتح ولم يُدر ما فيه[٣]، فقد سقط خلال هذه السنوات بطريقة غير مفهومة في غياهب النسيان؛ ربما لأنه كان قد فقد مكانته بعد أن سلبه الفلسطينيون، ومن ثم فقد أصبح يعيش حوله عدد ضئيل من الكهنة أو الحفاظ الذين لا مكانة لهم[٤].

ثم كشفت هذه الرواية أنه، وبعد تلك السنين الطويلة، فتح التابوت في عهد سليمان عليه السلام، فلم يكن فيه إلا لوحا الحجر فقط.

أي أن نسخة التوراة الموضوعة في الصندوق قد ضاعت، ولا يعلم جزماً متى

---

(١) انظر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، ص ٥٨ـ٥٩، د. صابر طعيمة.

(٢) بذل المجهود في إفحام اليهود، ص ١٣٠، للسموأل بن يحيى، تعليق عبد الوهاب طويلة، والكتب السماوية وشروط صحتها، ص ١٨٣، عبد الوهاب طويلة.

(٣) صموئيل أول (٧: ٢).

(٤) تأثر اليهودية، ص ٣١٧، د. الزغبي، وأصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص ٤٩، د. الفاروقي.

ضاعت سوى هذا القدر (أنها ضاعت قبل عهد سليمان ـ عليه السلام ـ)[١].

وقد يرد احتمال وهو أن التابوت فتح من قِبَل الفلسطينيين المنتصرين، ومن أجل الانتقام من بني إسرائيل أخذوا التوراة من التابوت، فأحرقوها أو مزقوها أو تخلصوا منها بأي كيفية كانت[٢].

وهذا يدل على أن من المستحيل أن تبقى نسخة التوراة في الوجود إلى الآن[٣].

حتى إن اللوحين قد انقطع خبرهما بعد فتح التابوت في عهد سليمان عليه السلام، فلم يرد إشارة إليهما في الرواية اليهودية؛ حيث يرجح أنهما قد فقدا أيضاً بعد سليمان عليه السلام[٤].

وخلاصة الأمر أن توراة موسى ـ عليه السلام ـ أو نسخة يشوع ـ عليه السلام ـ منها ـ على حسب الرواية اليهودية ـ الموجودة في ذلك الصندوق؛ فُقدت فلم يطلع عليها الملوك أو الأنبياء، ولم يعرفوا ما بها من أحكام[٥].

٤ ـ وبعد ذلك ولفترة طويلة من عهد سليمان ـ عليه السلام ـ (٩٧٠ ـ ٩٣٠ ق. م) لم يكن للتوراة ذكر في الرواية اليهودية، حتى جاء فيها أنه تم العثور عليها فجأة وبمحض المصادفة في عهد يوشيا (٦٤١ ـ ٦١١ق. م)، وبعد مرور ثمانية

---

(١) إظهار الحق، (٢ / ٥٩٩)، للشيخ العلامة رحمت الله بن خليل الهندي، تحقيق: د. محمد أحمد ملكاوي.

(٢) التوراة دراسة وتحليل، ص٤٣، د. محمد شلبي شتيوي.

(٣) وهذا اعتراف أحد علماء اللاهوت من النصارى، صاحب كتاب (خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية)، ذكر ذلك الشيخ محمد رشيد رضا في كتابيه: تفسير المنار الجزء الثالث من المجلد الثاني، ص ١٣٠ ـ ١٣١، وشبهات النصارى وحجج الإسلام، ص ٤١، والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، ص ١١٠، د. يحيى محمد ربيع.

(٤) تاريخ بني إسرائيل، ص ٢٠، محمد عزة دروزة.

(٥) مصر والشرق الأدنى القديم، (٣ / ٢٠٩)، د. نجيب ميخائيل إبراهيم.

عشر عاماً من حكمه؛ أي بعد وفاة موسىٰ ـ عليه السلام ـ بأكثر من سبعمائة سنة، وجدها الكاهن حلقيا ـ كما سبق ذكره ـ.

ويتضح من هذا أن التوراة لم تكن نسياً منسياً في عهد يوشيا فقط، ولكن في عهد أسلافه أيضاً، كما دلت عليه كلمة يوشيا: (. . . لأنه عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب علينا)[١].

ويرفض المحققون من العلماء والباحثين ادعاء حلقيا الكاهن بعثوره علىٰ سفر شريعة موسىٰ.

فيرىٰ الشيخ رحمت الله الهندي أنه: (لا يُعتمد علىٰ هذه النسخة ولا علىٰ قول حلقيا؛ لأن البيت نُهب مرتين قبل عهد أخزيا ثم جعل بيت الأصنام، وسدنة الأصنام كانوا يدخلون البيت كل يوم، وما سمع أحد إلىٰ سبعة عشر عاماً من سلطنة يوشيا أيضاً اسم التوراة ولا رآها، مع أن السلطان والأمراء والرعايا كانوا في غاية الاجتهاد لاتباع الملة الموسوية، وكان الكهنة يدخلون كل يوم إلىٰ هذه المدة، فالعجب كل العجب أن تكون النسخة في البيت ولا يراها أحد)[٢].

وقد قام د. شتيوي بذكر تواريخ بعض الأحداث، من ولادة سليمان ـ عليه السلام ـ إلىٰ أن اكتشفت هذه التوراة عن طريق حلقيا بعد مرور ثمانية عشر عاماً من عهد يوشيا، ثم قال: (وبعملية جمع وطرح تكون المدة من فقدان توراة موسىٰ ـ عليه السلام ـ حتىٰ ظهور التوراة التي أعلنها حلقيا هي ثلاثمائة وخمسون عاماً، وهذا يعني استحالة وجود توراة موسىٰ ـ عليه السلام ـ بذاتها بعد كل هذا الزمن الشاسع، فهو أمر يستحيل عقلاً تصديقه، وليس معجزة حتىٰ يقال: ليس للعقل مجال فيها، وذلك لأن حلقيا ليس برسول ولا نبي)[٣].

---

(١) ملوك ثاني(٢٢: ١٣).

(٢) إظهار الحق (٢/ ٦٠٤)، واليهودية في أسفارها المقدسة، ص ١٠١، واليهودية، ص ٢٥٧ .

(٣) التوراة دراسة وتحليل، ص ٢٧ـ٢٨ .

لذلك يقرر فضيلة الشيخ رحمت الله الهندي أن هذه النسخة: (ما كانت إلا من مخترعات حلقيا، فإنه لما رأىٰ توجه السلطان إلىٰ اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التي وصلت إليه من أفواه الناس، سواء كانت صادقة أو غير صادقة، وقضىٰ هذه المدة في جمعها وتأليفها، فبعد ما جمعها نسبها إلىٰ موسىٰ عليه السلام، ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة وإشاعة الحق كان من المستحبات الدينية عند متأخري اليهود وقدماء المسيحيين)[١].

ويقول د. نجيب ميخائيل: (وأغلب الأمر أن هذا الكاهن حين رأىٰ الانحلال الشامل اصطنع هذا السفر ليخيف اليهود، وليمنع الشرور، ويوقف عبادة الأصنام؛ ذلك لأن العثور عليه بعد ما حل بالبيت من خراب ومن غزوات في مختلف عهود الملوك من فراعنة وملوك بابليين؛ لأمر يدعو للشك)[٢].

ويرىٰ ول ديورانت: أن الكهنة حينما وجدوا الشعب قد ارتد عن عبادة يهوه إلىٰ الآلهة الأجنبية، فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة منه في صورة سنن إلهية تبعث النشاط والقوة في حياة الأمة الخلقية، وسرعان ما ضموا إلىٰ جانبهم الملك يوشيا، فحصل أنه في عهده ادعىٰ الكاهن حلقيا وجود سفر الشريعة، ولسنا نعلم علم اليقين ماذا كان سفر الشريعة هذا[٣]!

فقد ادعىٰ الحاخام حلقيا أنه رأىٰ في أثناء منامه النبي موسىٰ، وأنه أخبره بأن إسرائيل قد ضلت سواء السبيل، وأن الكتاب الحقيقي الذي كتبه بيديه من كلمات الخالق موجود في المحل الفلاني من المعبد، وعندما استيقظ وحفر في المكان المذكور وجد كتاباً، فصدق الكل حتىٰ الملك يوشيا ادعاء هذا الحاخام وأخذوه مأخذ الحقيقة[٤].

---

(١) إظهار الحق، (٢/ ٦٠٤-٦٠٥)، رحمت الله بن خليل الهندي.

(٢) مصر والشرق الأدنىٰ القديم، (٣/ ٢٠٩)، د. نجيب ميخائيل إبراهيم.

(٣) قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص ٣٥٦، ول ديورانت.

(٤) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٣٢٢.

ويؤكد الشيخ رحمت الله الهندي: (أن تواتر التوراة في اليهود منقطع قبل زمان يوشيا، والنسخة التي وجدت في عهده لا اعتماد عليها، ولا يثبت بها التواتر، ومع ذلك ما كانت معمولة إلا إلىٰ ثلاث عشرة سنة، وبعدها لم يعلم حالها، والظاهر أنه لما رجع الارتداد والكفر بين أولاد يوشيا زالت قبل حادثة بختنصر، وكان وجودها بين أزمنة الارتداد كالطهر المتخلل بين الدّمين، ولو فرض بقاؤها أو بقاء نقلها فالمظنون زوالها في حادثة بختنصر)[١].

٥ ـ وبعد حادثة نبوخذنصر (بختنصر)، ونهبه الهيكل وتدميره أورشليم (القدس) وتخريبها عام ٥٨٦ق. م؛ عاد الكاهن والكاتب عزرا ومعه مجموعة من اليهود إلىٰ أورشليم حوالي سنة ٤٥٨ق. م، وهناك أخرج الشريعة وقرأها أمام الشعب، كما جاء في الرواية اليهودية، ومن المُسلّم به عند أهل الكتاب أن التوراة ونسخ العهد القديم التي كانت مصنفة قبل غزو نبوخذنصر البابلي أورشليم؛ قد انعدمت جميعاً عن صفحة العالم رأساً[٢].

ويرىٰ د. نجيب ميخائيل أن حلقيا الكاهن لربما أودع توراته عند أحد أبنائه فانحدر عن طريق الميراث لحفيده عزرا، ولكن عزرا كان مطلعاً علىٰ الأساطير البابلية، وواقعه أنه رسول من ملك الفرس لإصلاح حال اليهود، وقد يكون أرسله علىٰ أن يشغلهم بالدين، ويبعدهم بما كان عنده من أقوال أو مسجلاً في كتابات؛ بحيث يصبح ما يقدمه متلائماً ومتفقاً والمستوىٰ الروحي والخلقي في العصر الذي كان يعيش فيه؛ لذلك فهو يعتبر المؤسس الأول للصهيونية حين نادىٰ بالانعزال والاعتزاز بنعرة (الشعب المختار)[٣].

ويقرر السموأل بن يحيىٰ المغربي أن عزرا (جمع من محفوظاته ومن الفصول

---

(١) إظهار الحق، (٢/ ٦٠٦)، رحمت الله الهندي.

(٢) المرجع السابق، (٢/ ٤٤٩ و٦٠٧).

(٣) مصر والشرق الأدنىٰ القديم، (٣/ ٢١٠)، د. نجيب إبراهيم.

التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي في أيديهم، ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة، فهذه التوراة التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليست كتاب الله)[١].

ولم يقم دليل على عصمة عزرا ومن ساعده، أو على تأييدهم بالوحي، ولا على أن تلك النصوص التي جمعت هي من عين التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، كما أنه لم يقم دليل على أن التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب اليوم هي عين التوراة التي لفقها عزرا وغيره بدون زيادة ولا نقصان؛ لأنه ليس لها شبه سند، فضلاً عن أن يكون لها سند صحيح متصل، أو تكون منقولة بالتواتر، ولا سيما أن أهل الكتاب لا يعتمدون على الأسانيد، ولا يعرفون علم الرواية ونقل الأخبار، كما هو الحال لدى المسلمين في نقل كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ[٢].

حتى هذه النسخة التي أظهرها عزرا ضاعت في حادثة أنتيوكس (أنطيوكس الرابع)[٣]، فجاء في الرواية اليهودية ما مفاده: أن أنتيوكس السلوقي، عند دخوله إلى أورشليم، أحرق جميع نسخ كتب العهد العتيق التي حصلت له من أي مكان بعد ما قطّعها، وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد العتيق أو يؤدي رسم الشريعة يُقتل، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر، فكان يقتل من وجد عنده نسخة من كتب العهد العتيق، أو ثبت أنه أدى رسماً من رسوم الشريعة، وتعدم تلك النسخة[٤].

ووقعت على اليهود بعد هذه الحادثة حوادث أخرى، وكان أشدها وأعنفها

---

(١) بذل المجهود في إفحام اليهود، ص ١٣٤ .
(٢) المرجع السابق، ص ١٤٢، من تعليقات الأستاذ عبد الوهاب طويلة.
(٣) إظهار الحق، للشيخ رحمت الله الهندي، (٢/ ٤٤٩).
(٤) مكابيين أول (١ : ٥٩ ـ ٦٥)، وإظهار الحق، (٢/ ٦٠٧).

حادثة تيطس الروماني التي بها انتهى أمر الهيكل ودمر تدميراً كاملاً إلى يومنا هذا، ودمرت أورشليم، وانتهى تاريخ اليهود في فلسطين كدولة ومجموعة كبيرة، وفيها انعدمت نسخة عزرا ونسخ أخرى لا تحصى[١].

وصفوة القول: أن اليهود قد نالهم الاضطهاد بما كسبت أيديهم من قِبَل الكلدانيين والفرس، فاليونان فالرومان فالنصارى، وما من أمة إلا صدّتهم أشد الصدّ، وأشد ذلك ما نالهم من ملوكهم العصاة والمرتدين، فأي توراة مع هذا كله؟ وأي بديل لها مما كتبه عزرا وغيره يبقى صحيحاً سالماً؟[٢]

ولهذا فإن الإمام ابن حزم أثبت أن التوراة التي في أيدي اليهود محرفة ومبدلة، واعتمد في نقدها على طرق؛ منها: النظرة إلى عوامل تاريخية، ويقصد بها الظروف التي مرت بها التوراة منذ توفي موسى -عليه السلام- إلى وقت كتابتها بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم[٣].

فبعد أن سرد تاريخهم، قال في عدة أماكن مناسبة مع ذكر الأحداث التي مرت بهم ما يأتي: (فاعلموا الآن أنه كان منذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى -عليه السلام- إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول؛ سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام، فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم)[٤].

وبعد أن ذكر -رحمه الله- ملوك الأسباط العشرة، وما حصل في عهودهم

---

(١) إظهار الحق، (٢/ ٦٠٨)، للشيخ العلامة رحمت الله الهندي.

(٢) بذل المجهود في إفحام اليهود، ص ١٤١، والكتب السماوية وشروط صحتها، ص ٢٠٤.

(٣) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٣٤٧، د. فتحي بن محمد الزغبي.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/ ٢٩٠)، ابن حزم، ت د. محمد نصر، و د. عبد الرحمن عميرة.

من أحداث، قال: (فقولوا يا معشر السامعين، بلد تعلن فيه عبادة الأوثان، وتبنى هياكلها، ويقتل من وجد فيه من الأنبياء؛ كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالماً؟ أم كيف يمكن هذا؟)[١].

وبعد أن قرر ـ رحمه الله ـ أن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلى انقضائها إلا عند الهاروني الكوهن الأكبر وحده في الهيكل فقط[٢]، قال: (ولا شك في أن تلك المدة الطويلة، قد كان في الكهنة الهارونيين ما كان في غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الأوثان، ومن هذه صفته فلا يُؤمن عليه تغيير ما ينفرد به، وهذه كلها براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها)[٣].

٦ ـ وهناك اختلاف عظيم من ناحية الحجم بين التوراة التي وضعها موسى ـ عليه السلام ـ في التابوت، وتلك التي وجدها حلقيا الكاهن، وتلك التي ادعاها عزرا؛ حيث إن الأولى يمكن كتابتها على حجارة المذبح نقشاً[٤]، بينما التوراة التي وجدها حلقيا قد جاء أنها قرئت على اليهود مرتين كاملتين في يوم واحد[٥]، على حين أن التوراة التي ادعاها عزرا احتاجت قراءتها إلى أسبوع كامل[٦].

---

(١) المرجع السابق، (١/ ٢٩٣).
(٢) المرجع السابق، (١/ ٢٩٤).
الكوهن: كلمة عبرية تعني الكاهن، ويُعتبر حامل هذا اللقب سليل الكهنة، ومن نسل هارون أخي موسى عليهما السلام. و الكوهن الأكبر هو كبير موظفي الهيكل، وقد كانت هذه الوظيفة في الأصل مقصورة على أسرة صادوق من ذرية هارون عليه السلام. ومع أن وظيفة كبير الكهنة كانت دينية؛ فقد كانت لها أبعاد دنيوية، فالكاهن الأكبر كان يُعد من رجالات المملكة العبرانية، وجزءاً من الاستقراطية الحاكمة. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٤/ ١٥٣ـ ١٥٤).
(٣) المرجع السابق، (١/ ٣٠٠ـ ٣٠١).
(٤) تثنية (٢٧: ٥ـ ٨).
(٥) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول، ص ٣٦٦. مصر والشرق الأدنى القديم، (٣/ ٢١٠).
(٦) المرجعان السابقان، الأول الصفحة نفسها. الثاني، (٣/ ٢٠٣).

٧ـ ونستطيع أن نستخلص من خلال هذا العرض ؛ أن نسبة الأسفار الخمسة إلىٰ موسىٰ ـ عليه السلام ـ قد هجر تماماً[١]، ولم يبق أي من العلماء التوراتيين يقبل بنظرية تأليف موسىٰ لهذه الأسفار[٢]، حيث إن كتبة التوراة أو الكهنة ما فتئوا يلُحّون في العبث بتوراتهم. ويذكر العلماء أن التوراة علىٰ شكلها الحالي قد مرت من غير شك بمراحل متعددة، تطورت خلالها مادتها من رواية، إلىٰ اختيار وتنقيح وحذف، ثم تدوين. ولم يبق من النسخة المنقولة علىٰ ألسنة هؤلاء الكهنة إلا ما علق بالأذهان مما لا يُعتمد عليه، حتىٰ ظهرت التوراة المتداولة الآن. وإن الأسفار الخمسة أخذت صورتها التي نعرفها خلال سبي اليهود في بابل علىٰ الأرجح بين عامي ٥٨٦ـ٥٣٨ ق. م، ثم تناولها التنقيح منذ هذه المرحلة حتىٰ قيام دولة الإسكندر (علىٰ مدىٰ قرنين من الزمان)[٣]. وإن في هذه الأسفار عبارات كثيرة تسوِّغ القول بجزم أنها لم تُكتب من قِبَل موسىٰ، ولا بإملائه، ولا في حياته، وإنما كتبت بعده، وبأقلام كتاب عديدين، وفي أزمنة مختلفة، وقد تكون كُتبت بعده بمدة طويلة، أو أعيدت كتابتها بعد سبي بني إسرائيل من أورشليم ـ القدس ـ، وعودتهم من السبي في القرن السادس قبل الميلاد[٤].

وهكذا تبين أن هذه الأسفار لم يكن مصدرها الوحي الإلهي المنزل من عند الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ نبيه موسىٰ عليه السلام، إنما هي من فعل كتبة كتبوها عن أقوال موروثة، وقصص وروايات مختلفة كانت مشهورة عند اليهود[٥].

وقد انتهت البحوث اللاحقة في القرن التاسع عشر (١٨٥٤م) إلىٰ نتيجة ؛ هي أن الأسفار الخمسة هي محصلة مجموعة من الروايات الشفهية أكثر قِدَماً، تكدس بعضها فوق بعض، وتداخل بعضها في بعض، وأنها ترتد إلىٰ أربعة

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ٣٠، د. موريس بوكاي.
(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص١٣، سهيل ديب.
(٣) مصر والشرق الأدنىٰ القديم، (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣)، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٣٤٩.
(٤) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٧.
(٥) الكتب السماوية وشروط صحتها، ص ٢٣٠، عبد الوهاب طويلة.

مصادر أو ينابيع مختلفة، هناك اثنان منها جوهريان قديمان، والثالث منفصل عنها في زمانه ومضمونه، وأما الرابع والأخير؛ فإنه ينبثق في مواضع معينة بصورة تكميلية وتوضيحية فقط، وهو أحدث هذه الينابيع تاريخاً[١].

وهذه المصادر الأربعة هي:

أ ـ المصدر اليهووي:

وهذا المصدر يحمل اسم (يهوه) عَلَمَاً علىٰ الرب، ويُرمز له بالحرف (J)، وهو الحرف الأول من اسم (يهوه) باللاتينية (Jahwist)، ويرجع تأليفه إلىٰ القرن التاسع ق.م، حوالي عام ٨٥٠ ق.م، وقد حرر في مملكة الجنوب (يهوذا)[٢]، وقيل إن لغة هذا المصدر فجة واقعية غير منمقة تسمي الأشياء بأسمائها ولا ترتبك أو تستعمل اللف والدوران عند وصف بعض الأعمال أو الوقائع التي أضفت علىٰ التوراة صفة الوصف الجنسي الفج[٣].

والفكرة الدينية والسياسية السائدة أو المحركة لدىٰ هذا المصدر؛ هي تثبيت كون إسرائيل شعب الله المختار في أرض كنعان، والوعد بتكثير هذا الشعب، والوعد بأرض كنعان أن تكون له ملكاً أبدياً، وبإنشاء مملكة داود[٤].

ب ـ المصدر الإلوهيمي:

نسبة إلىٰ اسم العَلَم (إلوهيم)، ويطلق علىٰ الرب أيضاً عندهم، ويُرمز له

---

(١) فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ص ١٢٩، ودراسة الكتب المقدسة، ص ٣٨، والفكر الديني اليهودي، ص ٢٦.

(٢) قصة الحضارة الجزء الثاني، (١ / ٣٦٧)، ودراسة الكتب المقدسة، ص٣٢، والحضارات السامية القديمة، ص ١٥٧، وهوامشه: ص ٣٣٦، والفكر الديني اليهودي، ص ٢٦، والتوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٣.

(٣) ومن أمثلتها: تكوين(٣٨: ١٥ ـ ١٦): (.. فرآها يهوذا فحسبها بغياً... فمال إليها إلىٰ الطريق وقال: هلم أدخل عليك. لأنه لا يعلم أنها كنته... فقالت: ماذا تعطيني حتىٰ تدخل علي..)، التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص١٣ ـ ١٤، سهيل ديب. الكتب السماوية وشروط صحتها، ص ٢٣٠، عبد الوهاب طويلة.

(٤) التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٤، وفلسطين أرض الرسالات، ص ١٣٠. الكتب السماوية وشروط صحتها، ص٢٣٠.

بالحرف (E)، وهو الحرف الأول من اسمه (Elahist)، وهو أقرب تاريخاً بقليل؛ إذ يرجع تاريخه إلى القرن الثامن ق.م، وقد حدده موسكاتي بحوالي عام ٧٧٠ ق.م، وقد حرر في مملكة إسرائيل الشمالية(١).

وقيل إن لغة هذا المصدر أكثر تنميقاً وتهذيباً من لغة المصدر اليهووي، وأكثر عمقاً، وتعتمد على التشابيه والتورية لتوجيه رسالتها(٢).

وهذان المصدران (اليهووي والإلوهيمي) يتفقان في الخطوط العريضة للموضوع الذي يتناولانه، كما يتفقان في طابع القصص وأسلوبه. وربما كان قد حدث مزج بين الروايتين اليهووية والإلوهيمية على ألسنة الناس في القرون التالية للقرنين التاسع والثامن قبل الميلاد(٣).

ويرى العلماء أن هذين المصدرين القديمين قد تم دمجهما في مجموعة واحدة، وأن القصص الخاصة بهما قد امتزجت في قصة واحدة، ويذكر ديورانت أن ذلك تم بعد سقوط السامرة عام ٧٢٢ ق.م. بينما يرى موسكاتي أن ذلك تم في عام ٦٥٠ ق.م، وعلى أي حال فإنهما قد امتزجا قبل أن تنبثق بقية المصادر الأربعة(٤).

---

(١) قصة الحضارة، الجزء الثاني (١ / ٣٦٧). دراسة الكتب المقدسة، ص ٣٢. الحضارات السامية القديمة، ص١٥٧، وهوامشه: ص ٣٣٦. الفكر الديني اليهودي، ص ٢٦-٢٧، والتوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٣.

(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص١٤، ديب، والكتب السماوية وشروط صحتها، ص٢٣٠، طويلة.

(٣) الفكر الديني اليهودي، ص ٢٧، د. حسن ظاظا.

(٤) قصة الحضارة الجزء الثاني المجلد الأول، ص٣٦٧، والحضارات السامية القديمة، ص ١٥٧، والفكر الديني اليهودي، ص ٢٧، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٣٤٠. وتقول كاترين هنري: (يعتقد كثيرون من العلماء أن مجموعات ووثائق هذين المصدرين كانت أول الأمر أحاديث سماعية متواترة ثم نسجت نسيجاً واحداً في قصة واحدة، كما تنسج الخيوط المختلفة في قطعة واحدة من القماش)، تأثر اليهودية، ص ٣٤٠.

ج ـ المصدر التثنوي:

ويرمز لهذا المصدر بالحرف (D) (نسبة إلىٰ عبارة Deuteronomy) أي التثنية، وقد ألف وأعلن العثور عليه في عهد الملك يوشيا (ملك يهوذا) في القرن السابع ق.م؛ أي حوالي ٦٢٠ ق.م، وقيل إنه ينتمي إلىٰ القرن الثامن قبل الميلاد[١]، ويمتاز بلهجته الخطابية التي يدعو فيها اليهود إلىٰ اتباع الشريعة وتطبيق العهد[٢].

يقول د. حسن ظاظا: (وهو في جوهره تشريعي بحت، صادر عن وسط مثقف لا يلقي بالاً إلىٰ القصص الشعبي؛ بقدر ما يهدف إلىٰ التوجيه والتعليم والتطوير عن طريق سن القوانين)[٣].

د ـ المصدر الكهنوتي:

ويرمز له بالحرف (P) وهو الحرف الأول من (Priestly) (الكهنوتي)، وهو عبارة عن حواش أو فصول أضافها الكهنة إلىٰ نص التوراة، وهذا المصدر ينتمي إلىٰ عصر النفي، أو ما بعد النفي أي القرن السادس قبل الميلاد.

وقيل إنه يرجع إلىٰ القرن الخامس قبل الميلاد، وإلىٰ النصف الأخير منه علىٰ التحقيق. والرأي الغالب أن هذا المصدر كوّن الجزء الأكبر من(سفر الشريعة) الذي أذاعه عزرا[٤].

---

(١) الحضارات السامية القديمة، ص ١٥٧، وهوامشه: ص ٣٣٦، ودراسة الكتب المقدسة، ص ٣٢، والفكر الديني اليهودي، ص ٢٧، والتوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٥.

(٢) الكتب السماوية وشروط صحتها، ص ٢٣١، والتوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٥، وفلسطين أرض الرسالات الإلهية، ص ١٣٢.

يقول د. البار: ويتميز نص التثنية بالإنشاء الخطابي: (اسمع يا إسرائيل)، (وأرض تدر لبناً وعسلاً)، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص ١٣٥.

(٣) الفكر الديني اليهودي، ص٢٧، د. حسن ظاظا.

(٤) قصة الحضارة، الجزء الثاني، المجلد الأول، ص ٣٦٧ـ٣٦٨، والحضارات السامية القديمة، ص ١٥٧، وهوامشه: ص ٣٣٦، ودراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص٣٢، والفكر الديني اليهودي، ص ٢٧ـ٢٨.

ويمتاز هذا المصدر بإعطاء التعليمات عن الطقوس الدينية، وكيفية تطبيق تعاليم الدين. ولغته جافة، ولعل ذلك عائد إلى المواضيع التي يتطرق إليها مثل تحديد الأصول، والأنساب.. ونحو ذلك. وهو يستعمل عبارة (إلوهيم) للإشارة إلى الرب وليس (يهوه)(١).

ومن خلال التواريخ المذكورة للمصادر الأربعة؛ يتضح لنا أن تحرير نص الأسفار الخمسة يمتد على ثلاثة قرون بأقل تقدير(٢).

وبهذا يتضح تكوُّن كتاب أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة مختلفة، جَمَعَها، بشكل يقل أو يزيد حذفاً، محررون، وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطوراً غيَّروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة؛ تاركين للعين أموراً غير معقولة، وأخرى متنافرة؛ كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعي عن المصادر(٣).

ويعطي كتاب أسفار موسى الخمسة، على مستوى نقد النصوص، أكثر الأمثلة وضوحاً على التعديلات التي قام بها بشر في فترات مختلفة من تاريخ الشعب اليهودي، كما يعطي أمثلة جلية على تعديلات التراث الشفوي والنصوص التي تلقتها الأجيال السابقة(٤).

٩ ـ لذلك انصرف بعض العلماء لنقد التوراة، وبيان أنها ليست توراة موسى عليه السلام، من خلال النظر إلى النصوص نفسها؛ من حيث كذبها وتناقضها وافتراءاتها على أنبياء الله، بل وصف الله بأوصاف لا تليق به ـ سبحانه وتعالى ـ(٥).

---

(١) الكتب السماوية وشروط صحتها، ص ٢٣١، والتوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٤ ـ ١٥.

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ٣٢، د. موريس بوكاي.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) ومن ذلك نفي هذه النصوص القدرة الإلهية، تكوين (٢ : ٢)، وخروج (٣١ : ١٧)، ونفي صفة =

ولهذا يقول الإمام ابن القيم: (وهذا يدل على أن الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم رجل جاهل بصفات الرب تعالى، وما ينبغي له، وما لا يجوز عليه، فلذلك نسب إلى الرب ـ تعالى ـ ما يتقدس ويتنزه عنه.

وبالجملة؛ فنحن وكل عاقل يقطع ببراءة التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى ـ عليه السلام ـ من هذه الأكاذيب والمستحيلات والترهات)[1].

١٠ ـ وقد نقد نصوص التوراة الحالية كثير من الباحثين اليهود أنفسهم، وللزيادة في توضيح هذه المسألة؛ نختار منهم اثنين:

١ ـ ابن عزرا[2]:

فقد برهن أن موسى ـ عليه السلام ـ ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل إن

= العلم الإلهي، تكوين (٣: ١ ـ ١١)، ونسبة البنوة إلى الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، تكوين(٦: ١ ـ ٢)، إلى غير ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ومن تجني نصوص هذه التوراة على الأنبياء: رميهم بالعصيان بل وبالكفر، انظر عن موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ: عدد (٢٠: ١٢)، وعدد (٢٧: ١٢ ـ ١٤)، ونسبتهم الزنا إلى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ: تكوين(١٩: ٣ ـ ٣٨). وغيرها، انظر في ذلك: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١ / ٢١٠)، فصل في مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود (التوراة)، للإمام ابن حزم، تحقيق د. محمد نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ٤١٦ ـ ٤٢٢، للإمام ابن القيم، تحقيق د. محمد أحمد الحاج، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، الباب الثاني، من ص ٢٤٢ إلى نهايته، والباب الثالث، من ص ٤٠٨ إلى نهايته، د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى قسم العقيدة ـ بالآلة الكاتبة.

(١) هداية الحيارى، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢، للإمام ابن القيم، تحقيق د. محمد أحمد الحاج.

(٢) ابن عزرا: إبراهام بن عزرا (١٠٨٩ ـ ١١٦٤م)، من فحول شعراء العبرية، صاحب فلسفة أفلاطونية تنتشر في تفسيراته للتوراة، ويحمل ابن عزرا بشدة على الأخطاء التاريخية في أسفار التوراة الخمسة، وكان سبينوزا من المتأثرين بنقده. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص ٣٣ ـ ٣٤، د. عبد المنعم الحفني.

مؤلفها شخص آخر، عاش بعده بزمن طويل، وأن موسىٰ ـ عليه السلام ـ كتب سفراً مختلفاً، وذلك لأمور:

أ ـ أن موسىٰ ـ عليه السلام ـ لم يكتب مقدمة التثنية؛ لأنه لم يعبر نهر الأردن.

ب ـ نقش سفر موسىٰ ـ عليه السلام ـ كله بوضوح تام علىٰ حافة مذبح واحد، يتكون من اثني عشر لوحاً، وينتج عن ذلك أن سفر موسىٰ ـ عليه السلام ـ كان في حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة.

ج ـ ورد في التثنية: (وكتب موسىٰ هذه التوراة)، ويستحيل أن يكون موسىٰ قد قال ذلك، بل لا بد أن يكون قائلها كاتباً آخر يروي أقوال موسىٰ وأعماله.

د ـ ورد في التكوين: (والكنعانيون حينئذ في الأرض) عندما كان يقص الراوي رحلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في بلاد الكنعانيين. وهذا يدل بوضوح علىٰ أن الأمر لم يعد كذلك عندما كان يكتب، فلا بد أن هذه الكلمات قد كُتبت بعد موت موسىٰ عليه السلام، وبعد أن طُرد الكنعانيون ولم يعودوا يشغلون هذه المناطق؛ لأن الكنعانيين في زمان موسىٰ ـ عليه السلام ـ كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض.

هـ ـ جاء في التكوين أن جبل موريا سُمي جبل الله، ولم يحمل هذا الاسم إلا بعد الشروع في بناء المعبد، وهذا كان متأخراً عن موسىٰ ـ عليه السلام ـ في الزمان، وغير ذلك من الملاحظات(١).

٢ ـ سبينوزا(٢):

فقد ألف كتاباً أسماه (البحث اللاهوتي السياسي) أو (رسالة في اللاهوت

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨ سبينوزا، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي.

(٢) سبينوزا: (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م)، أعظم من تصدىٰ لقومه بالنقد في أشهر كتبه (البحث اللاهوتي السياسي) سنة (١٦٧٠م)، وهو كتاب: رسالة في اللاهوت والسياسة. مبيناً تهافت أسطورة =

والسياسة)، ووضع فيه نقداً شاملاً للعهد القديم على أنه كتاب أدبي قومي، ونقده نقداً تاريخياً وفلسفياً، فعرض للغته ونصه وزمن تأليفه ومستوى مؤلفيه[١].

وكان من نقده لأسفار موسى الخمسة ما يأتي:

أ- لا يتحدث الكتاب عن موسى -عليه السلام- بضمير الغائب فحسب، وإنما يعطي عنه شهادات عديدة؛ مثل: تحدث الله مع موسى. كان الله مع موسى وجهاً لوجه. وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس. فسخط موسى على وكلاء الجيش. موسى رجل الله. لقد مات موسى خادم الله. ولم يقم من بعدُ نبي في إسرائيل كموسى.

كل ذلك -يعني طريقة الكلام والشواهد ومجموع نصوص القصة كلها- يدعو إلى الاعتقاد بأن موسى (عليه السلام) لم يكتب هذه الأسفار بل كتبها شخص آخر.

ب- أن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى ودفنه، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين، بل تروي أيضاً أنه فاق جميع الأنبياء إذا قورن بالأنبياء الذين عاشوا بعده، (ولم يقم من بعدُ نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه)، وهذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة، ولا سيما أن المؤرخ قد استعمل صيغة الفعل الماضي: (ولم يقم من بعدُ نبي في إسرائيل)، ويقول عن القبر: (ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا).

= الشعب المختار، وحمل سبينوزا على التوراة؛ محللاً أسفارها، ومبيناً نصيب كل منها من الصحة التاريخية، ومؤكداً أن الذي كتبها إنسان آخر عاش بعد موسى بمدة طويلة. وكان سبينوزا مطلعاً على ديانته، عارفاً بوجوه التقصير فيها، والواقع أنه نشأ في بيت ديني، فأبواه رغم جنسيتهما الهولندية؛ من يهود المارانو البرتغاليين. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص ١١٩ - ١٢٥.

(١) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٣٣٣، د. فتحي بن محمد الزغبي.

ج- يجب أن نذكر أيضاً أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء التي عرفت بها في زمن موسىٰ عليه السلام، بل أطلقت عليها أسماء عرفت بعده بوقت طويل؛ إذ يقال: إن إبراهيم تابع أعداءه حتىٰ «دان». وهو اسم لم تأخذه المدينة التي تحمله إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة.

د- تمتد الروايات في بعض الأحيان إلىٰ ما بعد موت موسىٰ عليه السلام، فيروي في الخروج: أن بني إسرائيل أكلوا المن أربعين يوماً حتىٰ وصلوا إلىٰ أرض مسكونة علىٰ حدود بلاد كنعان؛ أي حتىٰ اللحظة التي يتحدث عنها سفر يشوع. وكذلك جاء في سفر التكوين: (وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك ملك في بني إسرائيل)، ولا شك أن المؤرخ يتحدث عن الملوك الذين كانوا يحكمون الأدوميين قبل أن يُخضعهم داود لحكمه.

ثم قال: (من هذه الملاحظات كلها يبدو واضحاً وضوح النهار أن موسىٰ -عليه السلام- لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص عاش بعده بقرون عديدَة)[١].

وأنه لما كانت توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسىٰ -عليه السلام- كاتبها، فإن أحداً لا يستطيع أن يؤكد، عن حق، أن موسىٰ -عليه السلام- هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل علىٰ الضد؛ يُكذّب العقل هذه النسبة[٢].

وإذا كان هذا هو حال التوراة المنسوبة لأهم أنبياء بني إسرائيل، فكيف يكون حال بقية كُتب العهد القديم؟ لا شك أن حالها أسوأ، وافتراءاتها أكثر، وتجديفها بالله أكبر، وخرافتها أشنع من التوراة[٣].

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٢٦٩-٢٧١، سبينوزا، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٣.
(٣) التوراة، ص ٣٣، د. بدران محمد بدران.

المبحث الثاني
إثبات وقوع التبديل والتحريف في باقي أسفار العهد القديم

بعد أن درست حال القسم الأول والأهم من أقسام العهد القديم، وهو(توراة موسى الخمسة)، وتبين ما فيها من التحريف والتبديل، حتى انتفت عنها القدسية - عند الباحثين - بذلك، وتبين بطلان نسبتها إلى موسى عليه السلام؛ سأتكلم الآن - إن شاء الله - عن بقية أسفار العهد القديم.

وما قيل عن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام؛ يصح أن يقال عن الأسفار الباقية من العهد القديم، من حيث الجهل بتاريخها وهوية كتّابها، وأنها كتبت بعد الأحداث التي ذكرت فيها بمدد ما، وأنها كتبت بأقلام عديدة في أوقات مختلفة، وأن فيها تناقضاً وتغايراً وتطابقاً أيضاً، وأن كتّابها استقوا من مصادر مختلفة بينها بعض التطابق والتخالف معاً[(١)].

ومع أن الدراسة التفصيلية لبقية أسفار العهد القديم - كل سفر على حدة - ذات أهمية؛ فإنها تحتاج إلى أوراق عديدة، وإمكانات متنوعة لا أحتاج إليها في موضوع بحثي. ولذلك رأيت من الفائدة لهذا البحث، واغتناماً للجهد والوقت، أن أسلط الضوء على نقد الأسفار التي تضمنت نصوص الوعد، مع ذكر بعض الأسفار التي لها علاقة مع الأسفار الماضية.

(وإن ما يتضح لنا من استخلاص آراء الباحثين في تاريخ هذه الأسفار يغنينا عن البحث التفصيلي)[(٢)].

---

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٢١ - ٢٢، محمد عزة دروزة، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، (١ / ٧٦)، د. عبد الشكور محمد أمان العروسي.

(٢) بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، (١ / ٧٦)، د. عبد الشكور محمد أمان العروسي.

سفر يشوع:

يتصل سفر يشوع اتصالاً وثيقاً بالتوراة، ويكوّن معها وحدة مؤتلفة؛ مما جعل كثيراً من العلماء يعدّون أسفار التوراة ستة (هكساتيوس) لا خمسة (بنتاتيوس). وفيه نجد سائر المصادر المختلفة ـ التي أشرت إليها من قبل ـ، وقد مزجت جميعها في هذا السفر مزجاً يجعل من العسير على الدارس تحليله إلى عناصره الأولية[١].

وهذا السفر لم يكتبه يشوع عليه السلام، بل من وضع شخص آخر اختُلف في تحديده؛ فقيل فنحاس، وقيل اليعازار، وقيل صموئيل، وقيل إرميا[٢].

يقول الشيخ رحمت الله: (ووقوع هذا الاختلاف الفاحش دليل كامل على عدم إسناد هذا الكتاب عندهم، وعلى أن كل قائل منهم يقول بمجرد الظنّ ـ رجماً بالغيب بملاحظة بعض القرائن التي ظهرت له ـ : إنّ مصنفه فلان. وهذا الظن هو السند عندهم)[٣].

واختُلف أيضاً في الزمن الذي كُتب فيه: فقيل إنه كتب بعد السبي البابلي، وقيل في القرن الخامس ق. م، على الرغم من وجود بعض القطع القديمة، والتي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وقيل إنه كتب قبل السنة السابعة من جلوس داود ـ عليه السلام ـ على العرش[٤].

---

(١) التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد حسنين علي، ص٦٣.
يقول حسن حنفي: (وتظهر الدراسات الحديثة لسفر يشوع أنه ليس نصاً واحداً بل مجموعة من الكتابات المتعددة، حُررت على فترات متباعدة، وقد سادت نظرية المصادر الأربعة (PDJE) على سفر يشوع كما سادت على الأسفار الخمسة). مقدمة كتاب سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص٢٥. وانظر: من ص ١٨٧ من هذا الكتاب عن هذه المصادر الأربعة.

(٢) إظهار الحق، رحمت الله الهندي، (١ / ١٢٩).

(٣) المرجع السابق، (١ / ١٣٠).

(٤) المرجع السابق، (١ / ١٣٠)، والتوراة الهيروغليفية، ص٦٤، وتأثر اليهودية، ص ٣٥٨.

سفر القضاة:

فيه اختلاف عظيم، لم يُعلم مصنِّفه ولا زمان تصنيفه، فتعددت الأقوال في كاتب هذا السفر حتى تعذر القطع بكاتبه، فقيل إن كاتبه صموئيل، وقيل فنحاس وقيل حزقيا، وقيل إرميا، وقيل حزقيال، وقيل بل إنه مدون بالإلهام، وقيل بل عزرا هو الذي جمعه مما كتب القضاة في كل زمان ولايته[١].

يقول سبينوزا: (أما سفر القضاة فلا أظن أن شخصاً سليم العقل يعتقد أن القضاة أنفسهم قد كتبوه؛ لأن نهاية القصة تبين بوضوح أن مؤرخاً واحداً هو الذي كتبه كله)[٢].

يقول رحمت الله: (ولو كان عندهم سند لما وقعوا في هذا الاختلاف الفاحش)[٣].

واختُلف في زمان تصنيفه، فقيل أواخر القرن السابع ق.م، وقيل عام ٥٥٠ ق.م، وقيل إنه كتب خلال الأيام الأولى في نظام الحكم الملكي، أيام شاول أو بداية حكم داود عليه السلام، واختصر بعضهم الخلاف بقوله: تم جمعه ما بين سنة ٦٠٠ـ ٤٠٠ ق.م[٤].

(وفيه كثير من الخيال والمبالغة والتناقض)[٥].

سفر راعوث:

يخلو هذا السفر من أي إشارة إلى أي نبي، فكاتبه غير معروف، وقيل إنه

---

(١) إظهار الحق، (١/ ١٣٤)، والكتاب المقدس في الميزان عبد السلام محمد، ص ٩٥، والتوراة، د. بدران محمد بدران، ص٣٧.

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٢٧٥.

(٣) إظهار الحق، (١ / ١٣٤).

(٤) المدخل إلى العهد القديم، صموئيل يوسف، ص ٢٠٥، ٢٠٧، وتأثر اليهودية، د. فتحي الزغبي، ص ٣٥٩، مصر والشرق الأدنى القديم، د. نجيب ميخائيل إبراهيم، (٣/ ٣٢٨).

(٥) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، ص١٢٢.

من وضع صموئيل؛ وقيل حزقيا، وقيل عزرا. والراجح أنه عبارة عن (قصة بيت) أي قصة غير معتبرة[١].

سفرا صموئيل:

(وإطلاق اسم صموئيل على السفرين لا يعني أنه مؤلفهما كما يذكر التلمود، بل إشارة إلى اهتمام السفرين بشخصيته، وذلك بدليل ذكر خبر وفاة صموئيل في الأول منهما[٢]. هذا إلى جانب أن السفرين يرجعان إلى مصادر كثيرة متعددة متفاوتة الموضوع والزمن، ولا وحدة تجمع بين محتوياتهما حتى يستطيع الباحث أن يقرر أنهما لمؤلف بعينه. ويرجح أنه تم وضعهما ما بين القرنين الثامن والسادس ق. م)[٣]. وكاتبهما مجهول، ويُعتقد أنهما كتبا بعد موت صموئيل بعدة قرون[٤].

واسمهما في الكاثوليكية (سفرا الملوك الأول والثاني).

سفرا الملوك:

قيل إن كاتبهما إرميا. ولكن هذا زعم لا يستند إلى دليل، وخاصة أن السفر الثاني(الرابع في الكاثوليكية) تمتد حوادثه إلى ما بعد عصر إرميا؛ فلا يعقل أن يكون هو كاتبه[٥]. (وكاتبهما مجهول حسب إقرار محرري طبعة ١٩٧١م من كتابهم المقدس)[٦].

---

(١) التحريف في التوراة، د. محمد الخولي، ص ١٠٥، وإظهار الحق، (١/ ١٣٥)، والكتاب المقدس في الميزان، ص ٩٥.

(٢) صموئيل الأول (٢٥ : ١).

(٣) التوراة الهيروغليفية، ص ٦٨ ، ٧٨.

(٤) التحريف في التوراة، ص١٠٧ ، والكتاب المقدس في الميزان، ص٩٥، ورسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٢٧٥.

(٥) الكتاب المقدس، عايد هنري، ص٤٩، وتأثر اليهودية، ص٣٥٩، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية، (١/ ٧٦).

(٦) التحريف في التوراة، د. محمد علي الخولي، ص ١٢٥ ، ١٣٣.

وقيل إنهما عبارة عن مجموعة من المدونات التاريخية جُمعت ونُسقت معاً، وإن كاتبهما استقى موادهما من الدواوين الملكية، ومن خزائن الهيكل، ومن سير الأنبياء، واعتمد على كثير من الروايات الشفوية والحكايات الشعبية(١).

ولهما صيغتان مختلفتان، وضعت الأولى في أواخر القرن السابع، قيل ما بين عامي (٦٢٢-٦٠٩) ق.م. أما الصيغة الثانية وهي الحاضرة؛ فقيل إنها ما بين عامي (٥٦١-٥٣٨) ق.م، أو حوالي عام ٥٥٠ ق.م(٢).

يقول موريس بوكاي: (أما كتاب صمويل وكتب الملوك؛ فهي أساساً مجموعات من السير قيمتها التاريخية مشكوك فيها، تحوي أخطاء متعددة، بحيث تختلط الخطوط التاريخية بالأساطير)(٣).

وحصل دمج بين سفري صموئيل وسفري الملوك؛ حتى أصبح سفرا الملوك في الكاثوليكية أربعة أسفار، ولا يوجد فيها ذكر سفري صموئيل؛ لأنه (في الأصل كان سفرا صموئيل سفراً واحداً كُتب باليونانية على ورقتين مختلفتين، ثم فرضت هذه القسمة نفسها على التوراة العبرية في القرن الخامس عشر. وقد أضيف السفران في الطبعة اليونانية إلى سفر الملوك الذي انقسم بدوره إلى مجموعتين، وأصبح اسم الأسفار الأربعة سفر الملوك، وقد اتبعت الفوجاتا (الترجمة اللاتينية) هذه التسمية، واعتبرت سفري صموئيل: سفري الملوك الأول والثاني، وسفري الملوك: سفري الملوك الثالث والرابع)(٤).

ويذكر سبينوزا أنه: (إذا نظرنا إلى تسلسل هذه الأسفار كلها - أسفار موسى

---

(١) تاريخ شعب العهد القديم الأب ديلي، ص٢٠٦، وتأثر اليهودية، د. الزغبي، ص ٣٦٠.
(٢) التوراة الهيروغليفية، ص ٨١، وتاريخ شعب العهد القديم، ص ٢٠٦، وتأثر اليهودية، ص٣٦٠، ٣٦١.
(٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص٣٧.
(٤) مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة د. حسن حنفي، ص ٢٦.

الخمسة مع أسفار يشوع والقضاة وراعوث وسفري صموئيل وسفري الملوك- وإلى محتواها، رأينا أن الذي كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروي تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة)[1].

سفرا أخبار الأيام:

(كما هو الحال مع صموئيل والملوك؛ كذلك الأمر مع أخبار الأيام أو حوادث الأيام؛ فقد كانت في الأصل سفراً واحداً)[2].

و(كاتبهما مجهول حسب إقرار محرري طبعة ١٩٧١م من كتابهم المقدس)[3].

وقيل إنه عزرا[4]. لكن سبينوزا يؤكد أنهما قد كتبا بعد عزرا بمدة طويلة، وربما بعد إعادة بناء المعبد في عصر المكابيين بمدة طويلة، وأنه لا يعلم شيئاً يقينياً عن مؤلفيهما الحقيقيين، وعن السلطة التي يجب الاعتراف بها لهما، وعن فائدتهما، والعقيدة التي يعرضانها، ويعجب كيف دخلت هذه الأسفار في عداد الكتب المقدسة[5]!

(وقد استقى كاتب أو كتّاب سفر الأخبار معلوماته من مصادر ووثائق قديمة، ومن بعض المأثورات الشفوية، ولكنه لم ينقل منها مجرد نقل، بل كان يغير ويبدل ويعدل ويضيف، ليصل إلى هدف معين كمؤرخ كهنوتي، يخدم وجهة نظر الكهنة)[6].

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة، د. حسن حنفي، ص ٢٧٦.
(٢) التوراة الهيروغليفية، ص ١٨٩.
(٣) التحريف في التوراة، ص ١٤١.
(٤) المدخل إلى العهد القديم، ص ٢٥٧، والتوراة الهيروغليفية، ص ١٨٩، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، (١ / ٨٨).
(٥) رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة، د. حسن حنفي، ص٣٠٧، ٣٠٩.
(٦) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. الزغبي، ص٣٧١.

وزمن تأليفهما قيل إنه في القرن الرابع قبل الميلاد، وقيل حوالي سنة ٣٢٥ ق. م[١].

سفرا عزرا ونحميا:

يكوّن السفران سفراً واحداً كملحق لسفر أخبار الأيام[٢].

(ليس لدينا ما يدلنا على كاتب هذين السفرين، ولكن من المسلّم به عادة أن كاتباً واحداً أنشأ وألف سفري الأخبار، وأتبعهما بسفري عزرا ونحميا)[٣].

ويرجح سبينوزا أن كاتب سفر عزرا ونحميا وأستير ودانيال مؤرخ واحد، وأنه استمد معلوماته من سجلات الأحبار، ووثائق القضاة والأمراء الذين كانوا يحتفظون فيها بأخبارهم كما يفعل الملوك، (أما من يكون هذا المؤرخ؟ فإني لا أستطيع حتى مجرد التخمين به)[٤].

(إلا أن الحقيقة أن جميع المصادر التي اعتمد عليها المؤلف لا تخلو من الأخطاء)[٥].

أما تأريخ تحرير السفرين؛ فتحديده من الأمور العسيرة[٦]. إلا أنه قد يكون وضعهما في صورتهما الأخيرة تم في منتصف القرن الرابع ق. م أو بعد ذلك[٧].

ويقول علماء الكتاب المقدس إن السفر لم يكمل إلا بعد زمن الإسكندر الأكبر (توفي سنة ٣٢٣ ق. م)[٨]، ولذلك يكاد يكون مؤكداً أن السفر انتهى إلينا

---

(١) التوراة الهيروغليفية، ص١٩١، وتأثر اليهودية، ص٣٧٢.
(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة د. حسن حنفي، ص٣٤.
(٣) الكتاب المقدس في الميزان، ص ١٠٠.
(٤) رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة د. حسن حنفي، ص٣١٦-٣١٩.
(٥) التوراة الهيروغليفية، ص١٨٧.
(٦) الكتاب المقدس في الميزان، ص ١٠٠.
(٧) التوراة الهيروغليفية، ص١٨٧.
(٨) عن الإسكندر الأكبر، انظر: ص ٤٩ من هذا الكتاب.

في وضعه الحالي حوالي سنة ٣٠٠ ق. م[١].

سفر استير:

(وهي قصة من قصص العهد القديم تتجلى فيها عبقرية المؤلف في استخدام العبارات القوية والمحسنات اللفظية، إلى حرصه على الاستيلاء على حواس القارئ ومشاعره؛ فلا تفلت منه عبارة، ولا تغيب عنه فكرة)[٢].

اختلفت الأقوال في تحديد من هو مؤلف هذا السفر، فقيل إنه عزرا، وقيل إنه كاهن يدعى يهوياقين، وقيل إنه موردخاي. والذي عليه أكثر الباحثين أن مؤلفه مجهول[٣]. وكما مر ذكره؛ فإن سبينوزا يؤكد أن أسفار استير وعزرا ونحميا ودانيال مؤلفهم واحد.

أما فيما يتعلق بتاريخ كتابته فليس هناك جزم بتاريخ معين، ولكن الراجح وعلى ضوء لغته وأسلوبه؛ يظهر أنه كتب بعد زمن الأحداث التي يسوقها بزمن طويل جداً[٤].

قيل إنه كتب في العصر الإغريقي حوالي عام ٣٠٠ ق. م، وقيل إنه لم يتم تأليفه قبل القرن الثالث ق. م، وقيل إنه كتب في أوائل القرن الثاني ق. م، ويحدده البعض بحوالي عام ١٣٠ ق. م أثناء شدائد اليهود في العصر المكابي؛ لأن قصة هذا السفر تعكس وجهة نظر المكابيين[٥].

---

(١) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي محمد الزغبي، ص ٣٧١.

(٢) التوراة الهيروغليفية، ص١٧٠.

(٣) الكتاب المقدس في الميزان، ص ١٠١، وإظهار الحق، (١ / ١٤٧)، وتأثر اليهودية، ص٦٢٥، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، (١ / ٨٨)، والتوراة الهيروغليفية، ص١٧٠، وتحريف التوراة، ص ١٥٩. ومقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٣٥.

(٤) تأثر اليهودية، ص ٦٢٦.

(٥) التوراة الهيروغليفية، ص١٧٤، وتاريخ شعب العهد القديم، ص ٣٩٢، ومقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٣٥، وتأثر اليهودية، ص ٦٢٦.

سفر المزامير:

يجب أن نفرق دائماً بين المزامير المذكورة في أسفار العهد القديم، والزبور الذي هو الكتاب السماوي الذي آتاه الله لداود ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ [الإسراء: ٥٥].

يقول د. الزغبي: (كثير منها غير منسوبة إلىٰ داود عليه السلام، بل إن العلماء يقررون أن ثلثي المزامير، وعددها (مائة مزمور)، تنسب إلىٰ مؤلفين مختلفين، وأن الثلث الباقي، وعدده (خمسون مزموراً)، كتّابه مجهولون)(١).

يقول د. فؤاد حسنين: (أما نسبة هذه المزامير لأفراد بعينهم؛ فيجب أن لا نقبله دون بحث أو تحقيق، فالترجمة السبعينية مثلاً تذهب إلىٰ نسبة أربعة ترانيم إلىٰ النبيّين حجي وزكريا. كما أضافت إلىٰ داود أكثر من اثني عشر مزموراً؛ من بينها ما يتصل بالأسر، ومنها ما يتصل بإعادة بناء المعبد. والنتيجة أن هذه المزامير يجب أن لا نحكم عليها أو ننسبها إلىٰ ما جاءنا فيها، وذلك أن هذه النسبة ثبت بطلانها)(٢)، وأن كثيراً منها يرجع إلىٰ أصول بابلية وآشورية ومصرية وغيرها، فهي صورة صادقة للآثار البعيدة التي اقتبسها العبريون مستقرين أو مسبيين من مصر أولاً، وبابل وآشور ثانياً(٣).

سفر إشعياء:

إن هذا السفر الذي يحمل اسم إشعياء وينسب إليه؛ ليس كله من كتابة إشعياء، بل هناك مجهولون أضافوا إليه ما شاؤوا، وأكثر الباحثين علىٰ أن عدد

---

(١) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص٤٤٣. وأيضاً: بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، (١ / ٨٧)، والفكر الديني اليهودي، ص٤٩.

(٢) التوراة الهيروغليفية، ص١٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٩، وقد بحث الدكتور فتحي الزغبي مسألة مظاهر تأثير الأديان الوثنية علىٰ بعض أسفار العهد القديم، ومنها سفر المزامير، في كتابه تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص٤٤١.

هؤلاء الكتّاب ثلاثة، أطلق عليهم: إشعياء الأول (من الإصحاح ١ ـ ٣٩)، وإشعياء الثاني (من الإصحاح ٤٠ ـ ٥٥)، وإشعياء الثالث (من الإصحاح ٥٦ ـ ٦٦)، وأنه تعرض لكثير من التحوير على مر العصور، وأنه جُمع من مصادر متعددة ووثائق متباينة[(١)].

ولذلك فمن الصعب أن يُجزم بقول فاصل عن تاريخ كتابة هذا السفر، وهناك من يرجح أنه كتب بعد السبي وقبل مجيء عزرا إلى أورشليم؛ أي ما بين ٥٠٠ ـ ٤٠٠ ق. م[(٢)].

وقيل إن إشعياء الأول تاريخ كتابته حوالي سنة ٧٤٠ ق. م، وإشعياء الثاني تاريخه حوالي ٥٤٠ ق. م، وإشعياء الثالث يرجع إلى القرن الخامس ق. م[(٣)].

سفر إرمياء:

هذا السفر ليس من وضع إرميا، ولا من تأليفه، بل جمعه وكتبه تلميذه باروخ بن نيريا[(٤)].

وهو عبارة عن مجموعة من الأخبار المختلفة امتزجت مع بعضها من دون ترتيب أو مراعاة للتواريخ[(٥)].

وإن بعض إصحاحات هذا السفر مستمدة من سفر باروخ، وذلك يدل على أنه لم يكن هناك فصل حاد بين أسفار الأنبياء، كما يدل على وجود مصادر

---

(١) تحريف التوراة، ص ١٧٥، وتأثر اليهودية، ص ٣٦١، والفكر الديني اليهودي، ص ٤٤، والتوراة الهيروغليفية، ص٨٧ ـ ٩٤، وتاريخ شعب العهد القديم، ص ٢٦٠، وإظهار الحق، (١/ ١٥٠)، ومقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة، ص٣٠، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية، (١/ ٨٤).

(٢) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي الزغبي، ص ٣٦٢.

(٣) الفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا، ص ٤٤.

(٤) التوراة الهيروغليفية، ص ٩٩، وتأثر اليهودية، ص٣٦٢.

(٥) رسالة في اللاهوت والسياسة، ص٣١١.

أخرىٰ تشمل روايات توضع في هذا السفر أو ذاك، وهو ما يفسر تكرار النصوص في الأسفار المختلفة.

وأكبر الظن أن باروخ هذا، أو مؤلفاً غيره فيما بعد، هو الذي أضاف الفصول التاريخية عن حياة إرمياء، وعن الحوادث السياسية التي جرت في ذلك العصر[١].

سفر باروخ:

لقد مر الكلام عن أسفار الأبوكريفا [٢]، وأنها أسفار غير قانونية يعدُّها البروتستانت منحولة، وأن بعض هذه الأسفار غير مقدس وغير معتبر في نظر أحبار اليهود. ومن أسفار الأبوكريفا هذا السفر (باروخ أو باروك)، وقد اعتمدته الكنيسة الكاثوليكية دون البروتستانتية.

ويُعَدُّ سفر باروخ ملحقاً بسفر إرمياء، ويذهب كثير من النقاد إلىٰ أنه سفر منتحل، خاصة أن كثيراً من الأسفار المقدسة كانت تنسب إلىٰ باروخ باسم مستعار[٣].

سفر يشوع بن سيراخ:

وهذا السفر أيضاً من أسفار الأبوكريفا، وهو قانوني لدىٰ الكاثوليك، جرىٰ تأليفه حوالي عام ١٨٠ ق.م. وهو مرفوض من اليهود[٤].

سفر حزقيال:

اختلف المؤرخون في شخصية مؤلف هذا السفر، فقيل إن حزقيال ألف

---

(١) تأثر اليهودية، ص٣٦٢، ٣٦٣، ورسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٣١، ٣١١.

(٢) انظر: ص ٦٤ من هذا الكتاب.

(٣) مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٣١، والتوراة بين الوثنية والتوحيد، سهيل ديب، ص ١١٤.

(٤) التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١١٤.

سدسه فقط، وقيل بل أكثر من شخص اشترك في وضعه على الصيغة الحالية، وهذا واضح من أساليب الكتابة المختلفة فيه. ويجمع النقاد الآن على أن السفر قد دون في مكانين مختلفين وعلى فترتين مختلفتين، وأنه كتب على ثلاث مراحل متفاوتة: فترة المقطوعات المنفصلة، ثم فترة المجموعات المتصلة، ثم فترة السفر[١].

أما تاريخ تدوينه فيصح القول إنه وضع ما بين سنة ٥٩٣ و ٥٧٢ ق. م[٢].

سفر عاموس:

أما هذا السفر فتظهر فيه يد الترتيب والتقسيم، وقد دخله شيء كثير من القديم والحديث، ومن المرجح أنه لم يصلنا في لغة المؤلف وأسلوبه، بل في لغة أخرى وأسلوب آخر[٣].

وقيل إن هذا السفر كُتب بعد السبي البابلي أي في القرن السادس ق. م[٤].

سفر عوبديا:

وهذا الاسم يعني (عبد يهوه)، ولا يعرف عن شخصيته شيء، ولا عن تاريخ كتابته لهذا السفر. وهذا السفر فقير في محتوياته، كما أنه من العسير إدراك ظهوره، وإن كان هناك من يخمن أنه كُتب في القرنين السادس أو الخامس ق. م، وقيل بعد سنة ٥٧٨ ق. م[٥].

سفر زكريا:

ومعنى اسم زكريا (تذكر يهوه)، وكان معاصراً لحجي وهو أحد الكهنة.

---

(١) مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٣٢، وتأثر اليهودية، ص٣٦٣.

(٢) التوراة الهيروغليفية، ص١٠٣، و تأثر اليهودية، ص٣٦٣.

(٣) التوراة الهيروغليفية، ص ١١٢.

(٤) تأثر اليهودية، ص ٣٦٤.

(٥) التوراة الهيروغليفية، ص١١٣، وتأثر اليهودية، ص٣٦٥.

يُنسب هذا السفر إليه، ولكن النقاد يرون أن طريقة كتابة إعلاناته وأسلوبه يدلان على أنه ليس من عمله، ولهذا يُرجح أنه لم يأخذ شكله الحالي إلا بعد الإسكندر الأكبر (٣٢٣ ق. م)(١).

أسفار المكابيين:

تُعَدُّ هذه الأسفار من أسفار الأبوكريفا (غير القانونية).

في المخطوط الإسكندري أن عددها أربعة، ويوجد في الفاتيكاني واحد فقط، ولا تحتوي المخطوطات اللاتينية إلا على الكتابين الأولين(٢)، ولا يعتقد بقدسيتها عند اليهود، ولكنها تمثل بالنسبة لهم كتباً تاريخية مهمة جداً، فهو استمرار لتاريخهم اليهودي، ولذلك فقد اعتبرت مقدسة في بعض فترات التاريخ، وهي تفيض بالحب للشعب اليهودي، وتشيد ببطولة الأسرة المكابية خاصة(٣).

وعلى أهميتها التاريخية عندهم؛ فإنها لم تسلم من التغيير والتبديل، فقد أقحمت عليها في عصور مختلفة بعض المواضيع المتأخرة؛ مما يدل على أنها أعيدت كتابتها مرات عديدة(٤).

وكما اختلف في لغتها الأصلية، هل هي العبرية أو الآرامية أو اليونانية؟ اختلف كذلك في تأريخ تدوينها، فقيل إنها وضعت قبل غزو روما لفلسطين يعني عام ٦٣ ق. م، وقد يكون قبيل نهاية القرن الثاني أو أوائل القرن الأول، وقيل قد يكون في عام ١٣٤ ق. م، بل إن السفر الثاني منها لا يُعلم تاريخ كتابته حتى بالتخمين(٥).

---

(١) المرجعان السابقان، الأول، ص ١٢٥ ـ ١٢٩، والثاني، ص ٣٦٧.
(٢) مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٣٥.
(٣) التوراة الهيروغليفية، ص ١٩٤، والفكر الديني اليهودي، ص ٦٠ ـ ٦١.
(٤) التوراة الهيروغليفية، ص ١٩٦.
(٥) التوراة الهيروغليفية، ص ١٩٤ ـ ١٩٦، والفكر الديني اليهودي، ص ٥٨.

وبعد هذا العرض السريع يتبين ـ كما يقول د. الزغبي ـ أن (نسبة الأسفار إلىٰ أصحابها نسبة خاطئة وغير صحيحة، وأن دعوىٰ هذه النسبة قائمة علىٰ الظن والزعم بلا دليل صحيح، فهؤلاء الذين نسبت إليهم تلك الأسفار لم يكتبوها، وإذا ما كتبوا جزءاً منها فإنه قد حُرف أو زيد عليه أو تم تبديله، فليس هناك أدنىٰ ثقة في تلك النسبة المزعومة، بل إننا وجدنا العلماء والمؤرخين يجهلون تماماً مؤلفي أغلب هذه الأسفار، بل لا يعرفون زمن تأليفها)[1].

يقول سبينوزا: (والواقع أننا نجهل تماماً مؤلفي كثير من هذه الأسفار، أو نجهل الأشخاص الذين كتبوها (إذا كنا نفضل هذا التعبير) أو نشك فيهم، ومن ناحية أخرىٰ لا ندري في أي مناسبة وفي أي زمن كُتبت هذه الأسفار التي نجهل مؤلفيها الحقيقيين، ولا نعلم في أيدي من وقعت، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التي وجد لها عدد من النسخ المتباينة، ولا نعلم أخيراً إن كانت هناك نسخ كثيرة أخرىٰ في مخطوطات من مصدر آخر)[2].

ونقل العقيد أحمد بن عبد الوهاب عن دائرة المعارف الأمريكية قولها: (لقد كُتبت أسفار العهد القديم علىٰ طول الفترة من القرن الحادي عشر ق. م إلىٰ القرن الأول ق. م. وأخذ صورته النهائية في القرن الأول الميلادي، ولم تصلنا أي نسخة بخط المؤلف الأصلي. أما النصوص التي بين أيدينا فقد نقلتها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ، فهي بهذا قد نُسخت مراراً وأعيدت كتابتها باليد، ولقد حدثت أخطاء في عملية النسخ سببها عدم القدرة علىٰ قراءة أحد النصوص قراءة صحيحة، أو العجز عن سماع نطقه نطقاً صحيحاً حين كان يملىٰ علىٰ الكاتب، أو من تعب الكاتب نفسه، أو عجزه عن فهم ما كان يكتبه، أو حتىٰ بسبب إهماله. ولقد كان يحدث أحياناً أن بعض المواد التي كُتبت علىٰ هامش

(١) تأثر اليهودية، ص ٣٧٢.

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٢٥٥.

النص تضاف إليه)[١].

(ولقد نشأت بين اليهود طائفة خصصت نفسها لرعاية هذه الوثائق، عُرفت بالكتبة (السوفريم أو الأسفاريين)، ولم يكن عملهم مقصوراً على النسخ، بل كانوا حفاظاً على الوثائق ومترجمين لها، بل مؤلفين بكل معنى الكلمة. وكان من نتيجة عملهم أن أخذ النص صورته القانونية ليترجم بعد ذلك إلى اللغات الأخرى)[٢].

ويقول د. فؤاد حسنين: (والعهد القديم كما جاءنا لم يتم جمعه بين عشية وضحاها؛ كما يدعي بعض علماء اليهود وعلى رأسهم (إلياس لفيتا) المتوفى عام ١٥٤٩م. وكما أن وضع العهد القديم تطلب زمناً امتد نحو ألف عام؛ كذلك جمعه استدعى قروناً عديدة. والنتيجة المحتومة لامتداد زمن التأليف وطول عصر الجمع: خضوعه لمؤثرات كثيرة عملت فيه زيادة وحذفاً)[٣].

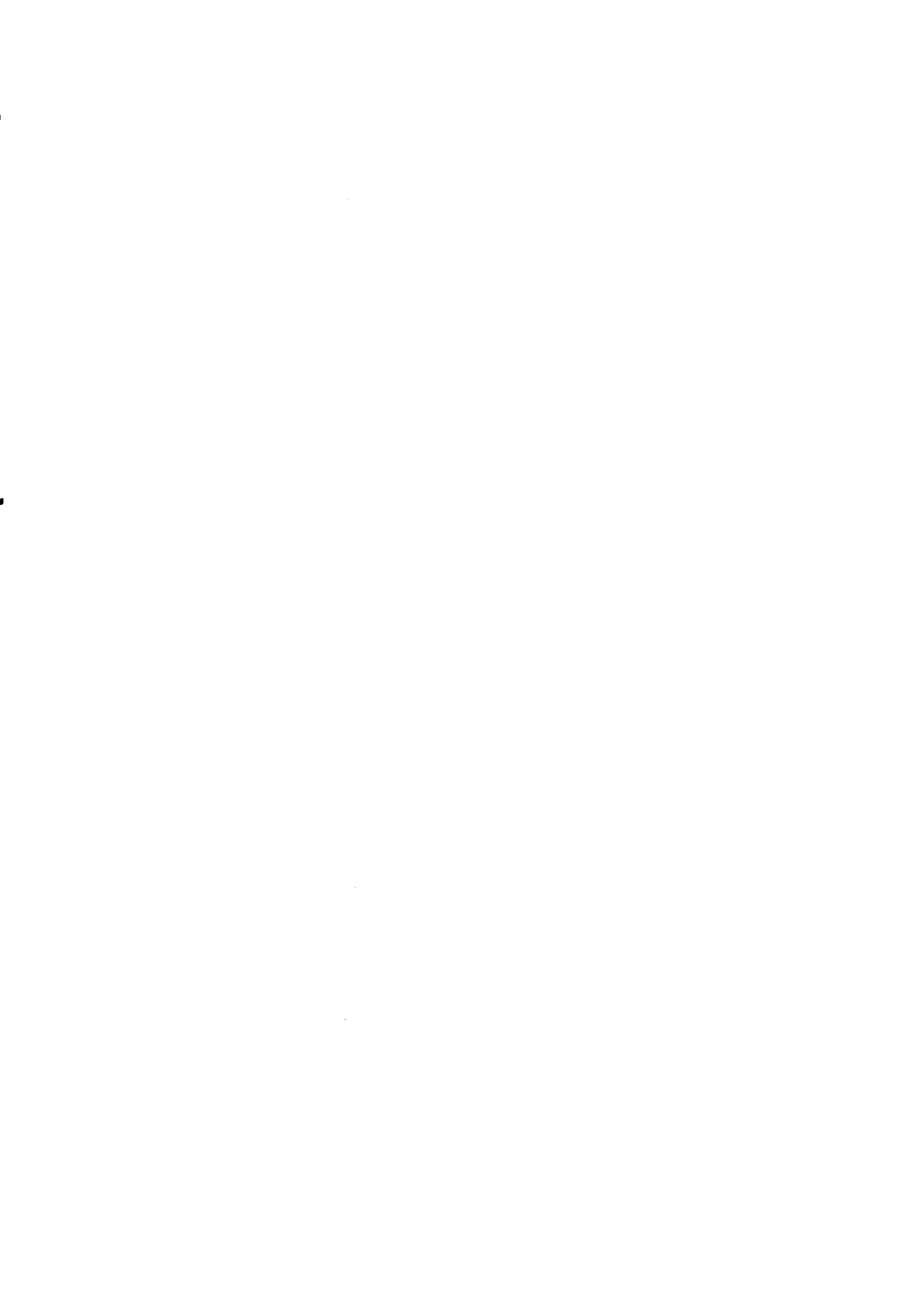
وفي النهاية نصل إلى أن كتاب اليهود المقدس (أسفار العهد القديم) لا يعتمد عليه، وقد انتفت عنه القدسية، وزالت عنه الصبغة السماوية، فلا يُعد من كتب الوحي المقدس؛ حيث إنه لم يصل إلينا لا عن طريق التواتر ولا عن طريق الآحاد، وإنما هو منقطع السند، من كتابة أشخاص مختلف فيهم، بل مجهولين أصحاب اتجاهات مختلفة في عصور مختلفة.

---

(١) فلسطين بين الحقائق والأباطيل، ص ٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) التوراة الهيروغليفية، ص ١٥.





الفصل الثاني

إثبات بطلان هذا الوعد



المبحث الأول
إثبات بطلان هذا الوعد من خلال أسفارهم (الحجة الدينية)

تحرص الحركة الصهيونية على تقديم حجج دينية وتاريخية وغيرها - مع أنها في الوضع الراهن لا تحتاج إلى هذه الحجج -، وتلجأ إليها في معرض حديثها عن أطماعها، والتوكيد على صحة ما تدعيه من الحقوق في فلسطين وما حولها.

فلسطين تلك الأرض التي يعتقد اليهود أن من حقهم إقامة دولة عليها استناداً إلى حججهم الدينية والتاريخية وغيرها.

الحجة الدينية:

تستند الحركة الصهيونية ومن والاها من النصارى (الصهيونية المسيحية) إلى ذريعة أن هناك نصوصاً في كتابهم المقدس - مر معنا ذكر مواقعها منه[١] -؛ تدعي أن اليهود هم الورثة الحقيقيون بل الوحيدون للوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم - عليه السلام - بأن يمتلك أرض فلسطين وما حولها.

يقول هرتزل: (... وإن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين)[٢].

ويقول بن غوريون: (قد لا تكون فلسطين لنا من طريق الحق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني، فهي الأرض التي وعدنا الله، وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل)[٣].

---

(١) انظر: من ص ٩١ من هذا البحث.

(٢) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف، ص٢١.

(٣) عقيدة اليهود في تملك فلسطين، عابد توفيق الهاشمي، ص ٢٩، والمرجع السابق، ص٢١.

يقول ييجال آلون - نائب رئيسة مجلس الوزراء الإسرائيلي - : (جاء اليهود إلى البلاد لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم، الأرض التي وعدها الله لهم ولذراريهم في العهد القديم المبرم قبل آلاف السنين بين الله وإبراهيم)(١).

وتقول جولدا مائير: (وُجد هذا البلد تنفيذاً لوعد الرب ذاته، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية ذلك الوجود)(٢).

ويقول بيجن(٣): (لقد وُعدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها)(٤).

---

(١) إسرائيل في الكتاب المقدس، بقلم مجموعة من أساتذة اللاهوت، ترجمة: حسني خشبة، ص ٩.

(٢) جريدة لوموند الفرنسية ١٥/ ١٠/ ١٩٧١م. نقلاً عن ملف إسرائيل، رجاء جارودي، ص ٨٢.

(٣) مناحيم بيجن (١٩١٣ - ١٩٩٣م): زعيم إرهابي صهيوني، ورئيس وزراء إسرائيل السابق، ولد في برسك في بولندا عام ١٩١٣م، وتخرج من مدرسة الحقوق في جامعة وارسو. انضم عام ١٩٢٩م إلى حركة بيتار اليهودية المحافظة. وصل إلى فلسطين عام ١٩٤٢م جندياً، ثم انضم إلى المنظمة العسكرية القومية اليهودية (أرغون زيفاي ليؤمي) التي اختصر اسمها (أرغون)، ثم أصبح بيجن عام ١٩٤٣م زعيماً لهذه المنظمة. ومنذ ذلك العام (١٩٤٣م) مارس بيجن الإرهاب بأنواعه كافة ضد المسلمين من أهل فلسطين (الجلد بالسياط، وتفجير الأماكن العامة، والإعدامات الجماعية . . . إلخ)، ومن أكبر أعماله الإرهابية مذبحة دير ياسين الرهيبة التي ذهب ضحيتها الأطفال والنساء والشيوخ، ونسف فندق الملك داود. ويعدُّ بيجن من أشهر (الصقور) في إسرائيل ومن مؤيدي (إسرائيل الكبرى)، وهو لا يعترف بوجود الشعب الفلسطيني، ويرى أن في ذلك نسفاً لحق إسرائيل في البقاء، ويرى أن إقامة دولة فلسطينية عبارة عن عمل انتحاري للشعب اليهودي.
انضم بيجن إلى الحكومة اليهودية لأول مرة في مايو ١٩٦٧م عشية حرب يونيو، وفي عام ١٩٧٣م أنشئ تكتل ليكود وأصبح زعيماً له، وتمكن الليكود من الفوز في انتخابات عام ١٩٧٧م، وأصبح بيجن رئيساً لوزراء، واستمر في ذلك المنصب حتى أكتوبر عام ١٩٨٣م.
من أبرز إنجازات بيجن بالنسبة إلى دولته اليهودية (إسرائيل): توقيع اتفاقية كامب ديفيد مع مصر عام ١٩٧٨م، والتي حاز على أساسها جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الرئيس المصري (السادات) عام ١٩٧٩م. انظر: شخصيات إسرائيلية، ص ٨٨ - ٩٠، محمد شريدة، وموسوعة السياسة، (١/ ٦٥٠ - ٦٥٢)، د. عبد الوهاب الكيالي. مقدمة كتاب يوميات قادة العدو (مناحيم بيجن، الإرهاب)، ترجمة وتقديم معين أحمد محمود.

(٤) قال كلمته هذه في اجتماعات أوسلو، ونشرته (دافار)، عدد ١٤/ ١٢/ ١٩٧٨م، المرجع السابق، جارودي.

ويقول موشى دايان[١]: (إذا كنّا نملك الكتاب، وإذا كنّا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فينبغي أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة، بلاد القضاة، أرض أورشليم وحبرون وأريحا، وأماكن أخرى)[٢].

وغير ذلك من الأقوال الكثيرة؛ إذ يغرق هؤلاء الصهاينة في الحديث عن الرباط الإلهي المقدس ـ على زعمهم ـ الذي يشدّ اليهود إلى فلسطين بقوة، فها هو ذا الحاخام ميمون أول وزير إسرائيلي للشؤون الدينية؛ يعلن في كتاب له سنة ١٩٣٧م ما يلي: (أن الرباط بين إسرائيل وأرضها ليس كالرباط الذي يشد جميع الأمم إلى بلادها وأوطانها، فهو لدى تلك الأمم ـ وفي أجلى مظاهره ـ رباط سياسي علماني، ورباط خارجي وعرضي مؤقت. بينما الرباط القائم بين الشعب اليهودي وبلاده كناية عن سر خفي من القداسة، فالشعب والأرض قد أنعم عليهما بتاج القداسة حتى في زمن خرابهما، والرباط الذي يشدهما رباط

---

(١) موشى دايان (١٩١٥ ـ ١٩٨١م): عسكري وسياسي صهيوني بارز، ولد عام ١٩١٥م في مستوطنة ديجانيا كفوتزة في فلسطين، هاجر والده إلى فلسطين في أوائل القرن، وكان من البارزين في حزب الماباي، انضم موشى إلى المجموعة الإرهابية (الهاغاناه)، ثم تعلم في مدرسة كبار الضباط في بريطانيا، وعمل مع وحدة الضابط البريطاني «وينغيت» في مقاومة ثورة (فلسطين الكبرى) ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م، وتدرب على العمليات الانتقامية الخاطفة والهجمات الليلية. في خلال حرب عام ١٩٤٨م قاد الكتيبة الإسرائيلية التي احتلت اللُّد والرملة، ومنذ ذلك الحين بدأ نجمه يسطع. في عام ١٩٥٠م عيّن قائداً للقطاع الجنوبي، ثم قائداً للقطاع الشمالي بعد سنة، وتولى بعد ذلك رئاسة المخابرات العسكرية، ثم عيّن قائداً لعمليات الجيش ورئيساً للأركان ما بين عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٨م. وكانت حملة إسرائيل على سيناء من أبرز نجاحاته العسكرية. عيّن وزيراً للخارجية في حكومة مناحيم بيجن في عام ١٩٧٧م، وكان أحد أبرز صنّاع معاهدة الصلح مع مصر، استقال من الحكومة عام ١٩٧٩م. يعدُّ دايان من أبرز جيل الـ (سابرا) (اليهود الذين ولدوا في فلسطين، ووصلوا إلى مناصب عليا في الدولة الإسرائيلية). انظر: شخصيات إسرائيلية، ص ١٠٢ ـ ١٠٣، محمد شريدة، وموسوعة السياسة، (٢/ ٦٥٦ ـ ٦٥٧)، د. عبد الوهاب الكيالي.

(٢) جيروزا لم بوست في ١٠ أغسطس، المرجع السابق، جارودي.

سماوي أبدي وأزلي)[١].

وقد جاء إعلان قيام دولة (إسرائيل) الصادر عشية الخامس عشر من آيار ١٩٤٨م مؤكداً أن: (أرض إسرائيل مهد الشعب اليهودي، هنا تكونت هويته الروحية والدينية والسياسية، وهنا أقام دولته أول مرة وخلق قيماً حضارية ذات مغزىٰ قومي وإنساني جامع، وفيها أعطىٰ العالم كتاب الكتب الخالد. وبعد أن نفي من بلاده عنوة؛ حافظ الشعب علىٰ إيمانه بها طوال مدة شتاته، ولم يكف عن الصلاة أو يفقد الأمل بعودته إليها واستعادة حريته السياسية فيها)[٢].

(وهكذا تتردد دائماً علىٰ ألسنة الزعماء الصهيونيين الإسرائيليين العبارات نفسها، سواء أكانوا من اليمين أم من اليسار، أعضاء في حزب العمل أو الليكود، ناطقين باسم الجيش أم باسم الحاخامية، وتتردد علىٰ ألسنتهم جميعاً أدلة أو ذرائع من التوراة؛ يقيمون علىٰ أساسها أية مطالبة بالأرض؛ أي يستندون إلىٰ (حق إلهي) في ملكيتهم لفلسطين)[٣].

وفيما يأتي سأبين -إن شاء الله- بطلان هذه الوعود التي يدعي اليهود أنها موجودة في تلك النصوص المقدسة عندهم، وذلك من ثلاث زوايا:

١ ـ لمن أُعطيت هذه الوعود؟

٢ ـ ما هي حدود الأرض الموعودة؟

٣ ـ هل كانت هذه الوعود مطلقة بلا قيد أو شرط، أو كانت بقيود وشروط؟

---

(١) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت)، ص١٦٥.

(٢) المرجع السابق، وجاء فيه: انظر النص الكامل لإعلان قيام إسرائيل، والمنشور في: Joseph Ba-bied, Funda Mental Lawes of The State of Ispoel Newyork: Twayne Publihen 1961. والنص بالعربية في كتاب، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين، د. حسن صبري الخولي، (٢/ ٤٥٤ـ٤٥٧).

(٣) ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية السياسية، رجاء جارودي، ص ٨٢.

أولاً: لمن أعطيت هذه الوعود؟

إن أول نص صريح عندهم أعطاهم أرض فلسطين وما حولها كان لإبراهيم - عليه السلام - ولنسله من بعده: (فأقام أبرام في أرض كنعان.. وقال الرب لأبرام: ارفع طرفك، وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، إنّ جميع الأرض التي تراها؛ لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد... قم فامش في الأرض طولها وعرضها؛ فإني لك أعطيها)[١].

ومن خلال هذا النص وغيره من النصوص الواردة في أسفار اليهود يظهر أن الرب أعطى هذه الوعود لإبراهيم عليه السلام، ولنسله من بعده.

فالزعم الذي يتشدّق به اليهود أنهم وحدهم الورثة لهذه الوعود المقطوعة لنسل إبراهيم - عليه السلام - لا يتفق مع مدلول النصوص، بل هو التحريف والتضييق المتعمد؛ إذ إن نسل إبراهيم - عليه السلام - يشمل بالضرورة جميع المنحدرين من نسله - عليه السلام -، فكما أن إبراهيم - عليه السلام - أب لإسحاق عليه السلام؛ فهو أب لإسماعيل - عليه السلام - الذي هو ابنه الأكبر، فهو يكبر أخاه إسحاق بأربع عشرة سنة.

جاء في الرواية اليهودية: (وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة حين ولدت هاجر إسماعيل لأبرام)[٢]، (وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين وُلِد له إسحاق ابنه)[٣].

فإبراهيم - عليه السلام - هو الجد الأعلى للعرب الذين هم ذرية إسماعيل عليه السلام، كما أنه الجد الأعلى لبني إسرائيل الذين هم ذرية يعقوب بن إسحاق عليهما السلام.

---

(١) تكوين (١٣: ١٢-١٤-١٥-١٧).

(٢) تكوين (١٦: ١٦)، والبداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، (١/ ١٧٩).

(٣) تكوين (٢١: ٥)، والمرجع السابق، للحافظ ابن كثير.

وطبقاً لأسفار اليهود؛ فإن تجديد الوعد من قِبل الرب لإبراهيم حصل بعد ولادة إسماعيل عليه السلام، وقبل ولادة إسحاق عليه السلام، وجعل الختان علامة لذلك الوعد:

(ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة تجلى له الرب وقال له: أنا الله القدير، اسلك أمامي وكن كاملاً فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثّرك جداً جداً. . . وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكاً مُؤبّداً وأكون لهم إلهاً. . . هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبين نسلك من بعدك يختن كل ذكر منكم. . . فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع مواليد بيته، وسائر المُشتَرين بفضَّتِهِ، كُلَّ ذكر من أهل منزله، فختن القُلفة من أبدانهم في ذلك اليوم عينه بحسب ما أمره الله به. وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة عند ختنه لحم قلفته، وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن القُلْفَة من بدنه)[١].

فهذا عهد الختان حصل لإسماعيل عليه السلام، ولم يكن إسحاق قد ولد بعد؛ فكيف يرتبط الوعد بمن كان حاله في الغيب لا يعلم عنه أبوه شيئاً، ولا يرتبط الوعد بمن كان حاضراً وطبق بعض أموره كالختان؟!

(إن الذي تم ختنه بعد هذا العهد مباشرة هو إسماعيل؛ لأن إسحاق لم يولد بعد في ذلك الوقت، فلماذا يُقصر الوعد على ولد سبقه الميثاق دون ولد سبق الميثاق؟!)[٢].

تحول الوعد واختص به إسحاق عليه السلام، وذلك قبيل مولده، ولم تذكر الروايات اليهودية أسباب هذا التحول!

(فقال إبراهيم لله: لو أن إسماعيل يحيا بين يديك! فقال الله: بل سارة امرأتك ستلد لك ابناً وتسميه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً مؤبداً لنسله من

(١) تكوين (١٧: ١ـ٢ـ٨ـ١٠ـ٢٣ـ٢٤ـ٢٥).

(٢) رؤية دينية للدولة الإسرائيلية، حسن محمد مي، ص ٥١.

بعده، وأمّا إسماعيل فقد سمعت قولك فيه، وها أنذا أُباركه وأُنميه وأُكثره جداً جداً، ويلد اثني عشر رئيساً، وأجعله أمّة عظيمة، غير أن عهدي أُقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة)[١].

يعني تحول الوعد من نسل إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلىٰ نسل سارة زوجته (غير أن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده سارة)، كأنّ اليهود لهذا السبب ـ والله أعلم ـ رأوا أن أمومة الطفل، وليست أبوّته، هي العامل الأساسي في تحديد انتمائه إلىٰ اليهود.

المهم في المسألة أن الوعد تحول من أن يكون إلىٰ كل نسل إسحاق واختص به يعقوب ـ عليه السلام ـ دون أخيه عيسو؛ علماً بأنه طبقاً للروايات اليهودية فإن الابن الأكبر لإسحاق ـ عليه السلام ـ هو عيسو، والابن الثاني هو يعقوب عليه السلام[٢]، وأيضاً لم تذكر الروايات اليهودية أسباباً لهذا التحول وهذا الاختيار الذي خُص به يعقوب عليه السلام.

(فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه فقال له: . . . والله القدير يباركك وينمّيك . . . ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك من بعدك، لترث أرض غربتك التي وهبها الله لإبراهيم)[٣].

أما إن كانت حجة اليهود بأن الرب حوّل الوعد من إسماعيل إلىٰ إسحاق لأن إسماعيل ابن جارية (هاجر مولاة سارة)، (ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق)[٤]؛ فلماذا انصرف الوعد من عيسو

(١) تكوين (١٧ : ١٨ ـ ٢١).
(٢) انظر: ص ١٩ من هذا البحث.
(٣) تكوين (٢٨ : ١ ـ ٣ ـ ٤).
(٤) تكوين (١٧ : ٢٠).

وانحصر في يعقوب؛ علماً بأنهما من أم واحدة لا فرق بينهما من تلك الناحية، وأن هناك نصوصاً من كتابهم المقدس تدل على رضا الرب على إسماعيل وعيسو، وأنه لم يكن غاضباً عليهما، (وأمّا إسماعيل فقد سمعت قولك فيه، وها أنذا أباركه وأنميه وأكثّره جداً جداً)[١]. (فقال عيسو لأبيه: . . . باركني أنا أيضاً يا أبت. . . فأجابه إسحاق أبوه)[٢]؟

(ولكن، عبثاً نقلب صفحات هذا (السفر) بحثاً عن نصوص فيه تعلن عن وفاء (الوعد) لإسحاق عليه السلام.

كلا! لا شيء هناك إلا من نصوص تترى تكشف الحقيقة من أمر هذا (الوعد) الذي لم يكن في واقعه إلا وعداً سياسياً تابعاً لمآرب السياسة، وألعوبة سياسية في يد هذا المؤلف اليهودي تتوارى خلف ستار من قول (ظهر الرب) و (قال الرب) و (أقسم الرب)؛ فإنّ هذا المؤلف اليهودي منذ اللحظة التي شرع فيها قلمه وبدأ يكتب (سفر التكوين)؛ لم يستهدف من وراء هذه (الوعود) إلا التمهيد لعودة (مملكة داود)، ومن ثم كان حتماً لهذا الوعد أن يتحول في يده من شخص إلى آخر حتى يصل به إلى (ذرية داود)، وأما وأنه قد بدأ به بإبراهيم فلم يكن ذلك إلا حسبما أملته المصالح السياسية لكي يُكسب قضيته صبغة شرعية، فهو لا يجعل هذا (الوعد) يأتي لإبراهيم، بادئ ذي بدء، إلا ليحوله إلى إسحاق ليخرج منه إسماعيل وأبناء إسماعيل، وإلا ليتخذ من إسحاق وسيلة إلى تحويل هذا (الوعد) إلى يعقوب، ليحصره في سلالة إسرائيل، حتى يمكنه بعد ذلك من تحويله إلى ذرية داود، لينحصر في مملكة الجنوب دون الشمال، وتعود (مملكة يهوذا) أو (المملكة اليهودية) إلى الوجود)[٣].

---

(١) تكوين (٢٧: ٣٨-٣٩).

(٢) تكوين (٢١: ٩-١٠).

(٣) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف، ص١٢٦.

ثانياً: ما هي حدود الأرض الموعودة؟

نصوص العهد القديم المتعلقة بشأن حدود الأرض الموعودة؛ فيها من الاختلاف وعدم الموضوعية والإبهام ما يجعل القارئ لها يستبعد أن تكون نصوصاً سماوية من عند الله، لم يلحقها ما لحق باقي فقرات توراتهم ونصوصها الحالية، وباقي أسفارهم المقدسة عندهم؛ من التحريف والتزييف والزيادة والنقصان[١].

(تعمدت هذه النصوص أن تترك أسماء التخوم مبهمة معقدة، كما تعمدت أن تختار الأسماء المشتركة إمعاناً في اللبس، ولكي تمنح اليهود فرصاً ممدودة لتأويل تلك النصوص على حسب ما يقتضيه الحال)[٢].

لذلك جعل اليهود أرض الميعاد تشمل مناطق أكثر اتساعاً من أرض فلسطين، فضموا إليها شرقي الأردن وشبه جزيرة سيناء، بل جعلوها من (نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)[٣].

ولعل أشد ما دونته تلك النصوص تحريضاً لليهود على التوسع العدواني الظالم: (كلُّ مكان تطؤهُ أخامِصُ أرجُلِكم لكم أعطيتُهُ)[٤].

فهم مرتبطون عقائدياً بكل أرض سكنوا فيها، ويحاولون احتلالها أو ما يسمونه (العودة إليها)؛ مثل كل فلسطين، وسورية، والعراق، ومصر، والحجاز.

(ولما كان تحديد الأرض التي يشملها الوعد لم يرد بصورة محددة قاطعة؛

---

(١) انظر: من ص ١٦٩ من هذا الكتاب.

(٢) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، محمود نعناعة، (١ / ٣٠٩).

(٣) تكوين (١٥ : ١٨).

(٤) يشوع (١ : ٣).

فقد أدىٰ إلىٰ مطالبة الحركة الصهيونية بحدود مختلفة للأرض التي يشملها الوعد)[١].

يقول بن غوريون: (إننا لم نحقق بعد هدفنا وهو النصر النهائي، فنحن حتىٰ الآن لم نحرر من بلادنا سوىٰ قسم واحد فقط. وسنجعل الحرب حرفة يهودية حتىٰ يتم تحرير بلادنا كلها، بلاد الآباء والأجداد، وسنحقق رؤيا أنبياء إسرائيل)[٢].

ولقد أعلن موشىٰ دايان يوم ٦/ ٦/ ١٩٦٧م ـ وهو يوم احتلال القدس ـ: (لقد استولينا علىٰ (أورشليم)، ونحن في طريقنا إلىٰ (يثرب) وإلىٰ (بابل))[٣].

ففلسطين ليست هي كل الأرض الموعودة عندهم، وإنما هي جزء منها؛ أي أنها تُعَدُّ عندهم (إسرائيل الصغرىٰ).

وعن هذا الجزء يتحدث مناحيم بيجن: (إن إسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل إلا خُمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء! ومن ثم يجب العمل علىٰ تحرير الأربعة الأخماس الباقية)[٤].

ويصرح (لاوورمان تويج) أحد اليهود الإنكليز: (لا يشترط أن تكون حدود فلسطين المقبلة محاطة بحدودها التاريخية القديمة، حيث إن اليهود سيستولون علىٰ كافة البلاد الموعودة لهم في التوراة، وإن الله قد أعطىٰ جميع البلاد الكائنة من البحر المتوسط إلىٰ الفرات، ومن لبنان إلىٰ نهر النيل وتركية، إلىٰ شعبه المختار ـ اليهود ـ)[٥].

---

(١) القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، د. غازي ربابعة، ص١٧.
(٢) في مايو سنة ١٩٤٩م. إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف، ص٢٣.
(٣) أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية، اللواء الركن محمود شيت خطاب، ص ٢٥.
(٤) في سنة ١٩٥٣م. إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص ٢٤.
(٥) عقيدة اليهود في تملك فلسطين، عابد توفيق الهاشمي، ص ٣٣.

وكتب دافيد تريتش ـ أحد أصدقاء هرتزل ـ بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ١٨٩٩م إلىٰ هرتزل ـ بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي: (أود أن أقترح عليكم أن تُعدّلوا من وقت إلىٰ آخر برنامج (فلسطين الكبرىٰ، إسرائيل الكبرىٰ) قبل فوات الأوان. كان ينبغي أن يتضمن برنامج (بال) الكلمات: (فلسطين الكبرىٰ أو فلسطين والأراضي المجاورة)؛ لأنه من غير ذلك يصبح البرنامج بلا معنىٰ)[1].

وعندما أُعلن عن قيام الدولة اليهودية ـ إسرائيل ـ علىٰ أرض فلسطين المسلمة ـ المحتلة ـ، وأيضاً عندما قُيدت عضواً في هيئة الأمم المتحدة؛ لم يحدد مداها، بل تركت بدون حدود تقيدها[2]؛ مما يدل دلالة واضحة علىٰ تطبيقهم لنصوص أسفارهم المقدسة التي تحث علىٰ التوسع الاستعماري والامتداد العدواني. والأمة الإسلامية حامية عرين هذا الكوكب الأرضي في غيّها سادرة!!

قال إسحاق شامير[3] في١٦/ ٦/ ١٩٨٢م علىٰ شاشة التلفزيون الفرنسي إثر الاجتياح الصهيوني للبنان: (نحن لم نضم أراضي عربية محتلة! كيف نضم

(١) ملف إسرائيل ـ دراسة للصهيونية السياسية ـ، رجاء جارودي، ص ١٤٧.

(٢) انظر: إعلان قيام دولة إسرائيل إلىٰ كتاب سياسة الاستعمار والصهيونية، د. الخولي، (٢/ ٤٥٤ـ٤٥٧).

(٣) إسحاق شامير: من مواليد بولندا عام ١٩١٥م، كان منذ بدايات شبابه فاعلاً في الحركة اليهودية (بيتار)، هاجر إلىٰ فلسطين عام ١٩٣٥م، وفي عام ١٩٤٠ انضم إلىٰ منظمة (إيتزيل إسرائيل)، تغير اسمها إلىٰ (ليهي) (المقاتلون من أجل حرية إسرائيل)، في عام ١٩٤٢م أصبح أحد أعضاء القيادة الثلاثية لتلك المنظمة، والمسؤول عن النشاطات التنظيمة والعملية، في عام ١٩٤٨م صدرت مذكرة بريطانية باعتقاله كإرهابي؛ بسبب قيامه بعمليات قتل واغتيالات في وسط الفلسطينيين وبعض المسؤولين في هيئة الأمم المتحدة. انضم إلىٰ (الموساد) منذ بداية تأسيس دولة إسرائيل، ومكث متنقلاً في المناصب داخلها حتىٰ عام ١٩٦٥م. في عام ١٩٧٤م انتخب عضواً في الكنسيت، وفي عام ١٩٧٧م، وبعد فوز تكتل الليكود، انتخب رئيساً للكنيست، وفي عام ١٩٧٨م امتنع عن التصويت علىٰ تأييد اتفاقية كامب ديفيد. عيّن وزيراً للخارجية عام ١٩٨٠م، وفي عام ١٩٨٣م تولىٰ رئاسة الوزراء الإسرائيلي وصار زعيماً لتكتل ليكود. وبعد انتخابات ١٩٨٤م توصل إلىٰ مداورة السلطة مع زعيم حزب العمل آنذاك شمعون بيريز. =

ما هو ثابت تاريخياً لنا ولأجدادنا؟! ولا أرىٰ داعياً لتحديد حدود إسرائيل؛ إنها محددة في التوراة)(١).

يقول بن غوريون: (أمامكم الإعلان الأمريكي للاستقلال، ليس به أي ذكر لحدود أرضية، ولسنا ملزمين بتعيين حدود الدولة)(٢).

وفي هذا إشارة لها دلالة كبيرة، فهو يريد أن يجد في تلك السابقة الأمريكية ما يغري باتخاذها مثلاً يُحتذىٰ، فقد ظلت حدود أمريكا غير ثابتة لمدة قرن من الزمان، وكانت تتحرك كلما تقدم الأمريكيون في قتل الهنود الحمر والاستيلاء علىٰ أرضهم، إلىٰ أن توقفوا عند المحيط الهادي(٣).

ويقول بن غوريون بكل صراحة ووضوح: (ليست المسألة مسألة احتفاظ بالوضع الراهن، فعلينا أن نقيم دولة غير متجمدة، دولة ديناميكية تتجه إلىٰ التوسع)(٤).

وتقول جريس هالسل: (شغل موضوع (حدود إسرائيل) الأمم المتحدة أكثر من أي موضوع آخر. لقد كانت الأمم المتحدة هي التي أوصت بإقامة (إسرائيل) كفلسطين يهودية إلىٰ جانب فلسطين عربية، وحددت حدود (إسرائيل) في عام ١٩٤٨م، ومنذ ذلك الوقت، غيّرت (إسرائيل) باستمرار هذه الحدود، كانت تطبع خرائطها الخاصة وتضمنها الأراضي التي كان بعض قادتها مثل مناحيم بيجن يقول: إن الله أعطاها إلىٰ اليهود)(٥).

= ومنذ عام ١٩٨٦م أصبح رئيساً للوزراء والمسؤول الأول في الدولة اليهودية حتىٰ عام ١٩٩٢م عندما قرر اعتزال العمل السياسي. انظر: شخصيات إسرائيلية، ص ١٣٧-١٣٨، محمد شريدة. مذكرات إسحاق شامير، تعريب: سامية الشامي، وطلعت غنيم حسن.

(١) الحروب الصليبية هل انتهت؟، عبد الوهاب زيتون، ص ١٠.

(٢) ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية السياسية، جارودي، ص ١٤٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، ص١٥٣.

لذلك يقول الأستاذ محمود نعناعة: (من حق أسفار العهد القديم على زعماء اليهود أن يقدسوها ويعضوا عليها بالنواجذ، وأن يضفوا على مدوّنيها كل صفات القداسة والتكريم، فقد فتحت تلك الأسفار لهم كل الأبواب الموصدة، ليتربعوا، متى ما واتتهم الظروف والقدرة، حيث يحلو لهم في هذا العالم)[١].

وأعود إلى مسألة اختلاف النصوص في أسفار اليهود بالنسبة لتحديد الأرض الموعودة. حاول بعض الحاخامات أن يزيل ذلك التعارض والتناقض فقد فقال: (إن النصوص التي حددت ملك إسرائيل بفلسطين فقط تعد منحة مخفضة من الله لبني إسرائيل، لكن هذا لا يعني أن هذه الأراضي فقط هي حق إسرائيل، فحقهم في الأرض هو أوسع من ذلك بكثير، فالله قد وعد اليهود وعداً مشروطاً ووعود الله المشروطة لا تلغى أبداً، بل يحتفظ بها لكي تتحقق في المستقبل)[٢].

ثالثاً: هل كانت الوعود مطلقة بلا قيد أو شرط أو كانت بقيود وشروط؟

يتبين باستعراض نصوص أسفار اليهود المقدسة أن الوعود بالأرض جاءت في أغلبها مقيدة بقيود وشروط، وهي أنّ على بني إسرائيل الالتزام بأوامر الرب ونواهيه التزاماً لا يحتمل التأويل أو التساهل؛ مثل:

(فقال الرب: . . . إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي صنعتُها في مصر وفي البرية وجرّبُوني عشر مرّات ولم يسمعوا لقولي؛ لن يروا الأرض التي أقسمتُ عليها لآبائهم، وكلُّ من استهان بي لن يراها)[٣].

ومثل: (فاحفظوا جميع الوصايا التي أنا آمُرُكُم بها اليوم لكي تتشدّدوا

---

(١) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، محمود نعناعة، (١/ ٣١١).
(٢) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د. سعد الدين السيد صالح، ص٣٧٠.
(٣) عدد (١٤: ٢٠، ٢٢-٢٣).

وتدخُلُوا وتملكوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها، ولكي تطول أيامُكم على الأرض التي أقسمَ الربُّ لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم أرضاً تدرُّ لبناً وعسلاً. . . احذروا أن تَغوى قُلُوبكم فتضلُّوا وتعبدوا آلهة غريبة وتسجدوا لها، فيشتدّ غضبُ الرب عليكم، فيحبسُ السماء فلا يكون مطر، والأرض لا تخرج أُكُلها، فتبيدون بسرعة عن الأرض الصالحة التي يعطيكمُ الرَّبُّ)[1].

ومثل: (وإن حِدتم زائغين عن اقتفائي أنتم وبنوكم، ولم تحفظوا وصاياي ورسومي التي جعلتها أمامكم، وذهبتم وعبدتم آلهة غريبة وسجدتم لها؛ فإنّي أقرضُ إسرائيلَ عن وجهِ الأرض التي أعطيتها لهم، والبيت الذي قدّسته لاسمي أنفيه من حضرتي فيكون إسرائيل مثلاً وأحدوثة بين الشعوب بأسرها)[2].

هذه النصوص، وغيرها، تدل دلالة واضحة على أن ذلك الوعد الذي يدعيه اليهود بأرض فلسطين وما حولها؛ يشترط على بني إسرائيل الالتزام بشريعة الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

فالوعد بالأرض المذكور في نصوص اليهود المقدسة ـ على تحريف أسفارهم وتبديلها ـ هو وعد من الرب لهم ـ على زعمهم ـ في ذلك الوقت ـ وقت شرعيّة الرسالة الموسوعية للعمل في هذه الأرض، ودعوة بني إسرائيل إلى عبادة الله لا شريك له ـ ليس لأجل أن بني إسرائيل هم شعب الله المختار ـ على ما يدعون ـ أو لأجل الخيرية المطلقة فيهم ـ على ما يفترون ـ، ولكن هو وعد يتحقق إذا هم أطاعوا الرب واستقاموا على شريعته، فهم بذلك يكونون (أفضل من غيرهم من الأمم في ذلك الوقت التي كانت تعبد الأوثان من دون الله تعالى، وإن عصوا وزاغوا عن الشريعة حلّت عليهم اللعنة، ونُزعت منهم البركة، وأصبحوا كبقية

(١) تثنية الاشتراع (١١ : ٨ ـ ٩، ١٦ ـ ١٧).
(٢) ملوك ثالث (٩ : ٦ ـ ٧).

شعوب الأرض)[١].

(وفيما يتعلق بميثاق الأرض، فقد وعد الله بوطن لبني إسرائيل يبقى قائما ما بقي بنو إسرائيل يطيعون شريعة موسى، على العكس من ذلك فقد وعد الله أيضاً أنهم سوف يخسرون الميثاق، الذي تضمن الوعد بالأرض، إذا عصوا الله ولم يلتزموا بشريعته كما نقلها موسى إليهم)[٢].

ومن المعلوم تاريخياً وعلى حسب ما جاء في أسفارهم المقدسة أن بني إسرائيل لم يلتزموا بشريعة الله ولم يحفظوا وصاياه:

(فقال يشوع للشعب: أنتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفُسكُم الرب لتعبدوه. فقالوا: نحن شهود. فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي فيما بينكم، ووجِّهُوا قلوبكم إلى الرب إله إسرائيل)[٣].

(كانوا لِيُمتحن بهم إسرائيل هل يسمعون لوصايا الربِّ التي أوصى بها آباءهم على لسان موسى. فأقام بنو إسرائيل بين الكنعانيين والحثّيين والأموريين... واتخذوا الشر في عيني الرب، ونسُوا الرب إلههم، وعبدوا البعليم والعشتاروت، فاشتدّ غضب الرب على إسرائيل)[٤].

(وعاد بنو إسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم والعشتاروت، وآلهة آرام، وآلهة صيدون، وآلهة موآب، وآلهة بني عمون، وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه)[٥].

---

(١) بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي، (١/ ٢٣٢).

(٢) سرقة أمة، وليم و. بيكر، ص ١٠٩.

(٣) يشوع (٢٤: ٢٢، ٢٣).

(٤) القضاة (٣: ٤-٨).

(٥) القضاة (١٠: ٦).

(وكان بنو إسرائيل قد خطِئوا إلىٰ الربِّ إلههم الذي أخرجهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرىٰ. وجروا علىٰ سُنَنِ الأممِ التي طردها الربُّ من وجه بني إسرائيل، وعلىٰ ما سنّته ملوكُ إسرائيل. وعَمِلَ بنو إسرائيل في الخفاء أموراً غير مستقيمة في حق الرب إلههم، وابتنوا لهم مشارف في جميع مدنهم. . . وأقاموا لهم أنصاباً وغابات علىٰ كل أكمة عالية، وتحت كل شجرة خضراء. . . وفعلوا أفعالاً سيئةً لإسخاط الرب، ورذلوا فرائضه، وتركوا جميع وصايا الرب. . . فرذل الرب جميع ذرية إسرائيل وأذلهم)(١).

(هذا فيما يتعلق بجملة الالتزامات التي تعهد بنو إسرائيل بتنفيذها علىٰ ضوء العهد المقطوع بينهم وبين الرب، وقد رأينا في النصوص المقتبسة أن بني إسرائيل تجاهلوا كل الوصايا، وارتكبوا أعظم الذنوب، وأي ذنب أعظم من الشرك وعبادة الأصنام؟!)(٢).

(هل حافظ اليهود علىٰ شريعة الله وأوامره؟ الجواب جاء لكل الأجيال القادمة ضمن السياق التاريخي نفسه الذي يتحدث عن الوعود الحارة والثواب الذي ينتظر الشعب الطائع، وتبين التوراة بوضوح ارتداد هؤلاء، وعبادتهم لآلهة زائفة، ثم (الضلال) المطلق لأمة إسرائيل بكاملها، قد ذكرت أسماء الأفراد والقبائل، كما ذكرت أسماء المدن والأماكن التي فسقوا فيها، ومع ذلك يبدو أن

---

(١) ملوك رابع (١٧ : ٧ـ ٢٠).

(٢) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، محمود نعناعة، (١/ ٣٠٢).

وهَبْ أن المقصود أحكام التوراة المنسوخة؛ فأين هم منها؟

إن دولة إسرائيل هي من أكبر مباءات الفواحش والإلحاد والإجرام في العالم، إنها تنافس أمريكا في القمار والشذوذ والربا وارتكاب كل الموبقات، والمؤسسون لها زعماء عصابات إجرامية وإرهابية، وكل الوصايا العشر الموسوية منكورة، والشيء الوحيد الذي يحفظه اليهود من التوراة هو أنهم شعب الله المختار ونسل إبراهيم عليه السلام. انظر: يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟!، ص ٩٧، د. سفر الحوالي.

كثيرين من الذين يؤيدون مسألة النبوءة في احتلال إسرائيل لفلسطين لم يقرؤوا ذلك! لقد أبطل اليهود مرة بعد أخرىٰ الجزء المتعلق بهم من الميثاق المتفق عليه)[١].

فإذا أبقىٰ الله علىٰ كلمته ووعوده؛ يصبح لزاماً علينا حينئذ أن نعود لنسأل ما سجله كل من التوراة والتاريخ العلماني؛ لنتوصل ونقرر ما إذا كانت قد تحققت وعود الله بالهلاك والدمار ضد اليهود نتيجة تخلفهم عن تنفيذ تعهداتهم في الميثاق؟عد بذاكرتك إلىٰ بحثنا لموضوع تشتت اليهود الذي يعدُّ حقيقة من حقائق التاريخ المكتوب[٢]، حيث نعلم منه ليس فقط مخالفة اليهود للجانب المتعلق بهم في الميثاق، بل يضاف إلىٰ ذلك أن الفواجع والنكبات التي وعد بها الله قد وقعت فعلاً، وأن الله حافظ لوعوده، سواء منها الإيجابي أو السلبي[٣]!

اسمع قوله: (ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصىٰ الأرض إلىٰ أقصاها، وتعبد هناك آلهة أخرىٰ لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر، وفي تلك الأمم لا تطمئن، ولا يكون قرار لقدمك، بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً وكلال العينين وذبول النفس، وتكون حياتك معلقة قدامك، وترتعب ليلاً ونهاراً ولا تأمن علىٰ حياتك)[٤].

(وهكذا نكص اليهود عن أداء رسالة الله، وكفروا به، ونقضوا ميثاق الله وكذّبوا أنبياءه وقتلوهم، فافتقدوا الأهلية للوعد)[٥].

وهناك نصوص من أسفارهم المقدسة تدل علىٰ أن الرب قد فسخ وعده

---

(١) سرقة أمة، وليم و. بيكر، ترجمة د. سهيل زكار والأستاذ عدنان برنيه، ص ١١٠.

(٢) انظر: شتات اليهود في الباب التمهيدي من الرسالة من ص٤٢.

(٣) سرقة أمة، وليم و. بيكر، ص ١١١.

(٤) تثنية (٢٨/ ٦٤-٦٦).

(٥) رؤية دينية للدولة الإسرائيلية، حسن محمد مي، ص ٥٤.

المزعوم لبني إسرائيل؛ بسبب معاصيهم وفسقهم بل كفرهم: (لذلك ها أنذا أنساكم نسياناً، وأنبذكم أنتم والمدينة التي أعطيتها لكم ولآبائكم عن وجهي، وأجعل عليكم عاراً أبدياً وخزياً أبدياً لن يُنسىٰ)(١).

(فأخذت عصاي نعمة وقصفتها لأنقض عهدي الذي قطعته مع كل الأسباط)(٢).

هذا الذي مر معنا من تفصيل يصح أن نقوله عندما كانت شريعة التوراة هي الشريعة الواجب اتباعها علىٰ بني إسرائيل في ذلك الوقت، أما وقد أرسل الله ـ عز وجل ـ خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ؛ فلا يصح مما تقدم شيء؛ لأنه واجب علىٰ بني إسرائيل، بل الناس كافة، أن يتبعوا الشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [**الأعراف**: ١٥٨].

وقال ﷺ: «والذي نفس محمدٍ بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(٣).

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [**الأحزاب**: ٤٠].

بهذا انتهيت من نقض ذلك الوعد بالأرض في أسفارهم المقدسة عندهم، من خلال الزوايا الثلاث التي ذكرتها.

---

(١) نبوءة إرميا (٢٣: ٣٩ـ ٤٠).

(٢) زكريا (١١: ١٠).

(٣) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب (٧٠) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، ح (٢٤٠)، ص ١٣٤. باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

ثم أزيد في مسألة نقد هذا الوعد المزعوم أموراً وهي:

رابعاً: هناك نصوص في أسفارهم المقدسة جاء فيها الوعد مصاحباً بكلمة (إلى الأبد) أو (أبدياً).

مثل: (وقال يعقوب ليوسف: إن الله القدير... قال لي: ها أنا أنميك وأكثّرك وأجعلك جمهور شعوب، وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً)[١]، (ويسكنون في الأرض التي أعطيتها لعبدي يعقوب التي سكن فيها آباؤكم فيسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد)[٢].

فعبارتا (إلى الأبد For Ever) و (أبدي Ever Lasting) هما عبارة عن ترجمة عربية وإنجليزية لكلمة (عولام Olam) العبرية، ولكن هذه الترجمة غير صحيحة، وإنما الترجمة الصحيحة لتلك الكلمة بالإنجليزية هي (Long Time, antiguity) ومعناها بالعربية (زمناً طويلاً، الأزمنة الغابرة)[٣].

فهذه النصوص إذاً لا تدل على أن بني إسرائيل سيسكنون أرض فلسطين وما حولها سكناً أبدياً ودائماً، وإنما سيحلون في هذه الأرض مدة من الزمن وحيناً من الدهر، وهذا ما حصل على ما جاء في أسفار العهد القديم، فها هو عصر يوشع عليه السلام، وعصر القضاة والملوك، وقمة ملك بني إسرائيل على أرض فلسطين كان في عهدي النبي داود عليه السلام، والنبي سليمان عليه السلام، وكذلك عصر حركة المكابيين. وفي كل هذه الأوقات ملك بنو إسرائيل جزءاً من أرض الميعاد (يصغر ويكبر تبعاً للحالات السياسية والحروب مع جيرانهم).

---

(١) تكوين (٤٨ : ٤).

(٢) نبوءة حزقيال (٣٧ : ٢٥).

(٣) إسرائيل في الكتاب المقدس، ترجمة حسني خشبة، ص٣١، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ص ١٩٦، وإسرائيل في التوراة والإنجيل، د. مراد كامل، ص ٢٩.

فحصل الاستيطان والتملك فترة من الزمن وحيناً من الدهر.

خامساً: وأيضاً هناك نصوص من أسفارهم تدل على أن الوعد قد تم تحقيقه.

(وأعطى الربُّ إسرائيل جميع الأرض التي حلف أنّهُ يعطيها لآبائهم فتملكوها وأقاموها)[١].

(لم تسقط كلمة واحدة من جميع كلام الخير الذي كلم الرب به آل إسرائيل بل تمّ كُلُّهُ)[٢].

واستناداً إلى هذه النصوص؛ فإن الوعد قد تحقق لبني إسرائيل: فها هم يدخلون أرض فلسطين بقيادة يوشع (يشوع) عليه السلام، وها هم يعودون إلى أرض فلسطين بعد السبي البابلي.

وهكذا يتبين أن تنبؤات أسفارهم المقدسة قد تحققت في مسألة العودة؛ (علماً بأن نصوص العهد القديم لا تتضمن أبداً أية نبوءة بصدد عودة ثانية)[٣]؛ بعد دخولهم مع يوشع عليه السلام، وبعد عودتهم من السبي البابلي.

سادساً: تدعي الحركة الصهيونية أن مطالبتها بأرض فلسطين مبنية على أسس دينية.

وأن اليهود عملوا جاهدين للعودة إلى أرض الميعاد، حتى تسنت لهم الفرصة بمعاونة الصليبية العالمية لاحتلال أرض فلسطين في القرن العشرين.

لنسأل سؤالاً: هل اليهود تعلقوا بهذه الأرض الموعودة لهم كما في أسفارهم؟

---

(١) يشوع (٢١ : ٤١).

(٢) يشوع (٢١ : ٤٣).

(٣) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ص ١٦٩.

الذي يظهر من النظر في أسفار العهد القديم؛ أن بني إسرائيل لم يتعلقوا بالأرض الموعودة لهم التعلق الذي يؤدي بهم إلىٰ العودة إليها بحب وشوق، أو التمسك بها بكل ما أعطوا من قوة.

مكث بنو إسرائيل في أرض مصر أربعة أجيال: (وكان مقام بني إسرائيل الذي أقاموه بمصر أربعمائة وثلاثين سنة)[1]، كل هذه المدة الطويلة لم تكن أرض فلسطين محط اهتمام بالنسبة إلىٰ بني إسرائيل، ولم يذكروها لا من قريب ولا من بعيد، بل قد نسوها تماماً، حتىٰ إلههم نُسي وعده لهم بالأرض، كما جاء في أسفارهم: (وأيضاً قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين استعبدهم المصريون، فذكرت عهدي)[2].

فهل هذا يدل علىٰ تعلقهم بأرض فلسطين؟!

وفي الطريق إلىٰ أرض كنعان كان اليهود يُعبّرون عن سخطهم وتذمّرهم علىٰ موسىٰ وهارون لإخراجهم من مصر كلما شعروا بشيء من الضيق ـ والمواقف التذمُّرية كثيرة من اليهود علىٰ موسىٰ ـ عليه السلام ـ في أثناء هذه الرحلة ـ؛ مما يدل علىٰ بعدهم كل البعد عن مسألة تحقيق وعد الله لهم بأرض فلسطين، وأنهم غير مهتمين بذلك.

(فتذمّر كُلُّ جماعة بني إسرائيل علىٰ موسىٰ وهارون في البريّة، وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا مُتنا بيد الربِّ في أرض مصر، حيثُ كنّا نجلسُ عند قدور اللحم ونأكلُ من الطعام شبعنا؛ فلِمَ أخرجتُمانا إلىٰ هذه البريّة لتقتلا هذا الجمهور كله بالجوع؟!)[3].

ثم تذمّروا مرة أخرىٰ في رحلتهم تلك: (وتذمَّروا علىٰ موسىٰ، وقالوا: لِمَ

---

(١) خروج (١٢ : ٤٠).

(٢) خروج (٦ : ٥).

(٣) خروج (١٦ : ٢ ـ ٣).

أصعدتنا من مصر لتقتُلنا وبنينا ومواشينا بالعطش؟!)[١].

وبعد عودة الجواسيس اليهود من استطلاعاتهم لأخبار الكنعانيين، وما أشاعوه من خوف في نفوس قومهم من اليهود[٢]؛ (فرفع كلُّ الجماعة أصواتَهُم وصرخوا وبكى الشعب في تلك الليلة. وتذمّر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل، وقال لهما كل الجماعة: يا ليتنا مُتنا في أرض مصر، يا ليتنا متنا في هذه البريّة. لماذا أتى الربُّ بنا إلى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة؟! أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر؟! وقال بعضهم لبعض: لِنُقِم رئيساً ونرجع إلى مصر)[٣].

(ومن الأدلة الصريحة على أن تخصيص أرض كنعان بالعهد لم يكن وارداً ولا محمولاً على محمل الجد عند الإسرائيليين: إعلان سبط رأوبين، وسبط جاد، ونصف سبط منسي؛ رغبتهم في الاستيطان في شرقي الأردن؛ لما رأوا أنّ الأرض هناك صالحة لتربية المواشي، وموافقة موسى على هذه الرغبة وإقرارها، فأذن لهم أن يستقروا هناك، واشترط عليهم أن يعبر الأردن منهم أولئك القادرون على القتال، ليعاونوا بقية إسرائيل على احتلال أرض كنعان، ثم يعودوا إلى شرقي الأردن، وتم الاتفاق على هذا)[٤].

(فأعطى لهم موسى لبني جاد، وبني رأوبين، ونصف سبط منسي بن يوسف؛ مملكة سيحون ملك الأموريين، ومملكة عُوج ملك باشان الأرض بمدنها وحدودها مدن الأرض من كل جهة)[٥].

---

(١) خروج (١٧ : ٤).

(٢) سفر العدد، الفصل الثالث عشر.

(٣) عدد (١٤ : ١ ـ ٤).

(٤) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟، محمود نعناعة، (١/ ٣٠٨)، وعدد (٣٢: ١٩ ـ ٢٢).

(٥) عدد (٣٢: ٣٣).

وعندما سمحت الدولة الفارسية ليهود السبي البابلي بالعودة إلىٰ فلسطين؛ فإن كثيراً من اليهود لم يعودوا، وطاب لهم المقام في بابل[١].

بل جاء في أسفارهم المقدسة الحث علىٰ السكنىٰ في بابل والاستقرار فيها: (هكذا قال ربُّ الجنود إله إسرائيل لكلِّ الجلاء الذين أجليتهم من أورشليم إلىٰ بابل: ابنوا بيوتاً واسكنوا، واغرسوا جناتٍ وكلوا من ثمرها، اتخذوا نساءً ولدوا بنين وبنات، واتخذوا لبنيكم نساء، واجعلوا بناتكم لرجال وليلدن بنين وبنات، واكثروا هناك ولا تقلُّوا، واطلبوا سلام المدينة التي أجليتكم إليها، وصَلّوا من أجلِها؛ فإنّهُ بسلامها يكون لكم سلام)[٢].

فهذا الحدث يدل بوضوح علىٰ أن اليهود لم يكونوا متعلقين بأرض فلسطين.

وعندما حصل لليهود الخروج المر من أرض فلسطين في عام ١٣٥م علىٰ أيدي الدولة الرومانية؛ لم يعمل اليهود ذلك العمل الجاد الذي يدل من خلاله علىٰ تعلقهم بأرض فلسطين منذ القرن الثاني الميلادي إلىٰ القرن التاسع عشر الميلادي، حتىٰ استطاعوا في بدايات القرن العشرين احتلال أرض فلسطين بواسطة الصليبية العالمية ولضعف الأمة الإسلامية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

---

(١) انظر: ص ٤٧ في الباب التمهيدي.

(٢) نبوءة إرميا (٢٩: ٤ـ ٧).

المبحث الثاني
إثبات بطلان هذا الوعد
من الناحية التاريخية (الحجة التاريخية)

ذكرت في صفحات مضت من هذا الفصل أن اليهود يستندون إلىٰ حجج ذات طابع معين، دينية وتاريخية، يلجؤون إليها في معرض حديثهم عن أطماعهم في فلسطين وما حولها.

وهنا أتعرض لحجة اليهود التاريخية والرد عليها.

الحجة التاريخية:

إن فكرة (الحق التاريخي) تعد من أهم الدعائم التي تسوِّغ بها الحركة الصهيونية احتلال أرض فلسطين.

(فتصور الصهيونيةُ اليهودَ علىٰ أنهم شعب فلسطين الأصيل، وترىٰ أن الدولة اليهودية القديمة صبغت البلاد بالطابع اليهودي في العقيدة الدينية والتاريخ واللغة والحضارة)[1].

قدمت المنظمة الصهيونية العالمية مذكرة إلىٰ مؤتمر السلام الذي عقد بجنيف عقب الحرب العالمية الأولىٰ، وجاء فيها: (هذه الأرض هي الموطن التاريخي ليهود)[2].

وجاء في إعلان إنشاء دولة إسرائيل يوم ١٤/ ٥/ ١٩٤٨م: (بموجب الحق

---

(١) الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين، وليم فهمي، ص ٩.

(٢) ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية، رجاء جارودي، ص ٣٣.

الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي؛ تقوم على أرض فلسطين دولة لليهود)[١].

يقول هرتزل: (إن فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان)[٢].

ويقول أيضاً: (فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا يُنسى، وهذا الاسم وحده سوف يكون صرخة التجمع القوية لشعبنا)[٣].

يقول بن جوريون: (لا معنى لإسرائيل من غير القدس، ولا معنى للقدس من غير الهيكل)[٤].

وفي كلمات مناحيم بيجن في خطابه الجوابي في الكنيست الإسرائيلي في ٢٠/ ١١/ ١٩٧٧م في الرد على أنور السادات: (نحن لا نأخذ أرضاً عربية، بل عدنا إلى أرضنا، والصلة بيننا وبين هذه الأرض صلة أبدية، وهي ثابتة في جذور التاريخ الإنساني)[٥].

ومن كلمات إسحاق شامير في ١٦/ ٦/ ١٩٨٢م على شاشة التلفزيون الفرنسي إثر الاجتياح الصهيوني للبنان: (نحن لم نضم أراضي عربية محتلة، كيف نضم ما هو ثابت تاريخياً لنا، ولأجدادنا؟! ولا أرى داعياً لتحديد حدود إسرائيل؛ إنها محددة في التوراة)[٦].

ولم يرد أي ذكر (لفلسطين) في إعلان قيام إسرائيل؛ وإنما استبدل بها (أرض إسرائيل)[٧].

---

(١) المرجع السابق، وسياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين، د. حسن الخولي، (٢/ ٤٥٤).

(٢) يوميات هرتزل، ص ٧٢، وإسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل أحمد، ص ١١٦.

(٣) فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ص ٢٨٦، رجاء جارودي.

(٤) أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية، ص٣١، اللواء الركن محمود شيت خطاب، وقبل أن يهدم الأقصى، ص٩٧، د. عبد العزيز مصطفى.

(٥) الحروب الصليبية هل انتهت؟، عبد الوهاب زيتون، ص١٠.

(٦) المرجع السابق.

(٧) الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وليم فهمي، ص ٩.

وتربط الدعاية الصهيونية دائماً بين فكرة (الحقوق التاريخية)، وفكرة (أرض الميعاد) التي يبدو كأنها تعطي الإسرائيليين (حقاً إلهياً) لتملك فلسطين والسيطرة عليها(١).

لذلك فقد كانت هذه الحجة التاريخية إحدىٰ الأسس التي استندت إليها الحكومة البريطانية في إصدار وعد بلفور، وإحدىٰ الذرائع التي ركنت إليها في النص علىٰ هذا الوعد في صك انتدابها علىٰ فلسطين. كما كانت الأساس الذي أقيم عليه تشريع قانون العودة بعد قيام دولة اليهود (إسرائيل)، والذي كفل لكل يهودي العودة إلىٰ فلسطين ليسهم مع يهود العالم في بناء دولتهم فيها(٢).

هذه هي الحجة التاريخية التي يدعيها اليهود المعاصرون.

وأريد هنا أن أنبه إلىٰ مسألة مهمة جداً، وهي: ـ وللأسف ـ أن بعض المؤرخين المسلمين عندما أرادوا أن يردوا علىٰ تلك الحجة التاريخية اليهودية؛ نهجوا ـ شعروا أو لم يشعروا ـ النهج العلماني للقومية العربية؛ فأغرقوا أنفسهم في الانشغال بالمكتشفات الأثرية، والخوض في دراسة الشعوب القديمة التي سكنت أرض فلسطين، أو حكمتها، أو مرت عليها، وكم من الوقت استمرت هذه الشعوب في أرض فلسطين؟ وذلك ليصلوا إلىٰ أن بني إسرائيل ما سكنوا أرض فلسطين إلا بعد أن سكن العرب فيها ـ أي أن العرب استوطنوا أرض فلسطين قبل بني إسرائيل ـ، وأن بني إسرائيل تملكوا مساحة صغيرة من أرض فلسطين واستوطنوها لفترة قصيرة مقارنة بالعرب. وكأن هذا النهج القومي لبعض المؤرخين المسلمين هو ردة فعل للرد علىٰ تلك الادعاءات لليهود الذين نظروا إلىٰ هذه القضية بنظرة قومية عنصرية يهودية كافرة، ولا نستغرب من اليهود أن ينتهجوا هذا النهج؛ لأنهم كفروا بالله ورسله، فلا معيار صحيح عندهم للحق والباطل. أما أن ينتهج بعض المؤرخين المسلمين هذا النهج العلماني

(١) ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية السياسية، رجاء جارودي، ص ٣٣.
(٢) قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي، د. حسن الجلبي، ص ٣٩.

القومي ؛ فإنه ولا شك يؤدي إلىٰ نتائج خطيرة جداً ؛ من أخطرها :

١ ـ الطعن والقدح في سيرة بعض أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، كما في سيرة يشوع (يوشع) ـ عليه السلام ـ وغيره من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام(١)، والذين هم من المصطفين عند الله ـ عز وجل ـ لحمل الرسالة والتبليغ، قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥]، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴾ [مريم : ٥٨]، والذين يعدُّ الإيمان بهم ـ في عقيدتنا الإسلامية ـ ركناً من أركان الإيمان الذي لا يتم إيمان المرء إلا به، قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [النساء : ١٥٠ ـ ١٥٢].

فكيف بهؤلاء الباحثين المسلمين يتركون هذه المسلمات في عقيدتنا الإسلامية، وينساقون في الرد علىٰ الادعاءات اليهودية بالقدح في التاريخ اليهودي العام، وفيه السير العطرة لأنبياء الله، وذلك بدون تمييز بين ما يصلح للطعن وما يجب أن يُقدّر ويُحترم منه؟! وكما هو معلوم أن هذا ليس هو منهج الله في آياته عندما يذكر بني إسرائيل، إذ لا يذكرهم ـ سبحانه ـ بوصفهم قوماً ؛ مرفوضين أو مقبولين، بل بوصفهم أفراداً ؛ مؤمنين أو كافرين. وهذا هو النهج الصحيح الذي يجب أن ننهجه في كلامنا عن الأمم والشعوب وليس بني إسرائيل فقط، فالذي يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً هو المعزز المكرم المقبول، والكافر هو المهان

(١) وإن من أهم الأسباب التي أدت إلىٰ هذه النتيجة : كلام أسفار اليهود المحرفة عن أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، انظر : ص ١٩١ من هذا الكتاب.

المبعد المرفوض؛ مهما كان أصله أو جنسه أو وطنه أو لونه.

٢ـ يجعلنا، ونحن أهل الإسلام والإيمان الذين يجب علينا أن نوالي ونعادي في الله تعالىٰ، نوالي ونقف ـ شعرنا أو لم نشعر ـ في صف الوثنيين الكفرة من العرب، كجالوت وغيره من أهل فلسطين الذين حاربوا أنبياء الله في بني إسرائيل، ونعادي ونتبرأ ـ أدركنا أو لم ندرك ـ من أنبياء الله الصالحين؛ كيوشع وداود وسليمان وغيرهم عليهم السلام.

ونحن نعلم ما منزلة الولاء والبراء في دين الله، فهما من لوازم (لا إله إلا الله)، فأعمال القلوب والجوارح ناتجه عنهما؛ كالنصرة والأنس والجهاد والهجرة، ونحو ذلك. فلا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد، ومعاداة أهل الكفر والضلال، وبغضهم والبراءة منهم حتىٰ لو كانوا أقرب قريب، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ ﴾ [التوبة: ٢٣]، ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وروىٰ الإمام أحمد بسنده عن جرير بن عبد الله البجلي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ بايعه علىٰ (أن تنصح المسلم، وتبرأ من المشرك)[1].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: (أوثق عرىٰ الإيمان

(١) المسند (٤/ ٣٦٤)، وقال الألباني: إسناده صحيح، أخرجه النسائي (٢/ ١٨٣)، والبيهقي (٩/ ١٣). سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٣٠)، رقم (٦٣٦).

الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله)[١].

وقد تحصل تلك الهفوة من بعض المؤرخين المسلمين في خضم ردهم على الادعاءات اليهودية الماكرة، يقول د. محمد هلال: (وإذا كان البعض يحاول أن يخفف من حدة هذه النتيجة المنطقية بقوله: مع فارق الإيمان بين القائدين، واتفاق الغزو والاحتلال بين المعتدين. فإنه بهذا يزيد الأمر سوءاً؛ لأنه يجعل موسى وداود ـ عليهما السلام ـ من المحتلين المعتدين)[٢].

٣ ـ أن نغفل الجهاد في سبيل الله، بل نتركه، بل نعاديه ونُنَفّر منه ـ على ذلك المنهج العلماني القومي ـ، فلا نستطيع أن نطبق مفهوم الجهاد في سبيل الله، وهو تعبيد الناس إلى الله الواحد الأحد لا شريك له، وإخضاع جميع الأرض إلى شريعة الله وحكمه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قال الحافظ ابن كثير: (ويكون الدين لله: أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان)[٣]، وقال رسول الله ﷺ: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)[٤]. وكانت هذه الغاية العظيمة للجهاد في سبيل الله في نفوس الصحابة الكرام أثناء معاركهم ضد أعداء الله تعالى، ومثال ذلك ما حصل في قصة ربعي بن عامر ـ رحمه الله ـ لما بعثه سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ إلى رستم، وفيها (... فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وقال: (أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس)، (١ / ٤٢٥)، رقم (٢٧٧٨)، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير (١ / ٤٩٧).
انظر في موضوع الموالاة والمعاداة إلى كتابَيْ: الولاء والبراء في الإسلام، د. محمد بن سعيد القحطاني، والموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، للشيخ محماس بن عبد الله الجلعود.

(٢) الإسراء وإسرائيل، ص ١٦٢، د. محمد هلال.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١ / ٣٤١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب (١٧) ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، رقم (٢٥)، (١/ ٢٤).

الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب صفيقة، وسيف، وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟

فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله.

قالوا: وما موعود الله؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي..)[1].

يقول د. علي بن نفيع العلياني: (وهذا الهدف السامي ـ المتضمن لإعلاء كلمة الله وهي الإسلام، وإقامة سلطان الله في الأرض، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وإخلاء العالم من الفساد الأكبر وهو الشرك وما ينتج عنه، وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين الناس ويُعَبِّدونهم لغير الله ـ موضع اتفاق بين علماء الإسلام)[2].

(١) البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، المجلد الرابع، الجزء السابع، ص ٤٠.

(٢) ثم ذكر فضيلته أقوال جمع من العلماء حول هذه المسألة. انظر: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة، ص ١٦٢، د. علي بن نفيع العلياني. وفي موضوع الجهاد وأهميته والرد على القوميين، وباقي المناهج المنحرفة فيه؛ راجع المرجع السابق، للدكتور العلياني.

هذا كله يسقطه المنهج العلماني للقوميين، ذلك المنهج الذي يذهب أن لكل أرض تاريخها وحضارتها المستقلة ولا شأن للإسلام بها، عبدوا ما عبدوا وتركوا ما تركوا، فنحن الآن في عصر التعايش السلمي، لا شيء اسمه فتوحات إسلامية، ولا شيء اسمه جزية، كل الدول - كافرة أو غيرها - هي دول صديقة وشقيقة نتعايش معها تعايشاً سلمياً لرفع مستوىٰ الاقتصاد العالمي، ورفاهية الشعوب والأفراد، ولا شأن للإسلام فيما يعبدون، وثناً كان أو حجراً أو شريكاً لله تعالىٰ!! فالإسلام في منهجهم له دوله الخاصة به لا يتعداها إلىٰ غيرها. لذلك تجد أن القوميين العرب لا ينادون بإسبانيا والبرتغال (بلاد الأندلس)، فهي عندهم أراضي نصرانية أوروبية اغتصبها العرب المسلمون، وهي الآن رجعت إلىٰ أهلها النصارىٰ السابقين، فلا يحق للمسلمين أن يطالبوا بها، ولا تجدهم يطالبون بالفلبين التي كانت ذات يوم أرضاً إسلامية فأصبحت الآن أرضاً نصرانية، ولا بالهند التي حكمها المسلمون أكثر من ثمانية قرون!! بل لا يجب علىٰ المسلمين أن يدعوا أو يجاهدوا غير المسلمين نصارىٰ أو غيرهم من أبناء لغتهم ووطنهم، فلا يجوز بينهم العداء، فهذا يؤدي إلىٰ الطائفية الممقوتة التي تُذهب بالوحدة القومية التي هي - في زعمهم - الأساس والأصل في المجتمعات. وكذلك فإن القوميين يوجبون تغيير أحكام الشريعة الإسلامية في بلدانهم ليحلوا بدلاً عنها (شريعة القومية المشتركة)، (فالعروبة مشتركة بين يهود ونصارىٰ ووثنيين وغيرهم، تقتضي شرعاً مشتركاً يرضي هؤلاء جميعاً)[١].

وهذا يؤدي إلىٰ نتيجتين كما يقول فضيلة الشيخ محمد قطب: (إزالة استعلاء المسلم الحق بإيمانه الناشئ من إحساسه بالتميز عن الجاهلية المحيطة به في كل الأرض، وإزالة روح الجهاد من قلبه ليطمئن الأعداء ويستريحوا)[٢].

وبعد ذكر هذه المسائل المترتبة علىٰ سلوك المنهج العلماني للقوميين العرب

---

(١) فكرة القومية العربية علىٰ ضوء الإسلام، ص ٢٦٢، د. صالح بن عبد الله العبود.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، ص ٥٩٣، فضيلة الشيخ محمد قطب.

في الرد على المزاعم اليهودية في أرض فلسطين؛ يجب على المؤرخين المسلمين أن ينتهجوا النهج الإسلامي الصحيح في ذلك، والمتمثل في قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

إن المسألة ليست متعلقة بقوم أو جنس أو نسل؛ إنما هي متعلقة باتباع دين الله الحق في كل زمان ومكان. فإبراهيم - عليه السلام - أعطاه الله وراثة الأرض، وأن يكون إماماً للناس، وخصها الله للمؤمنين من ذريته، قال - تعالى -: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

قال الحافظ ابن كثير في قوله - تعالى -: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: (يخبره أنه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده، ولا ينبغي أن يوليه شيئاً من أمره وإن كان من ذريته؛ ومحسن ستنفذ فيه دعوته وتبلغ له فيما أراد من مسألته... والظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكماً ولا مفتياً ولا شاهداً ولا راوياً)[(١)].

قال الأستاذ سيد قطب: (﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾؟ وجاءه الرد من ربه الذي ابتلاه واصطفاه؛ يقرر أن الإمامة لمن يستحقونها بالعمل والشعور، وبالصلاح والإيمان، وليست وراثة أصلاب وأنساب، فالقربى ليست وشيجة لحم ودم؛ إنما هي وشيجة دين وعقيدة، ودعوى القرابة والدم والجنس والقوم إن هي إلا دعوى الجاهلية التي تصطدم اصطداماً أساسياً بالتصور الإيماني الصحيح. ﴿قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، والظلم أنواع وألوان: ظلم النفس بالشرك، وظلم الناس بالبغي. والإمامة الممنوعة على الظالمين تشمل كل معاني الإمامة: إمامة الرسالة، وإمامة الخلافة، وإمامة الصلاة. وكل معنى من معاني الإمامة والقيادة؛ فالعدل بكل معانيه في أية صورة من صورها. ومن ظلم - أي لون من الظلم -؛ فقد جرد نفسه من حق الإمامة، وأسقط حقه فيها بكل معنى من معانيها)[(٢)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٤٩، ٢٥٠).

(٢) في ظلال القرآن (١/ ١١٢).

(إن الإسلام - بمعنى إسلام الوجه لله وحده - كان هو الرسالة الأولى، وكان هو الرسالة الأخيرة. . هكذا اعتقد إبراهيم، وهكذا اعتقد من بعده إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، حتى أسلموا هذه العقيدة ذاتها إلى موسى وعيسى. . ثم آلت أخيراً إلى ورثة إبراهيم من المسلمين. . فمن استقام على هذه العقيدة الواحدة فهو وريثها، ووريث عهودها وبشاراتها. ومن فسق عنها، ورغب بنفسه عن ملة إبراهيم، فقد فسق عن عهد الله، وقد فقد وراثته لهذا العهد وبشارته.

عندئذ تسقط كل دعاوى اليهود والنصارى في اصطفائهم واجتبائهم؛ لمجرد أنهم أبناء إبراهيم وحفدته، وهم ورثته وخلفاؤه! لقد سقطت عنهم الوراثة منذ ما انحرفوا عن هذه العقيدة)[١].

عندما رأى الرسول ﷺ يهود المدينة يصومون يوم عاشوراء؛ قال: (أنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه)[٢].

فرصيد الأنبياء هو رصيد الأمة الإسلامية التي آمنت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وتاريخهم هو تاريخها، والشرعية التي أعطاها الله للأنبياء وأتباعهم في حكم الأرض المباركة المقدسة هي دلالة على شرعية الأمة الإسلامية وأحقيتها في هذه الأرض وحكمها[٣].

(لا إشكال - وفق مفاهيمنا الإسلامية - في أن يكون الصالحون من بني إسرائيل محلاً لهذا الوعد أيام كانوا مفضلين على العالمين. أما الإشكال الكبير؛ فهو أن تُحرف تلك النصوص لتظل مربوطة باليهود ارتباطاً أبدياً، سواء استقاموا أم اعوجوا، فكيف تسند الإمامة في الدين إلى قوم قد أُخرجوا من الاصطفاء

---

(١) المرجع السابق(١ / ١١١).

(٢) انظر: تخريج الحديث في ص ٢٥ من هذا البحث.

(٣) الطريق إلى القدس، ص ١٤، د. محسن محمد صالح.

والاختيار إلى اللعنة والغضب)[١].

فليس لليهود والحركة الصهيونية أن تدّعي أن مطالبتها بفلسطين وما جاورها هي امتداد تاريخي لمملكتي داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ وجميع أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، فإن هؤلاء الأنبياء الكرام قد تبرؤوا من كل كافر حتى لو كان من بني إسرائيل، قال ـ تعالى ـ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]. والحركة الصهيونية ويهود العالم أجمع اليوم من الكفار؛ لأنهم لم يؤمنوا بالله رباً واحداً متفرداً بالربوبية والألوهية، ولم يؤمنوا بمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفس محمدٍ بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[٢].

فحُكْم أنبياء بني إسرائيل كان حكماً إسلامياً وليس يهودياً، وحروبهم إسلامية لنشر الإسلام، وليست حروباً يهودية عنصرية لسيادة الجنس اليهودي، ولقد قربوا الناس ووالوهم على أساس إسلامهم وإيمانهم، وليس على أساس جنسهم ويهوديتهم[٣].

وبالنسبة إلى مطالبة اليهود بإعادة بناء هيكل سليمان وبهدم المسجد الأقصى لأنه مبني على أنقاض الهيكل؛ فهذه مطالبة باطلة ومزورة ـ كما سيأتي بيانه ـ.

هيكل سليمان:

جاء ذكر الهيكل بأدق تفاصيل بنائه في أسفار اليهود، وبعض أقوال المؤرخين؛ نقلاً عن أسفار اليهود.

---

(١) حُمّى سنة ٢٠٠٠، ص ٢٧ـ٢٨، د. عبد العزيز مصطفى كامل.

(٢) انظر: تخريجه ص ٢٣٠ من هذا البحث.

(٣) حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، ص ٧٤، د. صلاح الخالدي.

فذُكر أن محراب الهيكل طوله عشرون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وسمكه عشرون ذراعاً، مغشىٰ بالذهب، والمذبح القائم أمام المحراب مغشىٰ بالذهب، وداخل الهيكل مغشىٰ بالذهب، والسلاسل الممتدة أمام المحراب من الذهب، وجميع الهيكل من أجنحة، ومنائر، وسرج، وأزهار، ومقاريض، وجامات، وصحون، ومجامر، ومصراعات، ومفاصيلها من ذهب خالص، وجدرانه من حجارة ضخمة بعضها عشرة أذرع، وبعضها ثمانية أذرع، وعدد غرفه خمس وأربعون، وكان طول رواق العمد خمسين ذراعاً، وعرضه ثلاثين، وكان رواق القضاء مصفحاً بالأرز اللبناني من الأرض إلىٰ السقف. . وغير ذلك من الأوصاف(١) .

وجاء في أسفار اليهود أن اسمه (بيت الرب)(٢) .

وكان الهدف من بنائه عبادة الله عز وجل، وذلك بشهادة أسفار اليهود.

(فيأتي ويصلي في هذا البيت)(٣) .

(وأصبح الهيكل منذ ذلك الحين المكان الوحيد الذي تُقَدَّم عنده القرابين)(٤) .

فإن كان هذا الهيكل صحيحاً كما زعم اليهود، فلم يبنه سليمان ـ عليه السلام ـ (لليهود باعتبارهم يهوداً، ولم يبنه ـ عليه السلام ـ لهدف عنصري أو طائفي أو قومي، لم يبنه ليخلد مجد اليهود؛ لأنهم شعب الله المختار، كما يزعمون.

---

(١) سفر الملوك الثالث، الفصل الخامس والسادس والسابع.

(٢) ملوك ثالث (٥ : ٣، ٥)، (٨ : ٢٠)، (٩ : ٣).

(٣) ملوك ثالث (٨ : ٤٢)، راجع الفصل الثامن من هذا السفر، ففيه توضيح أن سليمان بنىٰ هذا البيت لعبادة الله ـ عز وجل ـ وحده لا شريك له.

(٤) اليهودية، د. أحمد شلبي، ص ٢١٢.

لقد بنى سليمان ـ عليه السلام ـ هيكله لعبادة الله عز وجل، بناه ليسلم فيه الناس لله رب العالمين، فهو بيت للإيمان والإسلام، ولعبادة الله وطاعته وتقواه)(١).

ولكن هذا الهيكل الذي يدعيه اليهود لم يرد ذكره في القرآن الكريم جزماً، ولم يرد ذكره في السنة المطهرة، والله أعلم.

والذي ورد في السنة النبوية أن سليمان ـ عليه السلام ـ بنى بيت المقدس، وهو نفسه (المسجد الأقصى)؛ أي أنه قام بتجديده(٢).

روى النسائي وابن ماجه وغيرهما بالسند إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: (لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. فقال النبي ﷺ: أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة)(٣).

وقد روى الإمام البخاري بسنده إلى أبي ذر قال: (قلت: يا رسول! أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصل؛ فإن الفضل فيه)(٤).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

قيل إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو أول من بنى البيت الحرام ابتداء، وقيل إن

(١) حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينبة، د. صلاح الخالدي، ص٧٦.
(٢) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، المجلد الأول القسم الثاني منه، ص٢٤.
(٣) انظر تخريجه ص٤٢ من هذا الكتاب.
(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (١٠)، باب حديث أبي ذر «أي مسجد وضع في الأرض؟»، رقم (٣٣٦٩)، (٤/ ٤٦٦).

إبراهيم بنى البيت على قواعد من سبقه. وبين إبراهيم - عليه السلام - وسليمان - عليه السلام - أكثر من ألف سنة؛ مما يدل على أن سليمان جدد بناء المسجد الأقصى ولم يبنه ابتداء.

قال الحافظ ابن حجر: (قال ابن الجوزي: فيه إشكال؛ لأن إبراهيم بنى الكعبة وسليمان بنى بيت المقدس، وبينهما أكثر من ألف سنة. ومستنده في أن سليمان - عليه السلام - هو الذي بنى المسجد الأقصى ما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً بإسناد صحيح: (أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله - تعالى - خلالاً ثلاثاً) الحديث، وفي الطبراني من حديث رافع ابن عميرة: (أن داود - عليه السلام - ابتدأ ببناء بيت المقدس، ثم أوحى الله إليه: إني لأقضي بناءه على يد سليمان)، وفي الحديث قصة. قال: وجوابه أن الإشارة إلى أول البناء ووضع أساس المسجد، وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن، وكذا قال القرطبي: إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما)[1].

وهذا يدل على أن سليمان - عليه السلام - لم يبن هيكلاً كما زعمت يهود، ولكنه بنى مسجداً يتعبد فيه المسلمون لله عز وجل[2].

---

(١) فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبي ذر «أي مسجد وضع في الأرض؟»، (٦/ ٤٧٠).

(٢) وفيه أيضاً دحض لافتراءات النصارى بقولهم إن المسجد الأقصى كان كنيسة قد أقامها الإمبراطور جستنيان تبجيلاً للعذراء في الأصل، وحولها العرب إلى مسجد بأمر الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

جوستان لوبون، حضارة العرب، ص١٦٢. انظر: الطريق إلى بيت المقدس، (١/ ٤١)، د. جمال مسعود.

وقد ذهب بعض الكتاب المسلمين مذهباً غريباً في اعتبار أن الهيكل المزعوم بني قبل المسجد الأقصى؛ على اعتبار أن أول من بنى المسجد الأقصى هو عبد الملك بن مروان عام =

فإن كان هناك هيكل بناه سليمان ـ عليه السلام ـ؛ فالمقصود به ـ والله أعلم ـ هو تجديده لبيت المقدس.

ويزعم اليهود أن المسجد الأقصىٰ مبني علىٰ أنقاض الهيكل[1]. وما هذا الزعم إلا من الألاعيب اليهودية لطمس كل ما له صلة في فلسطين بالإسلام والمسلمين، وتحويلها إلىٰ أرض يهودية كافرة.

وخلاصة القول أن أصحاب الحق التاريخي لوراثة الأرض المباركة، أرض فلسطين وما حولها، هم أتباع الأمة الإسلامية الذين آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً ﷺ، فهؤلاء هم الذين ساروا علىٰ منهج كل الأنبياء، أنبياء بني إسرائيل أو مَنْ قبلهم من الأنبياء، المنهج الخاضع لتوحيد الله ـ عز وجل ـ وإفراده بالعبادة؛ مهما كان جنس هؤلاء المسلمين وأصلهم ولونهم، عرباً أو غير عرب، فمثلاً لو أسلم يهودي فآمن بالله وبرسوله محمد ﷺ، ولو أسلم هندوسي ووثني من الأعاجم؛ لأصبحوا بإيمانهم بالرسالة الإسلامية أولىٰ بفلسطين وما حولها من العربي القومي الذي قدم الإيمان بالعروبة والموالاة والمعاداة فيها عن الإسلام، كالعربي البعثي الاشتراكي الذي قال قائلهم:

= (٧٤هـ/ ٦٩٣م)، وأتمه ابنه الوليد من بعده. وهذا غلط ظاهر جداً. انظر: الصهيونية العالمية وأرض الميعاد، عطية، ص٣٢، والصهيونية بين الدين والسياسة، سالم الهرواي، ص٢٢٠.
وذهاب بعض الكتاب إلىٰ اعتبار أن الجدار الغربي للمسجد الأقصىٰ الذي يعتقد أن النبي ﷺ ربط البراق في رحلة الإسراء والمعراج فيه، لذلك يسميه المسلمون (حائط البراق)؛ أنه جزء من باقي الهيكل، واليهود تسميه (حائط المبكىٰ) لكثرة ما ينوحون عنده ويبكون. فهذا زعم باطل لا يستند إلىٰ دليل موثوق به. إلا أنّ هذا يخدم أهداف الحركة الصهيونية في زعمهم ضرورة هدم المسجد الأقصىٰ؛ لأنه مبني علىٰ أنقاض هيكلهم المزعوم. انظر: العنصرية اليهودية، د. أحمد الزغيبي، (٣/ ١٨٠)، وتاريخ القدس، عارف باشا العارف، ص٢٣٣، والصهيونية بين الدين والسياسة، للهراوي، ص٢٢١، ومن اليهودية إلىٰ الصهيونية، د. أسعد السحمراني، ص٤٩.

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (١/ ٢٠٥)، والصهيونية بين الدين والسياسة، ص٢٢١، والصهيونية وربيبتها إسرائيل، ص١١، والصهيونية العالمية وأرض الميعاد، ص٣٢، والعنصرية اليهودية، (٣/ ١٨٢).

هبوني عيداً يجعل العرب أمة وسيروا بجثماني على دين برهم

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم(١)

وكذلك أولىٰ من العربي النصراني الكافر الذي عمل جاهداً في الدول العربية الإسلامية علىٰ إزالة الإسلام منها وربطها بالقومية العربية ؛ حتىٰ يتسنىٰ له أن يتحكم فيها ويسيطر عليها ؛ حيث إنهم جميعاً متساوون في العروبة والقومية ، فلا فرق بينهم في الحقوق والامتيازات ، علىٰ أن النصارىٰ العرب يتفوقون علىٰ المسلمين العرب بقوة دولهم النصرانية (أمريكا وأوروبا) علىٰ الدول الإسلامية مجتمعة(٢) .

وليس ليهود العالم اليوم أي حق في المطالبة بأرض فلسطين وما حولها علىٰ أساس امتداد الحق التاريخي لبني إسرائيل الأقدمين ، فيهود اليوم فجرة كفرة ، كفروا بالله رباً وعصوا رسله ، ورفضوا اتباع الرسالة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ والذي بشّر بها أنبياء بني إسرائيل ، قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ**﴾ [**الأعراف** : ١٥٧] ، وأما أنبياء بني إسرائيل والصالحون منهم فقد آمنوا بالله ووحدوه وأخلصوا له العبادة ، ولا توارث بين ملتين (بين أهل الإيمان وأهل الكفر) .

والله تعالى أعلى وأعلم ،،،

(١) فكرة القومية العربية علىٰ ضوء الإسلام، ص ٢٦٣ ، د. صالح العبود.

(٢) انظر : في دور النصارىٰ في نشوء الفكرة القومية العربية وأهدافهم إلىٰ المرجع السابق ، للدكتور العبود، ص ١٤٢ .





الباب الثالث

موقف الإسلام من هذا الوعد

ويشمل فصلين:

الفصل الأول: موقف القرآن والسنة من أسفار اليهود.

الفصل الثاني: نصوص هذا الوعد في ضوء الكتاب والسنة.





الفصل الأول

موقف القرآن والسنة من أسفار اليهود



المبحث الأول
موقف القرآن الكريم من أسفار اليهود

لقد أخبرنا القرآن الكريم أن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أنزل علىٰ موسىٰ ـ عليه السلام ـ كتاب التوراة ليُبلّغه إلىٰ قومه من اليهود ويكون لهم ضياء وهدىٰ.

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[الأنبياء: ٤٨].

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ..﴾ إلىٰ قوله ـ سبحانه ـ: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١].

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧].

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: ٢].

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣ - ٤].

فنحن المسلمون نؤمن إيماناً جازماً بأن الله ـ عز وجل ـ أنزل التوراة علىٰ موسىٰ ـ عليه السلام ـ هدىٰ ونوراً، ولا نشك في هذا أبداً ونُكفّر من أنكر ذلك.

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وعندما سأل جبريل - عليه السلام - رسولنا ﷺ عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[١].

يقول الإمام ابن أبي العز - شارح الطحاوية - : (وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين فنؤمن بما سمّى الله - تعالى - منها في كتابه، من التوراة، والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله - تعالى - سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى)[٢].

وأن هذا الإيمان منصب على التوراة التي أنزلت على النبي موسى عليه السلام، وليس على توراة اليهود اليوم المسماة (بأسفار موسى الخمسة).

حيث إننا أهل الإسلام نؤمن إيماناً جازماً بأن توراة اليهود اليوم محرفة بالزيادة والنقصان ومبدلة.

فالقرآن الكريم دل على أن التحريف والتبديل والإهمال والكتمان والتضييع حصل من اليهود للتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام:

قال - تعالى - : ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [**المائدة**: ١٥].

وقال - تعالى - : ﴿**قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا**﴾ [**الأنعام**: ٩١].

وقال - تعالى - : ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [**آل عمران**: ٧١].

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، ح (٥٠)، (١/ ٣٣). صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ح (٨)، (١/ ٣٦-٣٧).

(٢) شرح الطحاوية، ص ٣١٢، تحقيق المحدث العلامة: محمد ناصر الدين الألباني.

فهذه الآيات تبين أن اليهود بكل تعمد وإصرار أخفوا وكتموا كثيراً من التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام ـ من عند الله تعالى، وخلطوا الحق بالباطل وهم على علم تام بصنيعهم هذا، ولكن أهواءهم، ومطامعهم الدنيوية، وأغراضهم الشهوانية، وحبهم لحياة ـ أياً كانت ـ عندهم فوق كل شيء ولو كان الدين.

ذكر الإمام ابن جرير الطبري أن (**الحق**) هو: التوراة التي أنزل الله على موسى، و(**الباطل**): الذي كتبوه بأيديهم، و(**اللبس**) هو: الخلط؛ أي لم تخلطون الحق بالباطل[١].

يقول سيد قطب: (وهذا خبر عن اليهود بما كان واقعاً منهم من جعل التوراة في صحائف يتلاعبون بها، فيبدون منها للناس ما يتفق مع خطتهم في التضليل والخداع والتلاعب بالأحكام والفرائض، ويخفون ما لا يتفق مع هذه الخطة من صحائف التوراة)[٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

وزيادةً على ذلك الكتمان؛ فإنهم لم يعملوا بها وأهملوها، ولم يبالوا بها؛ فأدى بهم ذلك إلى أن نسوا أجزاء منها.

يقول الإمام ابن جرير الطبري: (﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ أي وتركوا نصيباً، وهو كقوله ـ تعالى ـ: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]؛ أي تركوا أمر الله فتركهم)[٣].

ويقول الحافظ ابن كثير: (﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾؛ أي وتركوا العمل به رغبة عنه، وقال الحسن: تركوا عُرى دينهم ووظائف الله ـ تعالى ـ التي لا يقبل العمل إلا بها)[٤].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري، (٣/ ٣١٠).
(٢) في ظلال القرآن، (٢/ ١١٤٦).
(٣) تفسير الطبري، (جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن)، (١/ ١٥٥).
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢/ ٣٥).

يقول سيد قطب: (وطابعهم الأصيل هو تحريف الكلم عن مواضعه، ونسيان وإهمال لأوامر دينهم وشريعتهم، وعدم تنفيذها في حياتهم ومجتمعهم؛ لأن تنفيذها يكلفهم الاستقامة على منهج الله الطاهر النظيف القويم)(١).

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

يقول ابن كثير: (يقول الله ـ تعالىٰ ـ ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها؛ مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً؛ أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه، وكذلك في حملهم الكتاب الذي أوتوه؛ حفظوه لفظاً ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أوّلوه وحرّفوه وبدلوه)(٢).

يقول سيد قطب: (فبنو إسرائيل حُمّلوا التوراة، وكُلّفوا أمانة العقيدة والشريعة ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾، فحملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه، وينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الضمير والواقع، ولكن سيرة بني إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم ـ وكما هي في حقيقتها ـ لا تدل على أنهم قدّروا هذه الأمانة، ولا أنهم فقهوا حقيقتها، ولا أنهم عملوا بها. ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام، وليس له منها إلا ثقلها، فهو ليس صاحبها وليس شريكاً في الغاية منها)(٣).

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

---

(١) في ظلال القرآن، (٢/ ٨٥٩).
(٢) تفسير ابن كثير، (٤/ ٣٨٩).
(٣) في ظلال القرآن، (٦/ ٣٥٦٧).

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١].

قال ابن جرير الطبري: (يقول الله ـ جلّ ثناؤه ـ لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، لا تعجبنّ من هؤلاء اليهود الذين همّوا أن يبسطوا أيديهم إليك وإلىٰ أصحابك، ونكثوا العهد الذي بينك وبينهم؛ غدراً منهم بك وبأصحابك، فإن ذلك من عاداتهم، وعادات سلفهم، ومن ذلك أني أخذت ميثاق سلفهم علىٰ عهد موسىٰ ﷺ علىٰ طاعتي، وبعثت منهم اثني عشر نقيباً، قد تُخيروا من جميعهم ليتجسسوا أخبار الجبابرة، ووعدتهم النصر عليهم، وأن أورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، بعد ما أريتهم من العبر والآيات؛ بإهلاك فرعون وقومه في البحر، وفلق البحر لهم، وسائر العبر، فنقضوا ميثاقهم الذي واثقوني، ونكثوا عهدي، فلعنتهم بنقضهم ميثاقهم؛ فإذا كان ذلك من فعل خيارهم مع أيادي عندهم؛ فلا تستنكروا مثله من فعل أراذلهم... وجعلنا قلوبهم قاسية غليظة يابسة عن الإيمان بي، والتوفيق لطاعتي، منزوعة منها الرأفة والرحمة... فهم لنزع الله ـ عز وجلّ ـ التوفيق من قلوبهم والإيمان؛ يحرّفون كلام ربهم الذي أنزله علىٰ نبيهم موسىٰ ﷺ، وهو التوراة، فيبدلونه ويكتبون بأيديهم غير الذي أنزله الله ـ جلّ وعز ـ علىٰ نبيهم، ويقولون لجهال الناس: هذا هو كلام الله الذي أنزله علىٰ نبيه موسىٰ ﷺ، والتوراة التي أوحاها إليه)[1].

يقول سيد قطب: (فهذه سمات يهود التي لا تفارقهم، لعنة تبدو علىٰ سيماهم؛ إذ تنضح بهم جبلتهم الملعونة المطرودة من الهداية، وقسوة تبدو في

(١) تفسير ابن جرير الطبري، (٦/ ١٥٣ ـ ١٥٥).

ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة، وفي تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية، ومهما حاولوا ـ مكراً ـ إبداء اللين في القول عند الخوف وعند المصلحة، والنعومة في الملمس عند الكيد والوقيعة؛ فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشي بجفاف القلوب والأفئدة، وطابعهم الأصيل هو تحريف الكلم عن مواضعه؛ تحريف كتابهم أولاً عن صورته التي أنزلها الله على موسى عليه السلام؛ إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم الملتوية، ويبررها بنصوص من الكتاب مزورة على الله! وإما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى والمصلحة والهدف الخبيث)[1].

وبيَّن الله ـ عز وجل ـ في كتابه الكريم أن هذا التحريف الذي حصل في التوراة المنزلة قد قام به فريق من اليهود، وهم الأحبار والرهبان الذين استُحفظوا فيها فضيعوا هذه الأمانة، فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ولكنهم للأسف، وكما قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

يقول ابن جرير الطبري: (يعني بذلك ـ جلّ ثناؤه ـ: وإن من أهل الكتاب،

---

(١) في ظلال القرآن، (٢/ ٨٥٩).

وهم اليهود. ﴿لَفَرِيقًا﴾؛ يعني: جماعة. ﴿يَلْوُونَ﴾؛ يعني: يحرّفون. ﴿أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾؛ يعني: لتظنوا أن الذي يحرّفونه لكلامهم من كتاب الله وتنزيله. يقول الله - عز وجل -: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم، فحرّفوه وأحدثوه من كتاب الله، ويزعمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فألحقوه في كتاب الله من عند الله، يقول: مما أنزله الله على أنبيائه، وما هو من عند الله، يقول: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم، فأحدثوه مما أنزله الله على أحد أنبيائه، ولكن مما أحدثوه من قِبَل أنفسهم؛ افتراءً على الله، يقول - عز وجل -: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (يعني بذلك: أنهم يتعمدون قيل الكذب على الله، والشهادة عليه بالباطل، والإلحاق بكتاب الله ما ليس منه؛ طلباً للرياسة والخسيس من حطام الدنيا)(١).

ويقول ابن كثير: (وهؤلاء صنف آخر من اليهود، وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على الله وأكل أموال الناس بالباطل. والويل: الهلاك والدمار، ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكذب والبهتان والافتراء، ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم﴾ مما أكلوا به من السحت)(٢).

ويقول سيد قطب: (والفريق المشار إليه هنا هو أعلم اليهود وأعرفهم بالحقيقة المنزلة عليهم في كتابهم، هم الأحبار والربانيون الذين يسمعون كلام الله المنزل على نبيهم موسى في التوراة ثم يحرفونه عن مواضعه، ويؤولونه التأويلات البعيدة التي تخرج به عن دائرته. لا عن جهل بحقيقة مواضعه، ولكن عن تعمد للتحريف وعلم بهذا التحريف، يدفعهم الهوى، وتقودهم المصلحة، ويحدوهم الغرض المريض)(٣).

---

(١) تفسير الطبري، (٣/ ٣٢٣).
(٢) تفسير ابن كثير، (١/ ١٢١-١٢٢).
(٣) في ظلال القرآن، (١/ ٨٤).

(ثم يستطرد فيقص على المسلمين من أحوال بني إسرائيل: إنهم فريقان: فريق أمي جاهل، لا يدري شيئاً من كتابهم الذي نزل عليهم، ولا يعرف منه إلا أوهاماً وظنوناً، وإلا أماني في النجاة من العذاب؛ بما أنهم شعب الله المختار، المغفور له كل ما يُعمل وما يُرتكب من آثام! وفريق يستغل هذا الجهل وهذه الأمية فيزوّر على كتاب الله، ويحرّف الكلم عن مواضعه بالتأويلات المغرضة، ويكتم منه ما يشاء، ويبدي منه ما يشاء، ويكتب كلاماً من عند نفسه يذيعه في الناس باسم أنه من كتاب الله، كل هذا ليربح ويكسب، ويحتفظ بالرياسة والقيادة)[١].

(ثم يمضي في عرض نماذج من أهل الكتاب، فيعرض نموذج المضللين الذين يتخذون من كتاب الله مادة للتضليل، يلوون ألسنتهم به عن مواضعه، ويؤولون نصوصه لتوافق أهواء معينة، ويشترون بهذا كله ثمناً قليلاً؛ عرضاً من أعراض هذه الحياة الدنيا)[٢].

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم أوضح أن التحريف وقع في توراة موسى -عليه السلام- بطرق شتى، وهي:

أ- إلباس الحق بالباطل والباطل بالحق، وهو خلطهما بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر.

قال -تعالى-: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [آل عمران: ٧١].

---

(١) المرجع السابق، (١/ ٨٥).

(٢) ثم استطرد -رحمه الله تعالى- قائلاً: (وآفة رجال الدين حين يفسدون؛ أن يصبحوا أداة لتزييف الحقائق باسم أنهم رجال الدين، وهذه الحال التي يذكرها القرآن عن هذا الفريق من أهل الكتاب؛ نعرفها نحن جيداً في زماننا هذا، فهم كانوا يؤولون نصوص كتابهم ويلوونها لياً، ليصلوا منها إلى مقررات معينة، يزعمون أنها مدلول هذه النصوص، وأنها تمثل ما أراده الله منها، بينما هذه المقررات تصادم حقيقة دين الله في أساسها، معتمدين على أن كثرة السامعين لا تستطيع التفرقة بين حقيقة الدين ومدلولات هذه النصوص الحقيقية، وبين تلك المقررات المفتعلة المكذوبة التي يلجؤون إليها النصوص إلجاء)، المرجع السابق، (١/ ٤١٨، ٤١٩).

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة: ٤٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن أهل الكتاب لبسوا الحق بالباطل بسبب الحق اليسير الذي معهم، يضلون خلقاً كثيراً من الحق الذي يجب الإيمان به، ويدعونه إلىٰ الباطل الكثير الذي هم عليه)(١).

ب ـ كتمان الحق وإخفاؤه:

كما سبق توضيح ذلك، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢].

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ [الأنعام: ٩١].

ج ـ ليُّ اللسان:

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ عليهم هذا التحريف بقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨](٢).

---

(١) ثم استطرد ـ رحمه الله ـ قائلاً: (وكثيراً ما يعارضهم من أهل الإسلام من لا يحسن التمييز بين الحق والباطل، ولا يقيم الحجة التي تدحض باطلهم، ولا يبين حجة الله التي أقامها برسله، فيحصل بسبب ذلك فتنة)، مجموع الفتاوي، (٣٥/ ١٩٠).

(٢) ﴿يَلْوُونَ﴾: لوىٰ: (اللام والواو والياء) أصل صحيح، يدل علىٰ إمالة الشيء. واللّيُّ: فتل الحبل، يقال: لويته ألويه ليّاً. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون: ٥]: أي أمالوها. ولوىٰ لسانه بكذا: كناية عن الكذب وتخرّص الحديث. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧٨]. معجم مقاييس اللغة، (٥/ ٢١٨)، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، ومفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، ص ٧٥٢، ت: صفوان داودي، والقاموس المحيط، ص ١٧١، للفيروز آبادي. أي أن بني إسرائيل كانوا حين يقرؤون كلام الله يميلون بألسنتهم عما أنزل الله إلىٰ اللفظ المحرف لتضليل الناس وغوايتهم.

د ـ تحريف الكلم عن مواضعه:

وقد مر ذكره بأدلته، ومنها قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦](١).

هذا بالنسبة لتوراة موسىٰ ـ عليه السلام ـ المنزلة التي تسمىٰ عند اليهود (بأسفار موسىٰ الخمسة)، فذكر الله ـ تعالىٰ ـ ما وقع فيها من التحريف والتبديل والكتمان ولبس الحق بالباطل.

أما بالنسبة لباقي أسفار اليهود (أسفار العهد القديم) من غير توراة موسىٰ عليه السلام؛ فلم يذكر القرآن الكريم عنها شيئاً أصلاً.

وبالنسبة لمزامير داود ـ عليه السلام ـ التي ورد ذكرها في أسفار العهد القديم؛ فالقرآن الكريم ذكر أن الله أنزل علىٰ داود كتاباً اسمه الزبور: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [النساء: ١٦٣]، ولم يذكر أن اسمه مزامير بل زبور، ثم إن كتاب داود ـ عليه السلام ـ لم يأت ذكره في القرآن بالتفصيل، إلا كما في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

---

(١) ويقول ابن قيم الجوزية: (وتحريف الكلم عن مواضعه نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه)، هداية الحيارىٰ، ص ٣١٢، ت د. محمد أحمد الحاج.
ويقول الشيخ رحمت الله الهندي: (وتحريف اللفظ ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: تبديل الألفاظ، والزيادة فيها، ونقصانها)، إظهار الحق، (٢/ ٤٢٧)، ت د. محمد أحمد ملكاوي.

المبحث الثاني
موقف السنة المطهرة من أسفار اليهود

لقد أشار رسول الله ﷺ إلىٰ أن التوراة المنزلة علىٰ النبي موسىٰ ـ عليه السلام ـ قد وقع فيها التحريف والتبديل.

فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً فاتبعوه، وتركوا التوراة)(١).

وورد في سبب نزول قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤١ - ٤٣].

روىٰ الإمام مسلم في الصحيح بسنده إلىٰ نافع أن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أخبره أن رسول الله ﷺ أُتي بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله ﷺ حتىٰ جاء يهود فقال: (ما تجدون في التوراة علىٰ من زنىٰ؟ قالوا: نُسَوّد

---

(١) حديث حسن رواه الطبراني عن أبي موسىٰ الأشعري. انظر في ذلك: صحيح الجامع الصغير وزيادته، لفضيلة العلامة محمد ناصر الدين الألباني، حديث رقم (٢٠٤٤)، ص ٤٠٩، المجلد الأول، ومجمع الزوائد، (١/ ١٧٢)، واليهود في السنة المطهرة، للشقاري، (٢/ ٢٤٥).

وجههما ونحمّلهما(١)، ونخالف بين وجههما، ويطاف بهما. قال: فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين. فجاؤوا بها فقرؤوها حتى إذ مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها. فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله ﷺ: مُره فليرفع يده. فرفعها فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما.

قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: كنت فيمن رجمهما، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه)(٢).

وروى أيضاً الإمام مسلم في الصحيح بسنده إلى البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: (مر على النبي ﷺ بيهودي محمّماً مجلوداً فدعاهم ﷺ فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى؛ أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التّحميم والجلد مكان

---

(١) ونحمّلهما: هكذا هو في أكثر النسخ: نحملهما، وفي بعضها نجملهما، وفي بعضها نحمّمهما، وكله متقارب. فمعنى الأول: نحملهما على جمل، ومعنى الثاني: نجملهما جميعاً على الجمل، ومعنى الثالث: نسود وجههما بالحمم وهو الفحم. وهذا الثالث ضعيف؛ لأنه قال قبله: نسود وجوههما). شرح النووي لصحيح الإمام مسلم، (١١/ ١٧٥).

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، (٣/ ١٣٢٦)، حديث رقم (١٦٩٩).

ونص الرجم في التوراة الحالية: (وإن وجد رجل مضاجعاً امرأة ذات بعل فليُقتلا جميعاً؛ الرجل المضاجع لها والمرأة، واقلع الشر من إسرائيل. وإذا كانت فتاة بكر مخطوبة لرجل فصادفها رجل في المدينة فضاجعها؛ فأخرجهما كليهما إلى باب تلك المدينة، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا، أما الفتاة فلأنها لم تصرخ وهي في المدينة، وأما الرجل فلأنه أذل زوجة قريبه، فاقلع الشر من بينكم)، تثنية (٢٢: ٢٢ـ ٢٤).

الرجم. فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه. فأمر به فرجم، فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١]. يقول: ائتوا محمداً ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] في الكفار كلها)(١).

ومن خلال هذه الحادثة يتبين أمور:

١ ـ أن التحريف والتبديل وقع في التوراة المنزلة بفعل علمائهم، وحصل من باقي اليهود التواطؤ على هذه المسألة، بل تنفيذ الأحكام المحرفة والمبدلة، وترك الأحكام المنزلة من عند الله بموافقة علمائهم.

٢ ـ يعلم اليهود أن هذا العمل الذي قاموا به وهو التحريف والتبديل في كتابهم المنزل؛ سوف يعرضهم لسخط الله وعذابه، فبحثوا عن مخرج وحجة لهم في ذلك تمنع عذاب الله عنهم، وذلك بعرض هذه الأحكام المحرفة والمبدلة على رسول الله ﷺ، فإن وافقهم عليها جعلوا هذه الموافقة حجة فيما بينهم وبين الله عز وجل.

يقول الحافظ ابن كثير: (فلما وقعت تلك الكائنة ـ وهي جريمة الزنى من محصن ـ بعد الهجرة، قالوا فيما بينهم: تعالوا حتى نتحاكم إليه ـ أي إلى الرسول محمد ﷺ ـ، فإن حكَمَ بالجلد والتحميم؛ فخذوا عنه واجعلوه حجة بينكم وبين الله ويكون نبي من أنبياء الله قد حكَمَ بينكم بذلك، وإن حكَمَ بالرجم؛ فلا تتبعوه في ذلك)(٢).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، (١ / ١٣٢٧)، حديث رقم (١٧٠٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، (٢ / ٦٠).

يقول الأستاذ سيد قطب: (فلما وقعت منهم هذه الجرائم في عهد رسول الله ﷺ تآمروا على أن يستفتوه فيها، فإذا أفتى لهم بالعقوبات التعزيرية المخففة عملوا بها، وكانت هذه حجة لهم عند الله، فقد أفتاهم بها رسول! وإن حكم فيها بمثل ما عندهم في التوراة لم يأخذوا بحكمه. فدسوا بعضهم يستفتيه، ومن هنا حكاية قولهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١]. وهكذا بلغ بهم العبث، وبلغ منهم الاستهتار، وبلغ منهم الالتواء أيضاً في التعامل مع الله والتعامل مع رسول الله ﷺ هذا المبلغ)[١].

ويقول الحافظ ابن كثير: (فهذه الأحاديث دالة على أن رسول الله ﷺ حكم بموافقة حكم التوراة، وليس هذا من باب الإكرام لهم بما يعتقدون صحته؛ لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي لا محالة، ولكن هذا بوحي خاص من الله ـ عز وجل ـ إليه بذلك. وسؤاله إياهم عن ذلك ليقررهم على ما بأيديهم مما تواطؤوا على كتمانه وجحده وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة، فلما اعترفوا به مع عملهم على خلافه بان زيفهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم، وعدولهم إلى تحكيم الرسول ﷺ إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به، ولهذا قالوا: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ﴾؛ أي الجلد والتحميم، ﴿فَخُذُوهُ﴾؛ أي اقبلوها، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾؛ أي من قبوله واتّباعه)[٢].

ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق، وما رواه ابن جرير بالسند إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (جاء رسول الله ﷺ رافع بن حارثة، وسلام بن مسكين[٣]، ومالك بن الصيف، ورافع بن

---

(١) في ظلال القرآن، الأستاذ: سيد قطب، (٢/ ٨٩٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، (٢/ ٦٢).

(٣) في التفسير عند ابن جرير (مسكين)، وفي السيرة عند ابن هشام (مشكم).

حرملة، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟ فقال رسول الله ﷺ: بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق، وكتمتم منها ما أُمرتم أن تبينوه للناس، وأنا بريء من إحداثكم. قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا، فإنا على الحق والهدى ولا نؤمن بك ولا نتبعك. فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨][١].

ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن سعد في الطبقات بالسند إلى جعفر بن عبد الله ابن الحكم، قال: كان الزبير بن باطا ـ وكان أعلم اليهود ـ يقول: (إني وجدت سِفْراً كان أبي يكتمه عليّ، فيه ذكر أحمد، نبي يخرج بأرض القرظ[٢]، صفته كذا وكذا. فتحدث به الزبير بعد أبيه، والنبي ﷺ لم يُبعث، فما هو إلا أن سمع بالنبي ﷺ قد خرج بمكة، حتى عمد إلى السِّفْر فمحاه، وكتم شأن النبي ﷺ وقال: ليس به)[٣].

وروى الإمام البخاري بالسند، أن مروان قال لبوابه: (اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أُوتي وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذباً

(١) رواه ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق من غير إسناد، (٢/ ٢٠٩)، باعتناء عمر عبد السلام تدمري. ورواه الإمام ابن جرير في التفسير في تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المائدة: ٦٨]، (٦/ ٣١٠)، عن ابن عباس بهذا اللفظ. ويقول فضيلة د. عبد الله بن ناصر الشقاري: ورجال إسناده موثقون. اليهود في السنة المطهرة، (٢/ ٥١٨).

(٢) القرظ: بالفتح، ورق السَّلَمَ أو ثمر السنط، يدبغ به. ومنه أديم مقروظ أي دُبغ وصُبغ به. قال أبو حنيفة: القرظ أجود ما تدبغُ به الأُهُب في أرض العرب. وهي تدبغ بورقه وثمره. لسان العرب، (٧/ ٤٥٤)، لابن منظور. القاموس المحيط، ص ٩٠١، للفيروز آبادي.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات، (١/ ١٥٩)، وهذا خبر مرسل، وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي، يقول ابن حجر عنه: «متروك مع سعة علمه»، تقريب التهذيب، ص٤٩٨، رقم (٦١٧٥)، باعتناء محمد عوامة. ويقول فضيلة د. عبد الله الشقاري: «وبقية رجال إسناده ثقات»، اليهود في السنة المطهرة، (٢/ ٥١٨).

لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم. ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، كذلك، حتى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٨٨])(١).

---

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح بهذا اللفظ في كتاب التفسير، (٣/ ٢١٣)، رقم (٤٥٦٨)، باعتناء محب الدين الخطيب وجماعة، المكتبة السلفية. ورواه مسلم في الصحيح في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، (٤ / ١٣٤)، رقم (٨ / ١٧٧٨)، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.



الفصل الثاني

نصوص هذا الوعد في ضوء الكتاب والسنة



المبحث الأول
وقفات مع بعض آيات كتاب الله عز وجل

المطلب الأول: وقفة مع بعض آيات سورة المائدة:

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠ ـ ٢٦].

ويتضح من هذه الآيات:

١ ـ أن نعم الله وآلاءه علىٰ بني إسرائيل ظاهرة تماماً، ومنها كثرة إرساله ـ عز وجل ـ إليهم بأنبياء كرام يبينون لهم الحق.

يقول الحافظ ابن كثير: (أي كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن أبيكم إبراهيم إلىٰ من بعده، وكذلك كانوا لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلىٰ الله ويحذرون نقمته حتىٰ ختموا بعيسىٰ ابن مريم عليه السلام، ثم أوحىٰ الله إلىٰ خاتم الأنبياء والرسل علىٰ الإطلاق محمد بن عبد الله المنسوب إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وهو أشرف من كل من تقدمه منهم ﷺ)(١).

(١) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، (٢ / ٣٨).

ومن نعم الله على بني إسرائيل ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ .

يقول الآلوسي : (﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ عطف على ﴿جَعَلَ فِيكُمْ﴾ ، وغيّر الأسلوب فيه لأنه لكثرة الملوك فيهم أو منهم صاروا كلهم كأنهم ملوك لسلوكهم مسلكهم في السعة والترف ، فلذا تجوز في إسناد الملك إلى الجميع ؛ بخلاف النبوة ؛ فإنها وإن كثرت لا يسلك أحد مسلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ لأنها أمر إلهي يخص الله - تعالى - به من يشاء ، فلذا لم يتجوّز في إسنادها ، وقيل : لا مجاز في الإسناد ، وإنما هو في لفظ الملوك ؛ فإن القوم كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله تعالى ، فسمي ذلك الإنقاذ ملكاً ، وقيل : لا مجاز أصلاً بل جعلوا كلهم ملوكاً على الحقيقة)[1] .

حيث روي عن ابن عباس قال : (كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار يسمى ملكاً)[2] .

وقال ابن الجوزي : بكونهم أحراراً يملك الإنسان منهم نفسه وماله وأهله[3] .

﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ .

يقول الإمام ابن جرير : (خطاب من موسى - عليه السلام - لقومه يومئذ ، وعنى بذلك عالمي زمانه ، لا عالمي كل زمان ، ولم يكن أوتي في ذلك الزمان من نعم الله وكرامته ، ما أوتي قومه - عليه السلام - أحد من العالمين)[4] .

يقول سيد قطب : (وإيتاؤه لهم بهذا ، وذلك ما لم يؤت أحداً من العالمين حتى ذلك التاريخ)[5] .

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل محمود الآلوسي ، (٤/ ١٥٥) .
(٢) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ، (٦/ ١٦٩) ، وذكره ابن كثير في التفسير ، (٢/ ٣٨) .
(٣) زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، (٢/ ١٩٠) .
(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، (٦/ ١٧١) .
(٥) في ظلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب ، (٢/ ٨٦٩) .

٢ ـ ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

الأرض المقدسة: هي الأرض المطهرة المباركة.

وفي المراد بهذه الأرض المقدسة أقوال خمسة، وهي: الطور وما حوله، وقيل الشام كلها، وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقيل أريحا، وقيل إيلياء بيت المقدس(١).

ويرجح الإمام ابن جرير الطبري أن الأرض المقدسة هي التي ما بين الفرات وعريش مصر. فقد قال: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ أن يقال الأرض المقدسة، كما قال نبي الله موسى عليه السلام؛ لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج عن أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر)(٢).

وقد ذكر الحافظ السيوطي في التفسير: أن معاذ بن جبل قال: الأرض ما بين العريش إلى الفرات(٣).

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي التي أمركم الله بدخولها وفتحها، فهي وراثة لمن آمن منكم على لسان نبيكم دون الذين فيها ممن لم يتخذوا الله إلهاً واحداً لا شريك له(٤).

ولكن هل معنى الآية أن لليهود حقاً مستمراً في امتلاك هذه الأرض المباركة

---

(١) معالم التنزيل، للبغوي، (٣/ ٣٥)، وزاد المسير، لابن الجوزي (٢/ ١٩١)، وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان، (٣/ ٤٦٩)، وجامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري، (٦/ ١٧١ - ١٧٢).

(٢) المرجع السابق، تفسير ابن جرير الطبري، (٦/ ١٧٢).

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (٢/ ٤٧٨).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري، (٦/ ١٧٢)، ومعالم التنزيل، للبغوي، (٣/ ٦٣)، وتفسير ابن كثير، (٢/ ٣٩)، والدر المنثور، للسيوطي، (٢/ ٤٧٨).

في أي وقت أرادوا من الزمان إلى قيام الساعة؟

الجواب: لا شك أنه بالنفي.

ويتضح ذلك من خلال ما يأتي:

أ- أن الأرض لله - تعالى - يورثها من يشاء من عباده، وليس للعباد في ذلك من يد.

وقد بين موسى - عليه السلام - هذا الأمر لبني إسرائيل وهم ما زالوا في مصر يعانون من الذلة والمهانة، قال - تعالى -: ﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [**الأعراف**: ١٢٨].

يقول الأستاذ سيد قطب: (إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد، وهو الملاذ الحصين الأمين، وإلا ولي واحد وهو الولي القوي المتين، وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصرة في الوقت الذي يقدِّره بحكمته وعلمه، وألا يعجلوا، فهم لا يطلعون الغيب، ولا يعلمون الخير.

وإن الأرض لله، وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها، والله يورثها من يشاء من عباده - وفق سنته وحكمته - فلا ينظر الداعون إلى رب العالمين، إلى شيء من ظواهر الأمور التي تخيل للناظرين أن الطاغوت مكين في الأرض غير مزحزح عنها، فصاحب الأرض ومالكها هو الذي يقرر متى يطردهم منها! وإن العاقبة للمتقين، طال الزمن أم قصر، فلا يخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير، ولا يخايل لهم تقلب الذين كفروا في البلاد، فيحسبونهم باقين)(١).

فهذه الآية تبين أن الأرض لله - عز وجل - يورثها من يشاء من عباده، ويجب على المؤمنين أن يتسلحوا بسلاح الاستعانة بالله عز وجل، وبالصبر حتى يجعل العاقبة لهم.

---

(١) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، (٣/ ١٣٥٥).

ب ـ وراثة الأرض من الله للقوم الصالحين، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٦].

وفي هذا بيان سنة الله المقررة في وراثة الأرض: ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، لقد وضع الله للبشر منهجاً كاملاً للعمل علىٰ وفقه في هذه الأرض، منهجاً يقوم علىٰ الإيمان والعمل الصالح.

وفي الرسالة الأخيرة ـ الإسلام ـ للبشر فصّل هذا المنهج، وشرع له القوانين التي تقيمه وتحرسه، وتكفل التناسق والتوازن بين خطواته وهو عمارة الأرض واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقتها مع العناية بضمير الإنسان بإيمانه بالله ـ عز وجل ـ وتقواه، ليبلغ الإنسان كماله المقدر له في هذه الحياة.

وفي الطريق لبلوغ ذلك التوازن والتناسق تميل كفة وترجح كفة، وقد يغلب علىٰ الأرض جبارون وظلمة وطغاة، وقد يغلب عليها همج ومتبربرون وغزاة، وقد يغلب عليها كفار فجار يُحسنون استغلال قوىٰ الأرض وطاقاتها استغلالاً مادياً.

ولكن هذه ليست سوىٰ تجارب الطريق، والوراثة الأخيرة هي للعباد الصالحين الذين يجمعون بين الإيمان والعمل الصالح، فلا يفترق في كيانهم هذان العنصران، ولا في حياتهم.

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾: إن في هذا القرآن وما يكشفه من سنن في الكون والحياة، ومن مصائر الناس في الدنيا والآخرة، ومن قواعد العمل والجزاء، إن في هذا لبلاغاً وكفاية للمستعدين لاستقبال هدىٰ الله. ويسميهم (عابدين)؛ لأن العابد خاشع القلب، طائع، متهيئ للتلقي والتدبر والانتفاع[1].

---

(١) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، (٤/ ٢٤٠٠ ـ ٢٤٠١)، (بقليل من التصرف).

(إن الحقيقة التي ندين الله بها: أن الحق في وراثة الأرض المقدسة، بل في الأرض كلها، يرجع إلى الثبات على دين الله، والدخول في ركب المؤمنين؛ لذلك فإن بني إسرائيل لما سكنوا تلك الأرض - قبل اللعنة والطرد - كانوا أحق بها من الوثنيين العرب، ثم لما تجرد اليهود عن وصف الصلاح، ودخل العرب في الدين الحق؛ ورّثهم الله أرض المقدسات ليحموها ويعبدوا الله فيها)[١].

فشرط الوراثة أن تكون الأمة مستقيمة في خُلُقها، في سيرها في الحياة وصلتها بالله تعالى، مع تملك الأسباب المادية الكافية، مع تكاتف هذه الأمة فيما بينها، وأن تستمر في مجاهدة قوى الكفر والطغيان، فالنصر لا يأتي بدون تضحيات بالأموال والأنفس[٢].

و(ما معنى أن يقرر الله هذه السنَّة الربانية في الزبور الذي أنزله الله على داود لبني إسرائيل؟ إنه من أجل أن يصحح لهم نظراتهم للأرض ووراثتها، ويوضح شروط كونها لهم، ويفند مزاعمهم حولها، إن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، فهل يهود ما زالوا عباداً لله أو أصبحوا عبيداً للشيطان؟ وهل استمر هؤلاء في صلاحهم وإيمانهم، أو تحولوا إلى ضلال وفجور وكفر؟ إن الآية تقرر أن يهود لا حقَّ لهم في فلسطين - وإن سكنوا بعضها فترة من الزمان -، وأنهم لا يرثونها لأنهم لا يملكون مؤهلات الوراثة)[٣].

٣- ويؤيد ذلك في هذه الآيات، قصة حادثة معينة لفترة قصيرة من الزمان لا تتعدى الجيلين، ولكن تبرز فيها هذه السُّنَّة الربانية بوراثة الأرض بوضوح وقوة.

وهي: أن بني إسرائيل امتنعوا وأحجموا وجبنوا عن دخول الأرض المقدسة

---

(١) حُمّى سنة ٢٠٠٠، ص ٢٨، د. عبد العزيز مصطفى كامل.

(٢) حقيقة معركتنا مع إسرائيل، عبد الغفور العقرب، ص ٤٧، ٤٩.

(٣) الشخصية اليهودية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص ١٥٣. وانظر كذلك: ص (٢٢٥-٢٣٠)، (٢٤٤-٢٤٦) من هذا الكتاب.

التي أمرهم موسى ـ عليه السلام ـ بدخولها؛ وذلك لما علموا بأن أهلها أقوياء جبارون، فرفضوا الامتثال وقالوا له ـ عليه السلام ـ: إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها إلا إذا خرجوا منها، ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. فكتب الله عليهم التيه في الصحراء أربعين سنة، حتى نشأ ذلك الجيل الجديد الذي تربى على قسوة الصحراء وجفافها، فأصبح قادراً على تحمل المشاق، والثبات في أوقات الشدائد، مع تعبئة إيمانية قوية صالحة، فاكتملت بهذا شروط الوراثة؛ من الإيمان والصلاح، واتخاذ الأسباب المادية من القوة والشجاعة والرجولة، واستطاع حينئذ نبي الله يوشع بن نون أن يدخل بهم فلسطين، ويفتحها بتأييد الله ونصره.

يقول الأستاذ سيد قطب: (وهكذا أسلمهم الله ـ وهم على أبواب الأرض المقدسة ـ للتِّيه، وحرَّم عليهم الأرض التي كتبها لهم، والأرجح أنه حرمها على هذا الجيل منهم حتى تنبت نابتة جديدة، وحتى ينشأ جيل غير هذا الجيل، جيل يعتبر بالدرس، وينشأ في خشونة الصحراء وحريتها صلب العود، جيل غير هذا الجيل الذي أفسده الذل والاستعباد والطغيان في مصر، فلم يعد يصلح لهذا الأمر الجليل! والذل والاستعباد والطغيان يفسد فطرة الأفراد كما يفسد فطرة الشعوب.

ولقد وعى المسلمون هذا الدرس ـ مما قصه الله عليهم من القصص ـ، فحين واجهوا الشدة وهم قلة أمام نفير قريش في غزوة بدر؛ قالوا لنبيهم ﷺ: إذن لا نقول لك يا رسول الله! ما قاله بنو إسرائيل لنبيهم: (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)، لكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون)[١].

---

(١) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، (٢/ ٨٧١).
وقد قال هذه المقالة لرسول الله ﷺ، في غزوة بدر، المقداد بن عمرو، وذلك عندما استشار الرسول ﷺ من معه من المهاجرين والأنصار قبل بدء معركة بدر.
السيرة النبوية، لابن هشام، (٢ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨)، اعتناء عمر عبد السلام تدمري، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، ص ٣٤١.

المطلب الثاني: وقفة مع بعض آيات سورة الإسراء:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴿٧﴾ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾ [الإسراء: ٤ - ٨].

بينت هذه الآيات الكريمات أن بني إسرائيل سيقومون بالإفساد في الأرض مرتين، ويلازمهم العلو والتكبر والغطرسة.

يقول الإمام ابن جرير الطبري ـ في تفسيره لهذه الآيات ـ: (فتأويل الكلام في هذا الموضع: وفرغ ربك إلى بني إسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه؛ بإعلامه إياهم، وإخباره لهم:

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾، يقول: لتعصن الله يا معشر بني إسرائيل، ولتخالفن أمره في بلاده مرتين.

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً﴾، يقول: ولتستكبرن على الله باجترائكم عليه استكباراً شديداً.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا﴾؛ يعني: فإذا جاء وعد أولى المرتين اللتين يفسدون بهما في الأرض؛ وجّهنا إليكم وأرسلنا عليكم ﴿عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: ذوي بطش في الحروب شديد.

﴿فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ﴾: فترددوا بين الدور والمساكن، وذهبوا وجاؤوا. وجائز أن يكون معناه: فقتلوهم ذاهبين وجائين.

﴿وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً﴾: وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعداً من الله لهم مفعولاً ذلك لا محالة لأنه لا يخلف الميعاد.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ : ثم أدلناكم يا بني إسرائيل على هؤلاء القوم، وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين، وصيرناكم أكثر عدداً منهم.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ يقول الله ـ تعالى ذكره ـ: إن أحسنتم يا بني إسرائيل، فأطعتم الله وأصلحتم أمركم ولزمتم أمره ونهيه؛ أحسنتم لأنفسكم؛ لأنكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ : وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم الله عنه حينئذ؛ فإلى أنفسكم تسيئون.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ : فإذا جاء وعد الآخرة من مرَّتَيْ إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض؛ ﴿لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ﴾ : ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم.

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ : دخلوه فتبروه وخربوه، وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيض والجيف والقذر.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾ : لعل ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوؤوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، فيستنقذكم من أيديهم، وينتشلكم من الذل الذي يحله بكم، ويرفعكم من الخمولة التي تصيرون إليها فيعزكم بعد ذلك. وإن عدتم يا معشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري وقتل رسلي؛ عدنا عليكم بالقتل والسباء وإحلال الذل والصغار بكم. فعادوا فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم. وجعلنا جهنم للكافرين سجناً يسجنون فيها، وقيل فراشاً ومهاداً)[١].

فبنو إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً.

---

(١) تفسير الإمام ابن جرير الطبري، (١٥/ ٢٠، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٤٤، ٤٥).

وقد ذكر المفسرون في هذين الإفسادين أقوالاً:

ففي الإفساد الأول:

روى الإمام ابن جرير الطبري عن ابن عباس: أن أول الفسادين لبني إسرائيل قتلهم زكريا نبي الله[١]. وروى ابن إسحاق: أن ذلك كان قتلهم إشعياء بن أمصيا نبي الله[٢]. وقيل: إن ذلك كان حبسهم إرميا نبي الله[٣]. وقيل بل ذلك كان تغييرهم للتوراة وعدم العمل بها[٤].

وفي الإفساد الثاني:

قال الإمام ابن جرير الطبري: (وأما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة؛ فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام)[٥].

وقد سلط الله على بني إسرائيل في الفسادين من يسوء وجوههم ويذلهم شر ذلة.

يقول الحافظ ابن كثير: (وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من هم؟)[٦].

---

(١) المرجع السابق، (١٥/ ٢١)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٠/ ١٤١)، وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان، (٦/ ٨)، والدر المنثور، للسيوطي، (٤/ ٢٩٦)، وروح المعاني، للآلوسي، (٩/ ٢٤)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٥/ ٦).

(٢) ابن جرير الطبري، (١٥/ ٢٢، ٢٣)، وتفسير البغوي، (٥/ ٩٦)، والجامع لأحكام القرآن، (١٠/ ١٤١)، وتفسير البحر المحيط، (٦/ ٨)، وروح المعاني، للآلوسي، (٩/ ٢٤)، وزاد المسير، (٥/ ٦).

(٣) تفسير البغوي، (٥/ ٣٧)، والجامع لأحكام القرآن، (١٠/ ٤١)، والبحر المحيط، (٦/ ٨)، وروح المعاني، (٩/ ٢٤).

(٤) روح المعاني، لأبي الفضل الآلوسي، (٩/ ٢٤).

(٥) تفسير ابن جرير الطبري، (١٥/ ٢٧)، وتفسير البغوي، (٥/ ٧٥)، وروح المعاني، (٩/ ٢٤)، وزاد المسير، (٥/ ٦).

(٦) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، (٣/ ٢٧).

قال الإمام الطبري: (قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيىٰ بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس؛ من قتل زكريا. وسلط عليهم بختنصر؛ من قتل يحيىٰ)[١].

وقال ابن كثير: (فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزري وجنوده سُلط عليهم أولاً. وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل سنحاريب وجنوده. وعنه أيضاً وعن غيره أنه بختنصر ملك بابل)[٢].

وقال البغوي: (فكانت الوقعة الأولىٰ بختنصر وجنوده، والأخرىٰ خردوش ـ ملك من ملوك بابل ـ وجنوده)[٣].

وقال القرطبي: (وكان عليهم بختنصر في المرة الأولىٰ، قاله ابن عباس وغيره. وقال قتادة: أرسل عليهم جالوت فقتلهم، وقال سعيد بن جبير: سنحاريب من أهل نينوىٰ بالموصل ملك بابل، وقال الحسن: إنهم العمالقة)[٤].

وقال محمد بن إسحاق: (لما رفع الله عيسىٰ من بين أظهرهم وقتلوا يحيىٰ ـ بعض الناس يقول: لما قتلوا زكريا ـ بعث الله إليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له: خردوس)[٥].

وقال أبو حيان: (قال ابن عباس وقتادة: غزاهم جالوت من أهل الجزيرة. وقال ابن جبير وابن إسحاق: غزاهم سنحاريب وجنوده ملك بابل. وقيل: بختنصر)[٦].

(فإذا جاء وعد الآخرة أي المرة الآخرة، وإفسادهم في ذلك بقتل يحيىٰ بن

---

(١) تفسير الإمام ابن جرير الطبري، (١٥ / ٢٢).
(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، (٣ / ٢٧).
(٣) تفسير البغوي (معالم التنزيل)، (٥ / ٧٦).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، (١٠ / ١٤١ ـ ١٤٢).
(٥) المرجع نفسه، (١٠ / ١٤٥).
(٦) تفسير البحر المحيط، (٦ / ٩٠).

زكريا - عليهما السلام -، بعث الله عليهم بختنصر. وقيل: المبعوث عليهم الإسكندر. وروي عن عبد الله بن الزبير أن الذي غزاهم آخراً ملك اسمه خردوس)(١).

وقال السيوطي: (وأخرج ابن أبي حاتم، عن عطية العوفي: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾: قال: أفسدوا المرة الأولى؛ فبعث الله عليهم جالوت فقتلهم، وأفسدوا المرة الثانية، فقتلوا يحيى بن زكريا - عليهما السلام -، فبعث الله عليهم بختنصر)(٢).

لذلك قال ابن الجوزي: قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا﴾؛ أي: عقوبة أولى المرتين. ﴿بَعَثْنَا﴾؛ أي: أرسلنا. ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾؛ وفيهم خمسة أقوال:

أحدها: أنهم جالوت وجنوده، قاله ابن عباس و قتادة.

والثاني: بختنصر، قاله سعيد بن المسيب، واختاره الفراء والزجاج.

والثالث: العمالقة، وكانوا كفاراً، قاله الحسن.

والرابع: سنحاريب، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: قوم من أهل فارس، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف من ملوك فارس.

وفيمن بعث عليهم في المرة الثانية قولان:

أحدهما: بختنصر، قاله مجاهد، وقتادة. وكثير من الرواة يأبى هذا القول، ويقولون: كان بين تخريب (بختنصر) بيت المقدس، وبين مولد يحيى بن زكريا زمان طويل.

والثاني: أنطاخيوس الرومي، قاله مقاتل)(٣).

---

(١) المرجع نفسه، (١٠/ ١٤٥).

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (٤/ ٢٩٦).

(٣) زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، (٥/ ٧، ٩).

هذه الأقوال هي التي ذهب إليها علماء التفسير من الصحابة والتابعين وغيرهم. والمهم عندنا في هذه المسألة كما يقول سيد قطب: (ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعد، فسلط الله على بني إسرائيل من قهرهم أول مرة، ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض، ودمر مملكتهم فيها تدميراً.

ولا ينص القرآن على جنسية هؤلاء الذين سلطوا على بني إسرائيل؛ لأن النص عليها لا يزيد في العبرة شيئاً، والعبرة هي المطلوبة هنا، وبيان سنة الله في الخلق هو المقصود)[١].

ولذلك كان ردّ بعض الباحثين المحدثين على أئمة التفسير الأقدمين ـ كالإمام ابن جرير الطبري والحافظ ابن كثير ـ في تفسير الفسادين؛ أمراً غير لائق وغير صحيح البتة.

ويمكن الجمع بين ما ذهب إليه المفسرون الأقدمون، وما ذهب إليه المعاصرون[٢]، وذلك كامن في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾؛ وإن عدتم يا معشر يهود لمعصيتي وخلاف أمري والفساد في الأرض؛ عدنا عليكم بالقتل وإحلال الذلة والصغار والتشريد بكم.

ولا شك أن اختيار المعاصرين للفسادين داخل في هذا:

فاختيارهم: أن الفساد الأول لليهود كان في المدينة المنورة قبل وبعد هجرة رسول الله ﷺ: (يوم أن استوطنت قبائل اليهود من بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وأهل خيبر، الجزيرة العربية، حيث اختاروا أجود المناطق من حيث الزراعة، والموقع الاستراتيجي المهم للسيطرة على مقدرات القبائل العربية التي كانت تسكن الجزيرة، والتي فُتنت بما عند اليهود من ثقافة وعلم ومعرفة،

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب، (٤/ ٢٢١٤).

(٢) انظر: الشخصية اليهودية، وحقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، والأرض المقدسة، لإبراهيم العلي، وصراعنا مع اليهود، لأحمد الجدع، ورؤية دينية للدولة الإسرائيلية، لحسن مي، والإسراء وإسرائيل، د. محمد هلال.

فاستطاع اليهود السيطرة علىٰ الجزيرة العربية اقتصادياً وفكرياً وسياسياً؛ بما أشاعوه من فساد أخلاقي واجتماعي وسياسي قبل بعثة النبي ﷺ[١].

فمن فسادهم الاعتقادي: أنهم كانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم كانوا يستفتحون علىٰ العرب، ويبشرونهم بقرب مبعث نبي خاتم، وأن هذا النبي سيكون يهودياً، وسيبيح لهم دماء العرب وأموالهم.

ومن فسادهم الاقتصادي: أن أسواق الاقتصاد والسلع والبضائع بيد اليهود، ووسط المناطق اليهودية عند بني قينقاع والنضير وقريظة، وكبار التجار وأصحاب الأموال من اليهود يتعاملون مع القبائل العربية علىٰ أساس الربا.

والأراضي الزراعية الجيدة بيد اليهود، والحدائق والبساتين والنخل وآبار الماء معظمها يملكها اليهود، ويشغِّلون فيها العرب أجراء وعمالاً.

ومن فسادهم العلمي والثقافي: أنهم فرضوا وصاية يهودية علىٰ القبائل العربية، فكانوا يتهمون العرب بالجهل والجهالة والأمية، ويظهرون أنهم أهل الكتاب وحملة العلم، فنشروا أفكارهم وعلومهم وثقافتهم وخرافاتهم وأساطيرهم وإسرائيلياتهم.

وكانوا حريصين علىٰ استمرار إضعاف القبائل العربية، ولذلك كانوا يعملون دائماً علىٰ استمرار الحروب بين الأوس والخزرج في المدينة. ولما بعث الرسول ﷺ وحاربته قريش كانوا يستعينون باليهود في حربه ونشر الشبهات ضده[٢].

وبعد هذا الفساد سلط الله عليهم رسوله محمداً ﷺ وأصحابه الكرام، فأزالوا فسادهم، وقضوا علىٰ علوِّهم وتجبرهم.

أما الفساد الثاني لليهود: فهو متمثل في الكيان الإسرائيلي القائم الآن في

---

(١) الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل، إبراهيم العلي، ص ١٥٥.

(٢) الشخصية اليهودية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص ٣٣٤-٣٣٥.

فلسطين، وفي تحكمهم وسلطانهم وعلوِّهم وتجبرهم الذي يبدو أوضح ما يكون في هذه الأيام.

(اليهود في هذا الزمان يقومون بالإفساد الثاني، وقد أصبحت الكَرَّة لهم الآن علينا، وقد تم إمدادهم بالمال والبنين، وزادت الحبال الممتدة إليهم بالمساعدات، وصاروا أكثر نفيراً، وها هم الآن يتجمعون من مختلف الدول ويقيمون في كيانهم في فلسطين)(١).

(وتزداد شراسة إفساد دولة اليهود اليوم بعد أن خضعت الحكومات والأنظمة في العالم العربي والإسلامي، بعد توقيع اتفاقيات ما يسمى بالسلام المزعوم مع دولة اليهود، ليصبح العالم الإسلامي مسرحاً لإفسادهم، من خلال ما يسمى بتطبيع العلاقات مع العدو اليهودي)(٢).

ولنعلم أن هذا إفساد سينتهي - لأن ذلك من سنن الله الكونية: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ -، وأن يوم النصر آت بإذن الله على اليهود لإزالة فسادهم، ولكن عن طريق الجنود المسلمين الرافعين راية الدعوة إلى الله - عز وجل - والجهاد في سبيل الله عز وجل، وليس عن طريق المفاوضات على الطاولات المستديرة، أو بحروب تُرفع فيها راية العروبة والقومية.

وبهذا يتضح - إن شاء الله تعالى - أنه لا تناقض بين أقوال المفسرين الأقدمين والمعاصرين في تحديد ماهية الإفسادين لليهود في الآية الكريمة.

يقول الأستاذ سيد قطب: (فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض؛ فالجزاء حاضر والسنَّة ماضية: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

ولقد عادوا إلى الإفساد؛ فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة

(١) المرجع السابق، ص ٣٤٥.
(٢) الأرض المقدسة، إبراهيم العلي، ص ١٦١.

كلها. ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عباداً آخرين، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم (هتلر)، ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات. وليسلطن عليهم من يسومهم سوء العذاب؛ تصديقاً لوعد الله القاطع، ووفاقاً لسنته التي لا تتخلف، وإن غداً لناظره قريب!)(١).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤ / ٢٢١٤).

المبحث الثاني
النظر إلى هذا الوعد من خلال الأحاديث الصحيحة

المطلب الأول: الفتح الإسلامي لبيت المقدس:

روى البخاري بسنده إلى عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قُبّة من أدم[(١)]، فقال: (اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس)[(٢)].

وعن شداد بن أوس: أنه كان عند رسول الله ﷺ، فقال: (إن الشام سيفتح، بيت المقدس سيفتح)[(٣)].

معركة اليرموك وأهميتها في فتح بيت المقدس:

كانت معركة اليرموك باباً فتح الطريق إلى بلاد الشام، واستهلت سنة ثلاث عشرة هجرية والخليفة أبو بكر الصديق عازم على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام، وذلك بعد مرجعه من الحج[(٤)].

---

(١) أدم: باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهره، وقيل ظاهره الذي عليه الشعر وباطنه البشرة. لسان العرب، (١٢/ ١٠)، لابن منظور، والقاموس المحيط، ص ١٣٨٩، الفيروز آبادي.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب: ما يحذر من الغدر، رقم (٣١٧٦)، (٢/ ٤١٣). وتكملة الستة هي: (ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً).

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة، (٣/ ٢٥٩)، ترجمة شداد بن أوس. وقال: هذا الحديث أخرجه الطبراني من طريق محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن شداد سمعت أبي يحدث عن أبيه عن جده شداد بن أوس.. وذكره.

(٤) البداية والنهاية، مجلد ٤، ج٧، ص٣، للحافظ ابن كثير، والكامل في التاريخ، (٢/ ٢٥٢)، ابن الأثير.

شرع الصديق (في تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات، فأول لواء عقده لفتح الشام لخالد بن سعيد بن العاص، فتقهقر في مرج الصفراء[١]، وانهزم أمام جيش الروم، فوصل في هزيمته إلىٰ ذي المروة قرب المدينة، فأمره أبو بكر بالمقام بها.

وكان الصدّيق قد أمد جيش خالد بن سعيد بعكرمة بن أبي جهل والوليد بن عتبة وجماعة، فلما رأىٰ عكرمة وضع جيش خالد بن سعيد؛ ثبت ومَنْ معه ردءاً للمسلمين يمنع مَنْ يطلبهم[٢].

ثم ندب أعظم قواده للذهاب إلىٰ بلاد الشام، فعقد لواء بقيادة يزيد بن أبي سفيان ومعه جمهور الناس، ومعه سهيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكة، ووجهه إلىٰ دمشق، وألحقه بجيش آخر بقيادة أخيه معاوية، ومعهم مَنْ بقي من جيش خالد بن سعيد بذي المروة. وعقد لواء بقيادة شرحبيل بن حسنة ووجهه إلىٰ بصرىٰ. ولواء بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح ووجَّهه إلىٰ حمص. ولواء بقيادة عمرو بن العاص ووجهه إلىٰ فلسطين[٣].

ومن وصية الصديق وهو يودِّع عمرو بن العاص: (. . . وإذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق الذي سار فيها يزيد وشرحبيل، بل اسلك طريق إيليا حتىٰ تنتهي إلىٰ أرض فلسطين، وابعث عيونك يأتوك بأخبار أبي عبيدة؛ فإن كان ظافراً بعدوّه؛ فكن أنت لقتال مَنْ في فلسطين، وإن كان يريد عسكراً؛ فانفذ إليه جيشاً في إثر جيش)[٤].

---

(١) مرج الصفراء أو مرج الصفر، مكان إلىٰ الجنوب من دمشق بحوالي ٣٨ كم. انظر: الطريق إلىٰ القدس، ص٧٠، د. محسن محمد صالح.

(٢) البداية والنهاية، مجلد ٤، ج ٧، ص ٣، للحافظ ابن كثير، والكامل في التاريخ، (٢/ ٢٥٢)، ابن الأثير.

(٣) البداية والنهاية المجلد الرابع، الجزء السابع، ص٤، للحافظ ابن كثير، والكامل في التاريخ، (٢/ ٢٥٣-٢٥٥)، لابن الأثير، وجولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٥٨، د. محمد السيد الوكيل.

(٤) فتوح الشام للواقدي، (١/ ٨)، وبهامشه تحفة الناظرين، لعبد الله الشرقاوي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(وسبب تعدد الجيوش والألوية؛ هو تعدد الطرق التي كانت الجيوش تسلكها وهي متجهة إلىٰ الشام)[١].

فنزل عمرو بن العاص العروبة من أرض الشام، ونزل يزيد البلقاء[٢]، ونزل شرحبيل بالأردن، ونزل أبو عبيدة بالجابية[٣]، وكان عكرمة بن أبي جهل واقفاً في أطراف الشام بمن معه من المقاتلين.

علمت الروم بتوجه هذه الجيوش إلىٰ الشام، فأمر هرقل بخروج الجيوش الرومية بصحبة الأمراء، في مقابلة كل أمير من المسلمين أمير من الروم بجيش كثيف. فبلغ عدد جيوش الرومان أربعين ومائتي ألف، وعدد جيوش المسلمين واحداً وعشرين ألفاً، سوىٰ الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل في طرف الشام في ستة آلاف مقاتل.

فكتب الأمراء إلىٰ أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يُعْلمونه بما وقع من الأمر العظيم، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً، ثم قال ـ رضي الله عنه ـ: (والله! لأشغلن النصارىٰ عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد). فكتب الصديق عند ذلك إلىٰ خالد بن الوليد أن يستنيب علىٰ العراق، وأن يقفل بمن معه إلىٰ الشام، فإذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم.

فاستناب خالد ـ رضي الله عنه ـ المثنىٰ بن حارثة علىٰ العراق، وسار مسرعاً في تسعة آلاف وخمسمائة، ودليله رافع بن عميرة الطائي، فوصل خالد ومن معه من المجاهدين في خمسة أيام إلىٰ قناة بصرىٰ، فوجد جيوش الصحابة

---

(١) بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ، ص ٧٨، محمد بن محمد حسن شراب.

(٢) البلقاء: كورة من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القرىٰ قصبتها عمان، وفيها قرىٰ ومزارع واسعة. الكامل في التاريخ، (٢/ ٢٥٥)، لابن الأثير حاشية (٢)، من تحقيق عبد الله القاضي.

(٣) الجابية: قرية من أعمال دمشق في الجنوب الغربي منها، ناحية الجولان، قرب مرج الصفر، وهي أقرب إليها منها إلىٰ القدس. انظر: المرجع السابق، وجولة تاريخية، ص ١٩٨، د. محمد السيد الوكيل.

مجتمعة إلا جيش عمرو بن العاص حاصره الروم في أرض عربة.

صَالَحَ خالد بن الوليد أهل بصرىٰ علىٰ الجزية، فكانت أول مدينة فتحت بالشام في خلافة أبي بكر الصديق، ثم سار خالد وأبو عبيدة ويزيد وشرحبيل ومن معهم، وقد قصدوا عمرو بن العاص في أرض عربة، كما قصدهم أيضاً عكرمة بمن معه من الجيش، فتكامل جيش الصحابة حتىٰ بلغ ستة وثلاثين ألفاً إلىٰ أربعين ألفاً، وقاتلوا جيوش الروم التي كانت تحت قيادة القيقلان في موقعة أجنادين[1]، وكانت في ليلتين بقيتا من جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث عشرة، الموافق ٣٠/ ٧/ ٦٣٦م، وقتل بها بشر كثير من الصحابة، وهزمت الروم، وقتل أميرهم القيقلان[2].

وفي أول جمادىٰ الآخرة اجتمع الجيش علىٰ خالد بن الوليد، فقام وخطب فيهم، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وذكَّرهم بإخلاص الجهاد لله تعالىٰ، ثم نظم

---

(١) البداية والنهاية، المجلد الرابع الجزء السابع، (٤ ـ ٨)، الحافظ ابن كثير، والكامل في التاريخ، (٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٨، ٢٦٥ ـ ٢٦٦)، وجولة تاريخية، ص ٥٨ ـ ٦٢، د. محمد الوكيل، والطريق إلىٰ القدس، ص ٦١ ـ ٧٠، د. محسن محمد صالح.
وأجنادين: بعد الجيم نون ودال مهملة مفتوحة ـ ومنهم من يكسرها ـ، ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وآخره نون. وتقع في جوار قرية عجّور من أعمال الخليل. فيها خربتان: خربة جنّابة الغربية، وخربة جنّابة الشرقية. وأجنادين تحريف لتثنية الخربتين المذكورتين أي جنّابتين. وتحتوي الغربية منها علىٰ جدران متهدمة وبقايا معاصرة وصهاريج. والشرقية تحتوي علىٰ مغاور وأحواض. الكامل في التاريخ، (٢/ ٢٦٦)، لابن الأثير، وفلسطين (القضية الشعب الحضارة)، ص ٨٦، بيان نويهض الحوت.

(٢) وهناكَ من يرىٰ أن موقعة أجنادين غير هذه الموقعة، فهي التي وقعت بين جيش عمرو بن العاص وبين الروم بقيادة أرطبون، وكان ذلك بعد موقعة اليرموك، فاقتتلوا بأجنادين قتالاً شديداً كقتال اليرموك حتىٰ كثرت القتلىٰ بينهم وانهزم أرطبون إلىٰ إيليا (المقدس)، فحاصره عمرو بن العاص هناك، واستمر الحصار حتىٰ جاء عمر بن الخطاب من المدينة وفتح بيت المقدس، وكان ذلك سنة ١٥هـ والله أعلم، انظر الكامل، (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧)، لابن الأثير. وانظر: أيضاً البداية والنهاية المجلد الرابع الجزء السابع، ص ٥٥ ـ ٥٦، وحاشية رقم (٢) في ص ٢٩٧ من هذا الكتاب.

الجيش وقسمه حسب رؤيته لمثل هذه المعارك الكبيرة القوية، فخرج الجيش في ستة وثلاثين كردوساً (فرقة) إلىٰ الأربعين، كل كردوس ألف رجل عليهم أمير.

وجاءت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء، عددهم مائتان وأربعون ألف مقاتل، يصيحون بأصوات مرتفعة ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحثونهم علىٰ القتال، فنزلوا في واد فسيح تحيطه من الجهات الثلاث جبال مرتفعة شاهقة الارتفاع، ويقع في الجهة اليسرىٰ من نهر اليرموك.

فلما رآهم عمرو بن العاص قال: (أبشروا أيها الناس، فقد حصرت ـ والله ـ الروم، وقلما جاء محصور بخير).

وأما المسلمون فقد عبروا النهر إلىٰ الجهة اليمنىٰ، وضربوا معسكرهم هناك، في واد منبطح يقع علىٰ الطريق المفتوح لجيش الروم، وبذلك أغلقوا الطريق أمام الجيش المزهو بعدده وعدده، فلم يعد للروم طريق يسلكون منه أو يفرون إذا اضطروا للفرار؛ لأن جيش المسلمين قد أخذ عليهم مسلكهم الوحيد[(١)].

ولما تراءىٰ الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبوعبيدة المسلمين، ثم خرج معاذ ابن جبل فجعل يذكّرهم، وكذلك فعل عمرو بن العاص وأبو سفيان وأبو هريرة، وخاصة عندما سمعوا أصوات القسيسين والرهبان.

وثبت كل قوم علىٰ رايتهم، حتىٰ صارت الروم تدور كأنها الرحا، فلم تر يوم اليرموك إلا مخاً ساقطاً، وكفاً طائرة من ذلك الموطن.

---

(١) يقول د. محمد السيد الوكيل: «وقد يعجب الإنسان كثيراً وهو ينظر إلىٰ الخارطة، ويرىٰ نفسه مضطراً لأن يسأل كيف رضي قواد الروم لجيوشهم هذا الموقع؟ وكيف وافق الجنود علىٰ النزول فيه وهم يرون ألا سبيل للخروج منه إلا عن طريق هذا الوادي الذي احتله المسلمون؟»، جولة تاريخية، ص ٥٧.

وبينما هم في جولة الحرب وحومة الوغىٰ، والأبطال يتصاولون من كل جانب؛ إذ قدم البريد من نحو الحجاز فدفع إلىٰ خالد بن الوليد، فإذا به: أن الصديق - رضي الله عنه - قد توفي، واستُخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنه استناب علىٰ الجيوش أبا عبيدة بن الجراح، فأسرّها خالد - رضي الله عنه - ولم يبد ذلك للناس؛ لئلا يحصل ضعف ووهن في تلك الحال.

تقهقر الروم أمام هجوم المسلمين، وخاصة أن خالداً وفئة معه عمدوا إلىٰ رحل الروم وهم الرجالة فاقتحموا خندقهم، وظلوا يقاتلون حتىٰ أصبحوا، وفرّ المنهزمون من اليرموك حتىٰ بلغوا دمشق، فتبعهم المسلمون، فخرج إليهم أهل دمشق فصالحوهم، ثم تبعوهم إلىٰ حمص، فخرج إليهم أهلها فصالحوهم كما صالحهم أهل دمشق، فلما بلغ هرقل، وهو بحمص قدوم المسلمين ارتحل منها وجعلها بينه وبين المسلمين ترساً.

غنم المسلمون كل ما كان في معسكر الروم، وكان شيئاً عظيماً، حتىٰ خص الفارس من النفل ألف وخمسمائة درهم أو ألف وخمسة دراهم، وكانت هذه الموقعة الفاصلة عند اليرموك في شهر جمادىٰ الآخرة من السنة الثالثة عشرة من الهجرة سنة ٦٣٤م، بعد أن مكث المسلمون قرابة أربعة أشهر لا ينالون من الروم ولا يُنال منهم. ولما انتهت المعركة أظهر خالد بن الوليد الكتاب الذي جاء به البريد، فإذا هو نعي للخليفة الصديق رضي الله عنه، وعزل لخالد بن الوليد - رضي الله عنه - من الإمارة، وتولية لأبي عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - إمارة الناس، فكان أبو عبيدة أول من سمي أمير الأمراء[1].

وبانتهاء معركة اليرموك التي تعدُّ إحدىٰ المعارك الحاسمة في التاريخ؛ انكسرت شوكة الروم في الشام، وأصبح فتحها أكثر سهولة ويسراً علىٰ المسلمين.

---

(١) انظر: البداية والنهاية، المجلد الرابع، الجزء السابع، (٨ - ١٦)، للحافظ ابن كثير، والكامل في التاريخ، (٢ / ٢٥٨ - ٢٦٢)، لابن الأثير، وجولة تاريخية، ص ٦٣ - ٧٠، د. محمد السيد الوكيل.

فسقطت المدن، المدينة تلو الأخرىٰ، بالصلح وغيره، ابتداء من دمشق ثم فحل بيسان وحمص ومدن فلسطين كنابلس ورفح وغيرها، ولم يبق من مدنها إلا قيسارية وبيت المقدس(١).

فتح بيت المقدس:

بعد أن استتب الأمر للمسلمين في الشام عامة، ولم يبق من فلسطين إلا بيت المقدس وقيسارية، كتب أبو عبيدة ـ أمير الجيوش ـ إلىٰ الخليفة أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ يستشيره في التوجه إلىٰ قيسارية أو إلىٰ بيت المقدس. ولما قرأ أمير المؤمنين الكتاب استشار الصحابة الكرام، فقال له علي بن أبي طالب: (يا أمير المؤمنين، مر صاحبك أن يصير إلىٰ بيت المقدس، فيحدقوا بها ويقاتلوا أهلها؛ فهو خير الرأي وأكبره. وإذا فتحت بيت المقدس فاصرف جيشه إلىٰ قيسارية؛ فإنها تفتح بعد إن شاء الله).

أرسل أبو عبيدة ـ رضي الله عنه ـ كتباً إلىٰ أهل بيت المقدس يدعوهم إلىٰ الله وإلىٰ الإسلام، أو بذل الجزية، أو الحرب. فأبو أن يجيبوا إلىٰ ما دعاهم إليه، فركب إليهم مع أمراء جيوشه وحاصر بيت المقدس، وضيق عليهم الحصار حتىٰ أجابوا إلىٰ الصلح؛ بشرط أن يَقْدِمَ إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من المدينة. فكتب أبو عبيدة إلىٰ عمر بذلك(٢).

---

(١) راجع في فتح تلك المدن: البداية والنهاية، مجلد ٤، ج ٧، ص ١٩ ـ ٢٦، ٥٣ ـ ٥٥، والكامل في التاريخ، (٢ / ٢٧٨ ـ ٢٨١، ٣٣٨ ـ ٣٤٦)، وجولة تاريخية، ص ١٧٣ ـ ١٨٦.

(٢) وجاء في روايات أخرىٰ أن عمر بن الخطاب كتب إلىٰ عمرو بن العاص بالمسير إلىٰ إيلياء ـ بيت المقدس ـ وفي طريقه إليها وجد طائفة من الروم علىٰ رأسهم أرطبون في أجنادين ـ وتقع في القلب والوسط من فلسطين ـ. فكان لا بد لعمرو أن ينازل هؤلاء لمروره إلىٰ بيت المقدس، خاصة أن أرطبون له مكانه عالية عند الروم بعد منزلة هرقل، حيث قال عنه ابن جرير الطبري: كان الأرطبون أدهىٰ الروم وأبعدها غوراً وأنكاها فعلاً. وأن بيت المقدس منزلته عالية في جميع الأديان، ومنها النصرانية، ففيها مقدساتهم من مثل كنيسة القيامة، وعلىٰ أرضها مشىٰ عيسىٰ عليه السلام، وأصبحت عندهم مزاراً يحجون إليه ويتبركون به، ويلتمسون عنده الغذاء الروحي.

=

جاء أمير المؤمنين عمر إلى الشام، وأرسل إلى قواد جيشه أن يوافوه في اليوم الفلاني إلى الجابية، فتوافوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية سوى عمرو بن العاص وشرحبيل؛ فإنهما مواقفان الروم في بيت المقدس، وهناك في الجابية تم الصلح مع المقدسيين، وكتب لهم كتاب أمان ومصالحة، وضرب عليهم الجزية، واشترط عليهم شروطاً ذكرها العلامة ابن جرير الطبري، وشهد في الكتاب خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وهو كاتب الكتاب - رضي الله عنهم أجمعين -، وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة من الهجرة النبوية(١).

= قابل أرطبون عمرو بن العاص في أجنادين مقابلة عنيفة، ودارت رحى الحرب بين الفريقين قاسية بعد أحداث مثيرة بين عمرو بن العاص وأرطبون، حتى قال فيها عمر بن الخطاب: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج. وسقط في هذه المعركة - معركة أجنادين - قتلى كثيرون؛ مما أعاد إلى الأذهان يوم اليرموك، فانهزم أرطبون وجيشه، وأجبر أن يتجه نحو بيت المقدس ذات الحصون المنيعة لعله يجد فيها قوة تحميه ويستطيع بها مواجهة المسلمين. وكان عمرو بن العاص قد أرسل إلى بيت المقدس جيشاً بقيادة علقمة بن حكيم ومعه مسروق العكي ليشغلا أهلها، ويقطع الإمدادات عن أجنادين، وهذا ما حصل لما رأى الجيش المسلم المحاصر لبيت المقدس أن أرطبون فر منهزماً ومن معه إلى بيت المقدس، أفسحوا لهم الطريق حتى إذا دخلوها أحكموا عليهم الحصار، ووصل عمرو بن العاص ومن معه من الجيش إلى بيت المقدس، واجتمع مع الجيش الذي هناك من قبل، وأصر عمرو على مواصلة الحصار وألا يبرحها مهما كان الثمن حتى يفتحها، خاصة أن كل قائد من قواد المسلمين يتطلع لفتحها لينال شرف ذلك في الدنيا والآخرة؛ لما لبيت المقدس من مكانة عالية عند الله وعند الناس. ولمس أرطبون هذا الإصرار من عمرو بن العاص فقال: والله! لا يفتح عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين، حيث إن صاحبها رجل صفته كذا وكذا. وذكر صفة عمر بن الخطاب خليفة المسلمين، وصل هذا الخبر إلى عمرو بن العاص، فكتب إلى عمر بن الخطاب يقول فيه: (إني أعالج عدواً شديداً وبلاداً قد ادخرت لك فرأيك)، فعلم عمر أن عمراً لم يقل ذلك إلا لأمر علمه، فعزم عمر بن الخطاب على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس، وحصل هذا على ما سأذكره إن شاء الله تعالى. انظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري، (٣/ ١٥٧)، البداية والنهاية، المجلد الرابع الجزء السابع، ص ٥٥، ٥٦، والكامل في التاريخ، (٢/ ٣٤٥-٣٤٧)، وجولة تاريخية، ص ١٩٠-١٩٤، وفلسطين تاريخاً ونضالاً، ص ٤٥، نجيب الأحمد، وتاريخ فلسطين القديم، ص ١٣٧ ظفر الإسلام خان.

(١) تاريخ الأمم والملوك، للطبري، (٣/ ١٥٩)، البداية والنهاية، م٤، ج ٧، ص ٥٨، والكامل في التاريخ، (٢/ ٣٤٨)، لابن الأثير.

وهناك في الجابية جاء إلىٰ عمر رجل من اليهود وقال له: (يا أمير المؤمنين! لا ترجع إلىٰ بلادك حتىٰ يفتح الله عليك إيلياء). وسأل عمر - رضي الله عنه - ذلك اليهودي عن الدجال، فقال له: وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين؟ فأنتم والله يا معشر العرب تقتلونه علىٰ بضع عشر ذراعاً من باب لُد)[١].

ومما جاء في العهد الذي أعطاه عمر لأهل بيت المقدس[٢]:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطىٰ عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء[٣] من الأمان، أعطاهم: أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها؛ أنه لا تُسكن كنائسهُم، ولا تُهدَم، ولا يُنتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون علىٰ دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يَسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. . .)[٤].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، للطبري، (٣/ ١٥٨، ١٥٩).

(٢) يقول محمد شراب: (ونص العهد العمري ترويه أكثر المصادر العربية، وتختلف في نصه، وهو في تاريخ الطبري بسنده إلىٰ سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة عن خالد وعبادة. ولم أره في كتاب من كتب الحديث. . ولكن مما يطمئن الإنسان إلىٰ صحته، أو صحة مضمونه؛ أنه ليس فيه ما نقضه أهل الفقه، فهو يوافق الأحكام الإسلامية)، بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ، ص٨٤.

(٣) إيلياء كابيتولينا هو اسم لبيت المقدس، أطلقه عليها الرومان في عهد الإمبراطور إيليوس هادريان، فإيليا اسم الإمبراطور، وكابيتولينا تعني معبد جوبيتير الكبير.
وعرفت مدينة القدس عبر التاريخ بأسماء عديدة منذ عهد اليبوسيين -بُناتها الأوائل-؛ منها: (يبوس)، ثم (أورشليم)، وهذه التسمية قد عرفت من قِبَل العبرانيين، فهي في لوحات تل العمارنة التي تعود إلىٰ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وتسمىٰ (أورو سالم). أما في النقوش الآشورية، التي تعود إلىٰ القرن الثامن قبل الميلاد فتسمىٰ (أورو سليو). وفي النقوش اليونانية في عهد الإسكندر - أي في القرن الرابع قبل الميلاد - تسمىٰ (هيروسوليما) أو (سوليما). أما التسمية العبرية (يروشولايام)، ومن ثم (أورشليم)، فأصل المعنىٰ بالسامية (مدينة السلام). وبعد تسميتها أورشليم تحول إلىٰ (قديتس)، ثم (إيليا كابيتولينا)، ثم بيت المقدس أو القدس. انظر: فلسطين، ص ٩٠، بيان نويهض الحوت.

=

(٤) تاريخ الأمم والملوك، للطبري، (٣/ ١٥٩).

وبهذا الفتح الإسلامي العظيم لفلسطين وما حولها؛ أخذت هذه الأرض تكتسب من جديد هويتها وتاريخها الإسلامي الذي ارتبط بدعوة الأنبياء والأديان السماوية الصحيحة، واستطاع المسلمون أن يحووا تلك الأرض الواسعة المقدسة (مكة، والمدينة، وبيت المقدس وما حوله) في شرعيتهم الحاكمة.

(فالصالحون من عباد الله من الأنبياء وأتباع الأنبياء في كل الأزمان؛ وما كان لهم أن يرضوا أن تحول المساجد الكبرىٰ في الديانات الصحيحة إلىٰ أماكن تُمَارَس فيها الوثنية، وتقام فيها الشعائر الشركية والكفرية، ولهذا فقد كانوا يبذلون أرواحهم ودماءهم ليحولوا دون تلويثها بعد أن طهَّرها الأنبياء عن أمر الله لهم، وهم لا يرضون أيضاً أن تحوّل البلاد التي تحوي تلك المساجد إلىٰ أوطان للمشركين، أو ديار للكافرين؛ فإن ذلك فوق أن يدنس الأراضي المقدسة؛ فهو يهدد المساجد المطهرة)[(١)].

ولهذا فإن (أحد معالم الحل الإسلامي المنشود لتحرير الأرض المباركة؛ هو توسيع دائرة الصراع لتشمل كافة المسلمين المؤمنين بحقهم فيها، وعدم التفريط بأي جزء منها باعتبارها أرضاً إسلامية مقدسة، وباعتبارها جزءاً من عقيدة المسلمين ووجدانهم. وإن استشعار المسلمين بواجبهم تجاه تحرير أرض الإسراء وقيامهم بخطوات عملية في هذا الإطار؛ هو ضمانة حقيقية للسير بخطوات جادة لتحقيق آمال المسلمين باستعادة أرضهم ومقدساتهم)[(٢)].

= وقد قال القائد عبد الله التل: (وحينما كنت قائداً لمعركة القدس سنة ١٩٤٨م؛ اطلعت علىٰ كتاب يوناني مخطوط في دير المصلبة؛ يذكر حادثة مجيء الخليفة عمر بن الخطاب لتسلم بيت المقدس من الروم المنهزمين. وقد ترجم الأستاذ علي رشدي نص الكلام اليوناني، فبدا مطابقاً في كثير من الوجوه لنصوص التاريخ الأخرىٰ التي أشارت إلىٰ حادثة تسليم بيت المقدس. وقال أيضاً: وأعطىٰ الخليفة عمر بن الخطاب الروم وثيقة أمان عرفت بالعهدة العمرية، وهي لم تزل محفوظة في بطريركية الروم الأرثوذكس في القدس الشريف. انظر: خطر اليهودية العالمية علىٰ الإسلام والمسيحية، ص١٢٧، ١٣٠.

(١) حُمّىٰ سنة ٢٠٠٠، ص ١٧، د. عبد العزيز مصطفىٰ كامل.

(٢) الطريق إلىٰ القدس، ص ٥٧، د. محسن محمد صالح.

المطلب الثاني: مستقبل الصراع الإسلامي - اليهودي:

ليعلم اليهود ومَنْ والاهم من النصارىٰ وغيرهم، وليعلم المسلمون الذين ينظرون في مستقبل الصراع (الإسلامي - اليهودي) علىٰ ضوء هذا الواقع المرير البائس؛ أن الجولة القادمة للمسلمين الصادقين في إيمانهم بالله، وجهادهم في سبيل الله تعالىٰ، وأن ذلك الوعد المبثوث في كتب اليهود المقدسة - عندهم - ما هو إلا وعد مفترىٰ علىٰ الله عز وجل؛ لتضييعهم دينهم في زمانهم، وعدم إيمانهم بدين الله الخاتم المنزل علىٰ خاتم النبيين والمرسلين محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وأن هذا الواقع الأليم اليوم ما هو إلا سحابة صيف غشيت الأمة الإسلامية؛ عما قريبٍ ستنقشع وستزول إذا أذن الله بذلك وعادت الأمة إلىٰ ربها ودينها.

وعندنا بشارات من كلام الله عز وجل، ومن كلام رسول الله ﷺ، قال الله - تعالىٰ -: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

هذا وعد الله لن يخلفه أبداً، والذين يوافقون علىٰ ما جاء في مدريد وما بعدها كـ (أسلو و وآي ريفر)، وغيرها يقفون ضد ما جاء في هذه الآية، فوعد الله - تبارك وتعالىٰ - ليبعثن عليهم إلىٰ يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب: هتلر جزء من هذا الوعد! منظمات التحرير جزء منه! الجهاد القائم الآن في الأرض المحتلة جزء منه! وسوف تنتهي هذه كلها بتدمير اليهود، كما قال - تعالىٰ -: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾ [آل عمران: ١١٢].

إن الذلة والمسكنة مضروبة عليهم إلا في حالات عارضة بحبل من الله وحبل من الناس، حالات استثنائية يعطون فيها، فإذا أعطوا وتمكنوا ترجع سنة الله[١].

---

(١) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترىٰ، د. سفر الحوالي، ص ٧١.

قال - تعالى -: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴿٧﴾ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٧ - ٨].

﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾: في أي مرحلة يعودون سيعود عقاب الله - تعالى - عليهم.

وقال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله)(١).

وقبل أن أتكلم عن الصراع الذي سيقع بين المسلمين بقيادة عيسى ابن مريم عليه السلام، واليهود بقيادة المسيح الدجال عليه لعنة الله - والتي سينتصر فيها المسلمون ولن تقوم لليهود قائمة إلى أن تقوم الساعة، والذي هو من أشراط الساعة الكبرى - أحب أن أوضح مسألة مهمة، وهي أن تلك المبشرات من قول الله - تعالى - ومن قول الرسول ﷺ، والمأذون فيها بنهاية اليهود بالكلية؛ لا تؤدي إلى الخمول والجبن والخور والانتظار حتى تأتي هذه المبشرات ويتم الفتح الذي وُعدنا به، بل يجب على المسلمين أن يعدّوا العدة ويجاهدوا الكفار ومنهم اليهود، حتى يقع النصر المنشود على أعداء الله؛ أي يجب عليهم أن يبذلوا مقدمات ويقدموا جهوداً تتحقق من خلالها تلك المبشرات، فيتطابق أمر الشرع وأمر القدر؛ بفضل من الله تعالى.

ولا وجه لتقييد هذا النصر للمسلمين على اليهود بكونه في زمان قتال اليهود مع الدجال للمسلمين، ومعهم عيسى بعد نزوله - عليه السلام -؛ إذ لا مانع من وقوع ذلك النصر مرتين، فينصرون عليهم قبل نزول عيسى عليه السلام، ويستمر ذلك النصر عليهم إلى نزول عيسى عليه السلام، (حتى يقول الحجر

---

(١) رواه الإمام البخاري بسنده إلى أبي هريرة ﷺ في كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود (٢ / ٣٣٩)، حديث (٢٩٢٦)، ورواه الإمام مسلم بسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الفتن وأشراط الساعة، (٤ / ٢٢٣٩)، حديث (٢٩٢١).

وراءه اليهودي: يا مسلم! هذا يهودي ورائي فاقتله)[١].

(فلا يحسبن أحد أن على الناس أن يناموا ويركنوا إلى الظالمين؛ حتى تأتي هذه الجولة التي يعرضها الحديث الشريف، لا ! فالملحمة ماضية لا تتوقف أبداً، والطائفة الظاهرة ماضية مع الدهر بأمر الله كذلك، والأمانة ممتدة في الحياة لا تنقطع، والمسؤولية تقع على كل الأجيال والعصور، وكل جيل يحاسب عند الله على عمله ونفسه، ومن يتول فإنما يسيء إلى نفسه، والنصر من عند الله قريب في كل وقت للمؤمنين الصادقين، ولا يحسبن أحد أن قيام دولة لليهود يعني أنها باقية حتى تأتي هذه الجولة، فهذه مغالطة واسعة كبيرة، فالباطل يمكن هزيمته كل وقت بإذن الله، ولا يحل الانتظار والاسترخاء والاستسلام. ملحمة فلسطين ماضية لا تتوقف، والجهاد في سبيل الله ماض لا يتوقف، والأمانة ماضية لا تتوقف، وكل جيل يُحاسب عن نفسه وعمله، والنصر قريب بإذن الله)[٢].

وسوف أدرس المعركة الأخيرة بين المسلمين واليهود، والتي تدل على بطلان الوعد الذي تزعمه اليهود من خلال نقاط:

- المهدي.
- المسيح عيسى عليه السلام.
- المسيح الدجال.
- نهاية الواقعة الأخيرة.

المهدي:

هذا الرجل الصالح اسمه كاسم رسول الله ﷺ، واسم أبيه كاسم أبي الرسول ﷺ، وهو من ذرية فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

يقول ابن كثير: (وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني - رضي

(١) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، (٥/ ٢٤٤)، للشنقيطي، (بتصرف).
(٢) ملحمة فلسطين، د. عدنان علي رضا النحوي، ص ٤٣، ٤٤.

الله عنه ـ[١].

يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، تنعم الأمة الإسلامية في عهده بنعم عظيمة فتخرج الأرض خيراتها، وتمطر السماء، ويعطي المال حثاً بغير عدد.

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: (لا تذهب، أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)[٢]. وفي رواية: (يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)[٣].

---

(١) ذكر الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ ذلك (أنه الحسني) استناداً إلى الحديث الذي رواه أبو داود بسنده إلى علي بن أبي طالب أنه نظر إلى ابنه الحسن فقال: «إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق». ثم ذكر قصة: «يملأ الأرض عدلاً».

سنن أبي داود، كتاب المهدي، (٤/ ٤٧٧)، (٤٢٩٠). وهذا الحديث منقطع لأن أبا إسحاق السبيعي لم تثبت له رواية عن علي بن أبي طالب، انظر: سنن أبي داود، تعليق عزت الدعاس وعادل السيد، (٤/ ٤٧٧)، وعون المعبود، (١١/ ٢٧٥).

وذكر هذا الحديث العلامة الألباني في كتابه عن (ضعيف سنن أبي داود)، ص ٤٢٥، رقم (٩٢٤). ولكنه سكت عن بيان درجته. يقول زهير الشاويش: «وهو مما لا يمكن ـ لو صح ـ أن يقوله علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ من عند نفسه، ولو كان موقوفاً».

(٢) سنن أبي داود، كتاب المهدي، (٤/ ٤٧٣)، رقم (٤٢٨٢)، باعتناء عزت الدعاس وعادل السيد. وأخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، (٤/ ٤٣٨)، رقم (٢٢٣٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) المرجعان السابقان، سنن أبي داود، (٤/ ٣٧٣)، (٤٢٨٢)، والترمذي، (٤/ ٤٣٨)، (٢٢٣١) وقال حديث حسن صحيح. قال الألباني: صحيح. صحيح الجامع الصغير، (٢/ ٩٣٨)، (٥٣٠٤) و (٥٣٠٥).

وهاتان الروايتان مدارهما على عاصم بن أبي النجود، قال الإمام الذهبي: «وُثِّق». وقال الدارقطني: «في حفظه شيء»، (الكاشف، (١/ ٥١٨)، باعتناء محمد عوامة). وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق له أوهام، حجة في القراءة، وحديثه في الصحيحين مقرون» (تقريب التهذيب، ص ٢٨٥، باعتناء محمد عوامة).
=

وروى أبو داود بسنده إلى أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المهدي من عترتي[١]؛ من ولد فاطمة)[٢].

وروى الإمام أحمد بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال: (خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا رسول الله ﷺ فقال: يخرج المهدي في أمتي خمساً أو سبعاً أو تسعاً. قلت: أي شيء؟ قال: سنين. ثم قال: يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض من نباتها شيئاً، ويكون المال كدوساً. قال: يجيء الرجل إليه فيقول: يا مهدي، أعطني! قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل)[٣].

= يقول الشيخ محمد العظيم آبادي: وقال الحاكم: رواه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم. قال: وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة؛ إذ عاصم إمام من أئمة المسلمين.

والحاصل أن عاصم بن أبي النجود (واسم أبي النجود بهدلة): ثقة على رأي أحمد وأبي زرعة، وحسن الحديث صالح الاحتجاج على رأي غيرهما، ولم يكن فيه إلا سوء الحفظ، فرد الحديث بعاصم ليس من دأب المنصفين. على أن الحديث قد جاء من غير طريق عاصم أيضاً، فارتفعت عن عاصم مظنة الوهم، والله أعلم. عون المعبود، (١١/ ٢٥٠-٢٥١).

(١) عترتي: العترة ولد الرجل لصلبه، وقد يكون العترة الأقرباء وبني العمومة، ومن قول أبي بكر - رضي الله عنه - يوم السقيفة: (نحن عترة رسول الله ﷺ). معالم السنن، للخطابي، (٤/ ٣١٧).

(٢) سنن أبي داود، كتاب المهدي، (٤/ ٤٧٤)، رقم (٤٢٨٤). وأخرجه ابن ماجه بلفظ: (المهدي من ولد فاطمة)، كتاب الفتن، (٢/ ١٣٦٨)، (٤٠٨٦)، قال الألباني: صحيح. صحيح الجامع الصغير، (٢/ ١١٤٠)، (٦٧٣٤)، وقال أيضاً: وهذا سند جيد رجاله كلهم ثقات، وله شواهد كثيرة. سلسلة الأحاديث الضعيفة، (١/ ١٨١)، (٨٠).

(٣) مسند الإمام أحمد، (٤/ ٤٤)، (١١١٦٣)، باعتناء عبد الله الدرويش، دار الفكر. وفي (٣/ ٢٢) الذي بهامشه كنز العمال. ورواه الترمذي، كتاب الفتن، (٤/ ٤٣٩)، (٢٢٣٢)، وقال: هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد. ورواه ابن ماجه في كتاب الفتن (٢/ ١٣٦٧)، (٤٠٨٣). ورواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن، (١/ ٣٦٠). ورواه الحاكم في المستدرك كتاب الفتن والملاحم، (٤/ ٥٥٨)، ص ٦٠١، رقم (٨٦٧٥). ورواه أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني، (٥ / ١٠٣٦)، في السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها.

ومدار هذه الروايات على زيد العَمِّي وهو ضعيف، الكاشف، (١/ ٤١٦)، (١٧٣٢)، والتقريب، ص ٢٢٣، (٢١٣١). يقول د. رضاء الله المباركفوري: ولكن له شاهد من حديث=

والمهدي - رضي الله عنه - له علاقة قوية جداً بالمعارك والملاحم التي تدور بين المسلمين وأعدائهم من النصارى واليهود، فهو يقود المسلمين في نصرهم على الروم (النصارى)، وينزل عيسى ابن مريم - عليه السلام - في زمانه، فيأتم - عليه السلام - به، ثم يكون المهدي من جنوده في أثناء قتاله - عليه السلام - ضد الدجال ومن معه من اليهود وانتصاره عليهم.

يقول السفاريني: (والصواب الذي عليه الحق أن المهدي غير عيسى عليه السلام، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم)[١].

و(قد تواترت الأحاديث واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته ﷺ، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى - عليه السلام - فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى - عليه السلام - يصلي خلفه؛ يعني صلاة واحدة وهي الفجر)[٢].

يقول الحافظ ابن كثير: (حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه

= أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط والدارقطني في الأفراد، ووصف الهيثمي رجال الطبراني بأنهم ثقات. مجمع الزوائد، (٧/ ٣١٧). وهو إذا ضم إليه هذا الطريق يصلح للاستشهاد به. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، (٥/ ١٠٣٦)، و(٥/ ١٠٦٤)، تحقيق د. رضاء الله بن محمد المباركفوري.

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للعلامة محمد السفاريني، (٢/ ٨٤).

(٢) المرجع السابق، (٢/ ٨٦). قال: «صلاة الصبح»، كما جاء في الحديث عند الإمام أحمد في المسند عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، (٥/ ١٥٦)، برقم (١٤٩٥٩)، باعتناء عبد الله محمد الدرويش. قال الهيثمي: «رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما صحيح». مجمع الزوائد، (٧/ ٣٤٤).

موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان؛ فإن هذا نوع من الهذيان وقسط كبير من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل عليه ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة ولا من معقول صحيح ولا استحسان)(١).

روى البخاري بسنده إلى عوف بن مالك أنه قال: (أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم(٢)، فقال: (اعدد ستاً بين يدي الساعة). فذكر منها: (ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية(٣)،

(١) النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، ص ٢٦، اعتناء أحمد عبد الشافي.
وذكر الحافظ ابن كثير أن المهدي يخرج من بلاد المشرق؛ استناداً إلى الحديث الذي رواه ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (يقتتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم. ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، (٢/ ١٣٦٧)، رقم (٤٠٨٤)، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي، وقال في الزوائد: «هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات». وورواه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، (٤/ ٤٦٤)، ص ٥١٠، باعتناء مصطفى عبد القادر عطا.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.
وقال الحافظ ابن كثير: «وهذا إسناد قوي صحيح». المرجع السابق، ص ٢٦.
وقال الألباني: «الحديث صحيح المعنى دون قوله: (فإن فيها خليفة الله المهدي)، فقد أخرجه ابن ماجه من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعاً نحو زيادة عثمان الثانية، وإسناده حسن، وليس فيه: (خليفة الله). وهذه الزيادة: (خليفة الله) ليس لها طريق ثابت، ولا يصلح أن يكون شاهداً لها، فهي منكرة، ونكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: خليفة الله. لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله - تعالى - من النقص والعجز». سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، (١/ ١٩٥)، رقم (٨٥).

(٢) انظر، ص ٢٩١ من هذا الكتاب.

(٣) غاية: أي راية. قال ابن حجر: «وسميت بذلك؛ لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف. ووقع في حديث ذي مخبر عند أبي داود في نحو هذا الحديث بلفظ (راية) بدل غاية». أ. هـ. والحديث قد رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في صلح العدو، (٣/ ٢١٠)، (٢٧٦٧)، وفي أول كتاب الملاحم كما سيمر معنا في الحديث الآتي. ولكني لم أجد في نسخة تحقيق عزة الدعاس وعادل السيد لفظ (راية)، والله أعلم. ثم قال الحافظ - رحمه الله -: «وفي رواية (الغابة) بدل (الغاية)»، فتح الباري، (٦/ ٣٢١)، باعتناء محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية. وهذه الرواية ذكرها الإمام الخطابي في شرحه للبخاري (أعلام الحديث). وقال: «الغابة أصلها الغيضة، وهي الشجر الملتف. فاستعيرت للرايات تُرفع لرؤساء الجيوش. وشبه ما يشرع من الرماح بالغابة». أعلام الحديث، (٢/ ١٤٦٩)، ت: د. محمد بن سعد آل سعود.

تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً)[١].

وروىٰ أبو داود بسنده إلىٰ ذي مخبر أنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتُنصرون وتغنمون وتسلمون، ثم ترجعون حتىٰ تنزلوا بمرج ذي تلول[٢]، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول: غلب الصليب. فيغضب رجل من المسلمين فيدقُّه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة)[٣].

وروىٰ مسلم بسنده إلىٰ أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتىٰ ينزل الروم بالأعماق[٤] أو بدابق[٥]، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصافوا قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله! لا نُخلِّي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم

---

(١) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الجزية و الموادعة، باب ما يُحذَر من الغدر، (٢/ ٤١٣)، (٣١٧٦).

(٢) بمرج ذي تلول: مرج: الميم والراء والجيم أصل صحيح يدل علىٰ مجيء وذهاب واضطراب. والمرج أصله أرض ذات نبات تمرجُ فيها الدواب. معجم مقاييس اللغة، (٥ / ٣١٥). مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٦٤. القاموس المحيط، ص ٢٦٢. تلول: وأتلال وتلال مفردها تل. وأصل التل المكان المرتفع. والتل من التراب والكومة من الرمل. والتل الرابية من التراب. والتل من صغار الآكام. وحجارة التل غاصٌ بعضها ببعض. لسان العرب، (١١ / ٧٨)، والقاموس المحيط، ص ١٢٥٤، ومفردات ألفاظ القرآن، ص ١٦٧.

(٣) سنن أبي داود، أول كتاب الملاحم، باب ما يذكر في ملاحم الروم، (٤/ ٤٨١)، (٤٢٩٢). وأخرجه أيضا في كتاب الجهاد حديث (٢٧٦٧). وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الملاحم، (٢/ ١٣٦٩)، (٤٠٨٩)، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي، وقال في الزوائد: «إسناده حسن».

(٤) الأعماق: هي كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية، وهما في الشام. معجم البلدان، (١/ ٢٢٢).

(٥) دابق: بكسر الباء وروي بفتحها وآخره قاف. قرية قرب حلب من أعمال عزاز. بينها وبين حلب أربعة فراسخ. المرجع السابق، (٢/ ٤١٦).

يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون؛ إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعدّون للقتال، يسوون الصفوف؛ إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسىٰ ابن مريم -عليه السلام- فأمّهم. فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتىٰ يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيُريهم دَمَه في حربته)[١].

وفي رواية: (فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم. فيرفضون ما في أيديهم، ويُقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعةً. قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس علىٰ ظهر الأرض يومئذٍ. أو من خير فوارس علىٰ ظهر الأرض يومئذ)[٢].

وروىٰ أيضاً بسنده إلىٰ جابر بن عبد الله أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين إلىٰ يوم القيامة. قال: فينزل عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا: فيقول: لا؛ إن بعضكم علىٰ بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة)[٣].

وروىٰ البخاري ومسلم بسنديهما إلىٰ أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)[٤].

---

(١) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسىٰ ابن مريم، (٤/ ٢٢٢١)، (٢٨٩٧)، اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتال عند خروج الدجال، (٤/ ٢٢٢٤)، (٢٨٩٩)، اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب نزول عيسىٰ ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، (١/ ١٣٧)، (٢٤٧).

(٤) رواه البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام، (٢٠/ ٤٩١)، (٣٤٤٩). ورواه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب نزول عيسىٰ ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد، (١/ ١٣٦)، (٢٤٤).

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم أمير بعض تكرمة الله هذه الأمة)(١).

فهذه الأحاديث تدل على أمور:

منها: ينزل عيسى - عليه السلام - من السماء وأمير المسلمين منهم، وينزل - عليه السلام - في وقت يستعد المسلمون فيه للصلاة، فيطلب أمير المسلمين من عيسى أن يصلي بهم، فيأبى عيسى - عليه السلام - ويقول: إمامكم منكم.

وهذا يدل على أن هذا الأمير على صلاح وهدى. ولم يصرح من يكون هذا الرجل في روايات الصحيحين، ولكن (جاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث في الصحيحين، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبد الله، ويقال له: المهدي. والسنة يفسر بعضها بعضاً)(٢).

وذكر الشيخ محمد صديق حسن في كتابه (الإذاعة) بعض أحاديث عن المهدي، جعل آخرها حديث جابر المذكور عند مسلم، ثم قال: (وليس فيه أيضاً ذكر المهدي، ولكن لا محمل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر؛ لما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة والآثار الكثيرة)(٣).

(وأحاديث مسلم لم يقع فيها اسم المهدي إلا أنه صرح بلفظ المهدي في

---

(١) يقول د. عبد العليم البستوي: «أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وأبو نعيم في أخبار المهدي. وقال ابن القيم في كتاب المنار المنيف: وإسناده جيد. فالحديث إسناده متصل ورجاله رجال الصحيح». انظر: المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، (١/ ١٨٢).
(٢) المرجع السابق، د. الوابل، ص ٢٥٨.
(٣) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، للشيخ محمد صديق، ص ١١٨. قدم له: إبراهيم أحمد.

أحاديث أخرىٰ صحيحة لأصحاب السنن وغيرهم)(١).

ومنها: أن الملحمة التي تقع بين المسلمين واليهود تكون بعد الملحمة التي بين المسلمين والروم (النصارىٰ).

حيث إنه يسبق حروبنا ضد الروم (النصارىٰ) تحالف عالمي معهم؛ لدرجة أننا وهم نقاتل مجتمعين عدواً من ورائنا في المشرق، فإذا انتصرنا علىٰ هذا العدو المشترك؛ ينسب النصارىٰ هذا النصر إلىٰ أنفسهم ـ كما هي عادتهم ـ، فيرفع أحدهم الصليب ابتهاجاً بالنصر، فيثير حفيظة المسلمين، فيقوم رجل من المسلمين فيقتل رافع الصليب ويكسر الصليب، فعند ذلك يغدر بنا النصارىٰ ويجتمعون لمواجهتنا تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً.

يكون تجمع المسلمين بالغوطة في دمشق(٢)، وتجمع النصارىٰ بالأعماق أو دابق وهي قريبة من حلب؛ أي أن القتال بيننا وبين النصارىٰ يكون في الشام وفي سورية خاصة في آخر الزمان وقبل خروج الدجال، فتحصل الملحمة بين الجيش الإسلامي المتمركز في الشام، والجيوش النصرانية. فلا ينتصر المسلمون حتىٰ يلحق بهم جيش من المدينة المنورة، هم من خيار أهل الأرض يومئذ، فينقسم الجيش الإسلامي في هذه المعركة إلىٰ ثلاثة أقسام: قسم يُهزم فلا يتوب الله عليهم، وقسم يُستشهد فهم أفضل الشهداء عند الله، وقسم ثالث ينتصر علىٰ النصارىٰ، يعملون فيهم مقتلة عظيمة، ويفتح الله علىٰ أيديهم لا يُفتنون أبداً،

---

(١) عن: محمد بن جعفر الكتاني، نقلاً عن الرسالة في الفتن والملاحم، لأبي عبيدة ماهر آل مبارك

(٢) ورد في الحديث الذي أخرجه أبو داود بسنده عن أبي الدرداء أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: (إن فُسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغُوطة إلىٰ جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام)، سنن أبي داود، (٤ / ٤٨٤)، (٤٢٩٨).

الغوطة: بضم الغين ثم واو ساكنة وطاء مهملة، من الغائط، وهو المطمئن من الأرض، وهي موضع بالشام تحيط بها جبال عالية، وبها أنهار وأشجار متصلة، وفيها تقع مدينة دمشق. معجم البلدان، (٤ / ٢١٩).

ويكون انتصار المسلمين على الروم تهيئة لفتح القسطنطينية(١).

وفي هذه الأثناء، وفي نشوة انتصار المسلمين على النصارى، وفتحهم للقسطنطينية، وبدئهم بتقسيم الغنائم، وسيوفهم معلقة على شجر الزيتون؛ يصيح فيهم الشيطان: إن الدجال قد خلفكم في أهليكم. وهذا كذب؛ إذ إنه يخرج بعد عودتهم إلى الشام.

ومنها: أن عيسى -عليه السلام- ينزل من السماء إلى بيت المقدس والمسلمون ينظمون صفوفهم بقيادة المهدي، وذلك بعد انتصارهم على النصارى وفتحهم للقسطنطينية؛ استعداداً لملاقاة المسيح الدجال وجيشه من اليهود، فيتولى المسيح عيسى -عليه السلام- زمام المعركة ضد المسيح الدجال واليهود، ويكون المهدي مع عيسى -عليه السلام- جندياً من جنوده.

عيسى عليه السلام:

هذا النبي الرسول الكريم -من أولي العزم من الرسل- الذي ادعى اليهود بأنهم قتلوه وصلبوه، ونشروا هذه الدعوى بين البشر كذباً وافتراء؛ يرد عليهم هو بنفسه -عليه السلام- بعد رد الله -تعالى- عليهم بقوله -عز وجل-: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]، وهذا الرد من عيسى -عليه السلام- لليهود

---

(١) قسطنطينية: سميت باسم قسطنطين الأول الذي أنشأها بموضع بيزنطة القديمة، وجعلها العاصمة الجديدة للإمبراطورية الرومانية ٣٣٠م.

فتحت في عهد الدولة العثمانية على يد السلطان محمد الثاني (الفاتح) العثماني -رحمه الله تعالى- سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، فأصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة الخلافة العثمانية، وأصبح اسمها (إسلامبول)؛ أي تخت الإسلام أو مدينة الإسلام، حرفت إلى (إسطانبول) أو (الآستانة). انظر: موسوعة السياسة، د. عبدالوهاب الكيالي، (٤/ ٧٨٢)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، للأستاذ محمد فريد بك المحامي، تحقيق د. إحسان حقي، ص ١٦٤.

رداً عملياً في آخر الزمان، وذلك بأنه مع جيشه الإسلامي يثبت أن الوعد المبثوث في كتابهم المقدس، بالأرض المقدسة فلسطين وما حولها لليهود، هو وعد مفترىٰ مزعوم مكذوب من فعل أنفسهم الخبيثة وتعاليهم الكذاب وشرهم المتأصل، فيقوم ـ عليه السلام ـ ومن معه من الجيش الإسلامي بقتل زعيمهم ومسيحهم المنتظر وهو المسيح الدجال ومن معه من الجيش اليهودي، فلا تقوم لليهود بعدها قائمة، فتنتهي شوكتهم.

أرادوا بمكرهم وخبثهم نهايته ـ عليه السلام ـ وتصفيته من الوجود، فمنّ الله عليه بأن يسر له أن ينهيهم هو ويصفيهم من هذا الوجود.

يقول ابن حجر: (قال العلماء: الحكمة في نزول عيسىٰ دون غيره من الأنبياء الرد علىٰ اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله ـ تعالىٰ ـ كذبهم، وأنه هو الذي يقتلهم، ونزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض؛ إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها)[1].

وسأذكر بعض الأحاديث النبوية التي تبين ـ إن شاء الله تعالى ـ أين ينزل عيسى عليه السلام؟ وكيف؟ وماذا يفعل ـ عليه السلام ـ بعد نزوله إلى الأرض مع اليهود وغيرهم؟

ففي حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر خروج الدجال، ثم نزول عيسىٰ ـ عليه السلام ـ قال ﷺ: (. . . إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين[2] واضعاً كفَّيه علىٰ أجنحة مَلَكَيْن،

---

(١) فتح الباري، (٦/ ٥٦٨)، باعتناء محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية.

(٢) مهرودتان: روي بالدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم. وأكثر ما يقع في النسخ المهملة، كما هو المشهور. ومعناه لابس مهرودتين؛ أي ثوبين مصبوغين بورْس ثم بزعفران. وقيل: هما شقتان، والشقة نصف الملاءة. شرح النووي علىٰ صحيح مسلم، (١٨/ ٥٤)، ولسان العرب، (٣/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦)، لابن منظور.

إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ[١]، فلا يحل[٢] لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. فيطلبه حتىٰ يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسىٰ ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة)[٣].

وروىٰ الترمذي بسنده إلىٰ مجمع بن جارية الأنصاري يقول: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتل ابن مريم الدجال بباب لد)[٤].

وروىٰ أبو داود بسنده إلىٰ النواس بن سمعان: أن الرسول ﷺ قال: (. . . ثم ينزل عيسىٰ ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيدركه عند باب لُدّ فيقتله)[٥].

وروىٰ البخاري ومسلم بسنديهما إلىٰ أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد، حتىٰ تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها)، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن

---

(١) (تحدّر منه جمان كاللؤلؤ): الجمان حبات من الفضة تصنع علىٰ هيئة اللؤلؤ الكبار. والمراد يتحدر منه الماء علىٰ هيئة اللؤلؤ في صفاته، فسمىٰ الماء جماناً لشبهه به في الصفاء. شرح النووي، المرجع السابق.

(٢) (فلا يحل)؛ معنىٰ لا يحل: لا يمكن ولا يقع. وقال القاضي: «معناه عندي حق وواجب»، المرجع السابق.

(٣) رواه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، (٤/ ٢٢٥٣)، (٢١٣٧)، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب: ما جاء في قتل عيسىٰ ابن مريم الدجال. وقال: هذا حديث حسن صحيح، (٤/ ٤٤٧)، (٢٢٤٤)، وقال الألباني: صحيح. الجامع الصحيح وزيادته، (٢/ ١٣٥٠)، (٨١٢٦).

(٥) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب: خروج الدجال، (٤/ ٤٩٧)، (٤٣٢١).

شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ [النساء: ١٥٩][(١)].

وفي رواية عند مسلم: (والله! لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص[(٢)]، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليَدْعُونَّ (وليُدْعَوُنَّ) إلى المال فلا يقبله أحد)[(٣)].

وروى الإمام أحمد في المسند بسنده إلى أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد[(٤)]، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران[(٥)]، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيُهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، (٢ / ٤٩٠)، (٣٤٤٨)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ـ عليه السلام ـ حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، (١/ ١٣٥)، (٢٤٢)، اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) القلاص: بكسر القاف جمع قلوص بفتح القاف، وهي من الإبل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال، فهي الناقة الشابة. شرح النووي لصحيح مسلم، (٢ / ١٦٥)، والنهاية في غريب الحديث، (٤ / ١٠٠).

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم، (١ / ١٣٦)، (٢٤٣).

(٤) إخوة لعلات: علات: بفتح العين المهملة، وتشديد اللام. وأولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد؛ أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة. يقول الحافظ ابن كثير: (ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد). النهاية في غريب الحديث، (٣/ ٢٩١)، وتفسير الحافظ ابن كثير، (٢ / ٦٩).

(٥) ممصران: معناه والمهرودتين واحد، وهي المصبوغة بالصفرة من زعفران أو غيره. والممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة. لسان العرب، (٣/ ٤٣٥ـ٤٣٦).

المسيح الدجال، وتقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون)[١].

وفي رواية لمسلم بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين (لا أدري: أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً)، فيبعث الله عيسى ابن مريم، فيطلبه فيُهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قِبَل الشام؛ فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته)[٢].

وفي الأحاديث التي ذكرتها، من أحاديث عن المهدي، أن عيسى - عليه السلام - ينزل من السماء، فيقول أمير المسلمين - وفي رواية أفصحت عن اسمه وهو (المهدي) -: تعال صلِّ لنا. فيقول - عليه السلام -: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة.

فهذه الأحاديث المطهرة تدل على أمور:

منها: قال ابن كثير - في مسألة نزوله عليه السلام -: (هذا هو الأشهر في موضوع نزوله، أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق. فلعل هذا هو المحفوظ، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي، وهذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة، فيقول له: يا إمام المسلمين

---

(١) مسند الإمام أحمد، (٢/ ٤٠٦)، بهامشه منتخب كنز العمال. ورواه أبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، (٤/ ٤٩٩)، رقم (٤٣٢٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى - عليه السلام - وقتله إياه... (٤/ ٢٢٥٨)، رقم (٢٩٤٠)، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

يا روح الله! تقدم. فيقول: تقدم أنت فإنها أقيمت لك. وفي رواية: بعضكم على بعض أمراء، يكرم الله هذه الأمة.

وقد جُدّد بناء المنارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيضاء، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قيض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى ينزل عيسى ابن مريم عليها فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية، ولكن من أسلم قبل منه إسلامه وإلاّ قُتل، وكذلك حكم سائر كفار الأرض يومئذ، وهذا من باب الإخبار عن المسيح بذلك، والتشريع له بذلك، فإنه إنما يحكم بمقتضى هذه الشريعة المطهرة)(١).

(أي أن عيسى ـ عليه السلام ـ يحكم بالكتاب والسنة، وفي هذا رد على النصارى الذين يقولون: إنه سيحكم بالإنجيل)(٢).

ومنها: أنه ـ عليه السلام ـ وبعد نزوله وصلاته مع المسلمين خلف إمامهم (المهدي) يتولى ـ عليه السلام ـ زمام الأمر والقيادة، ويقود الجيش الإسلامي إلى نصر مبين على المسيح الدجال ومن معه من اليهود وغيرهم من أعضاء جيشه، فيقتل الدجال في باب لُدّ حتى تتلطخ حربته ـ عليه السلام ـ بدم الدجال، فينتهي اليهود ـ كما سيمر معنا إن شاء الله تعالى ـ، ويقوم ـ عليه السلام ـ بكسر الصليب ليبين للنصارى أنهم كانوا على ضلالة في عبادتهم تلك، وعدم اتباعهم شريعة الإسلام، ويلغي الجزية فلا يقبل من كافر إلا الإسلام أو القتل، ويقتل الخنزير، ويعم الأرض الرخاء والسلام والنعمة والأمان، حتى إن المال يفيض في أيدي الناس، فيعرض ـ عليه السلام ـ المال على الناس فلا يقبله أحد، وحتى ترتع الأسود مع الإبل، والنّمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان

(١) النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، ص ٩٨، اعتناء: أحمد عبد الشافي.
(٢) فقد جاء أشراطها، محمود عطية محمد علي، ص ٩٧.

بالحيات لا تضرهم، ويسلطه الله على كل الأديان فيهلكها، ويقضي عليها كلها، ويبقى الإسلام ثابتاً شامخاً.

ومنها: (يحكم عيسى ـ عليه السلام ـ بالشريعة المحمدية، ويكون من أتباع محمد ﷺ، فإنه لا ينزل بشرع جديد؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباق إلى قيام الساعة لا يُنسخ، فيكون عيسى ـ عليه السلام ـ حاكماً من حكام هذه الأمة ومجدداً لأمر الإسلام؛ إذ لا نبي بعد محمد ﷺ)(١).

قال القرطبي: (ذهب قوم إلى أنه بنزول عيسى ـ عليه السلام ـ يرتفع التكليف؛ لئلا يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله ـ تعالى ـ وينهاهم، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها من حديث أبي هريرة، وبقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (لا نبي بعدي)، وقوله: (أنا العاقب)(٢)؛ يريد آخر الأنبياء وخاتمهم، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبياً بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا ﷺ، بل إذا نزل فإنه يكون يومئذٍ من أتباع محمد ﷺ، حيث قال لعمر: (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي)(٣)، فينزل وقد عُلّم بأمر الله ـ تعالى ـ له في السماء ـ قبل أن ينزل ـ ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه ويُحَكِّمونه على أنفسهم؛ إذ لا أحد يصلح لذلك غيره، ولأن تعطيل الحكم غير جائز. وأيضاً فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض الله، الله)(٤).

لذلك يرى الإمام ابن الجوزي في مسألة رفض عيسى ـ عليه السلام ـ أن

---

(١) أشراط الساعة، د. يوسف الوابل، ص ٣٥٨.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه (٤/ ١٨٢٨)، (٢٣٥٤).
(٣) مسند الإمام أحمد، (٣/ ٣٨٧)، بهامشه منتخب كنز العمال.
(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ص ٧٦٣.

يتقدم للإمامة عندما نزل من السماء إلى الأرض حتى يبين للمسلمين أنه نزل ليعمل بهذه الشريعة الإسلامية، فقال: (لو تقدم عيسى ـ عليه السلام ـ إماماً لوقع في النفس إشكال، ولقيل: أتراه تقدم نائباً أو مبتدئاً شرعاً. فصلى مأموماً لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله: (لا نبي بعدي)[١].

وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال: أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجته)[٢].

ومنها: أن عيسى ـ عليه السلام ـ بعد أن يقضي على الدجال ومن معه من اليهود في الملحمة الكبرى التي ينطق فيها حتى الشجر والحجر ـ كما سيأتي إن شاء الله تعالى ـ تكون مدته في الأرض، كما جاء في بعض الروايات، سبع سنين، وفي بعضها أربعين سنة.

يقول ابن كثير: (فهذا مع هذا مشكل، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور، والله أعلم)[٣].

وقد اختار السيوطي رواية (أربعين سنة) مرجحاً ذلك بأنها زيادة ثقة، و(لأن زيادة الثقة يُحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل لما معها من زيادة العلم، ولأنه مثبت والمثبت مقدم)[٤].

المسيح الدجال (قائد اليهود إلى نهايتهم):

عقيدة المسيح المنتظر عند اليهود من أهم العقائد اليهودية، والانتظار لمجيء

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري، (٦/ ٥٧٠)، المكتبة السلفية.

(٢) المرجع السابق.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، ص ٩٩، اعتناء أحمد عبد الشافي.

(٤) لوامع الأنوار البهية، العلامة محمد السفاريني، (٢/ ٩٩).

هذا المسيح اليهودي هو حجر الزاوية في الإيمان اليهودي. حيث إنه ـ عندهم ـ يأتي في نهاية التاريخ، فيفدي شعب إسرائيل؛ وذلك بإنقاذه من (المنفى)، والعودة به إلى الأرض المقدسة، حيث يحطم أعداء إسرائيل ويعيد بناء هيكلهم (المزعوم). فعند اليهود أن (مسيحهم) لم يأت، وهم ينتظرون مجيئه الذي لن يتم إلا فوق أرض فلسطين وتحت سقف هيكل سليمان.

وأنه عندما يجيء سيصبح في العالم دين واحد، وهو دين يهوه، وسيكون الرب واحداً، وهو (يهوه إله إسرائيل)، وسيسود السلام ويصبح أبدياً، وحتى الوحوش الكاسرة لن تؤذي أحداً، وسيكون الخلاص مصحوباً بانبعاث الموتى، وسوف يلتئم شمل إسرائيل. وذلك كله بعد معركة (هرمجدون) التي سيكون النصر فيها لليهود ـ على زعمهم ـ.

يقول د. سفر الحوالي: (المسيح الدجال هو الذي يؤمن به اليهود ويسمونه (ملك السلام)، والذي يهيئون لخروجه، ولكنهم لا يسمونه الدجال، ولهذا يدأب الإعلام الصليبي واليهودي على تسمية المرحلة المقبلة من تاريخ المنطقة: (مرحلة السلام)، وهذا هو ملكها عند الصهاينة)[1].

ولكن الحق أن اليهود قد (اختلط عليهم الأمر وهم يبحثون عن الدفء، فأخذوا اسم (المسيح) الذي يستقيم مع أفعالهم ويتناسب مع أهوائهم. فالمسيح الدجال آخر الزمان فتنة، يقود الجيش، ويسفك الدماء. فوضعوا نبوءة الدجال في جراب (التبشير) عند إجرائهم لعمليات الفرز؛ بدلاً من وضعها في جراب (التحذير))[2].

(وهم ـ أي اليهود ـ ينتظرون (مسياهم) ملكاً رب الجنود، وقائد عصابات،

---

(١) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، د. سفر الحوالي، ص ٢٥.

(٢) المسيح الدجال ـ قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى ـ، سعيد أيوب، ص ٣٢.

وسافك دماء، لينقذ شعبه الخاص، ويبني هيكل أورشليم، ويعيد مملكة إسرائيل من النيل إلىٰ الفرات بناء لحق ميثولوجي مزعوم، وخرافة عرقية دينية)[١].

وحقيقة هذا المسيح الدجال تتضح - إن شاء الله - بعد عرض بعض أقوال الرسول الكريم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. عنه وعن فتنته، وجنوده، ومكثه في الأرض، وقتله علىٰ يد المسيح عيسىٰ ابن مريم.

روىٰ الإمام أحمد بسنده إلىٰ هشام بن عامر قال: (سمعت النبي ﷺ يقول: (ما بين خلق آدم إلىٰ أن تقوم الساعة فتنة أكبر من فتنة الدجال)[٢].

وروىٰ الشيخان بسنديهما إلىٰ عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس، فقال: (إنّ الله - تعالىٰ - ليس بأعور، ألا وإنّ المسيح الدجال أعور العين اليمنىٰ، كأن عينه عنبة طافية)[٣].

وروىٰ مسلم بسنده إلىٰ حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان؛ أحدهما، رأي العين، ماء أبيض. والآخر، رأي العين، نار تأجج. فإمَّا أدركَنَّ أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليُغَمِّض، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد. وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة[٤] غليظة. مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب)[٥].

وفي رواية (مكتوب بين عينيه كافر)، ثم تهجاها: ك ف ر. (يقرؤُهُ كُلُّ مسلم)[٦].

---

(١) خطر اليهودية الصهيونية علىٰ النصرانية والإسلام، الأب طاينوس منعم، ص ٤٦.

(٢) مسند الإمام أحمد، (٥/ ٤٨٨)، (١٦٢٦٥)، باعتناء عبد الله محمد الدرويش.

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، (٤/ ٣٢٥)، (٧١٢٣)، ورواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، (٤/ ٢٢٤٧)، (١٦٩).

(٤) ظفرة: بفتح الظاء المعجمة والفاء، لحمة تنبت عند المآقي، وقد تمتد إلىٰ السواد فتُغشّيه. النهاية في غريب الحديث، (٣/ ١٥٨). والمآقي: هو مقدمة العين. المرجع السابق، (٤/ ٢٨٩).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، (٤/ ٢٢٤٩)، رقم (٢٩٣٣).

(٦) المرجع السابق، (صحيح مسلم)، (٤/ ٢٢٤٨)، رقم (٢٩٣٣).

وفي رواية الترمذي بسنده إلىٰ أبي بكر الصديق قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: (الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خُراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة)(١).

وروىٰ الإمام أحمد بسنده إلىٰ أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفاً من اليهود عليهم التيجان)(٢).

وروىٰ مسلم بسنده إلىٰ أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: (يتبع الدجال من يهود أصبهان؛ سبعون ألفاً عليهم الطيالسة)(٣).

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء من أين يخرج الدجال، (٤ / ٤٤١)، رقم (٢٢٣٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب. ورواه وابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسىٰ ابن مريم... (٢/ ١٣٥٣)، رقم (٤٠٧٢)، اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي، والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، (٤/ ٥٢٧)، ص ٥٧٣، اعتناء مصطفىٰ عبد القادر عطا، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح. ووافقه الذهبي، وقال الألباني: وهو كمال قالا، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير المغيرة بن سبع، وهو ثقة. وعمرو بن حريث صحابي صغير. سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٤/ ١٢٢)، (١٥٩١).

والمجان المطرقة: المجان بفتح الميم وتشديد النون جمع مجنّ وهو الترس، وذلك لأنه يواري حامله أي يستره. شرح النووي لمسلم، (١٨/ ٣٠)، ولسان العرب، (١٣/ ٩٤)، والقاموس المحيط، ص ١٥٣٢، والمطرقة: الطاء والراء والقاف أربعة أصول منها، خصف الشيء علىٰ الشيء. يقال نعل مطارق؛ أي مخصوفة. وترس مطرق؛ إذا طورق بجلد علىٰ قدره. فهو الشيء الذي يتركب بعضه علىٰ بعض. والمجان المطرقة التي يطرق بعضها علىٰ بعض؛ أي يكون بين جلدين أحدهما فوق الآخر. وفي هذا الحديث شبه وجوههم بالترس التي ألبست العقب شيئاً فوق شيء؛ أراد أنهم عراض الوجوه غلاظها. ورواه بعضهم بتشديد الراء للتكثير، والأفصح والأشهر بتخفيفها. لسان العرب، (١٠ / ٢٢٠)، والقاموس المحيط، ص ١١٦٦، ومعجم مقاييس اللغة، (٣/ ٤٥٢)، وشرح النووي لمسلم، (١٨/ ٣٠).

(٢) مسند الإمام أحمد، (٤ / ٤٤٧)، رقم (١٣٣٤٣)، باعتناء عبد الله محمد الدرويش.

التيجان: جمع تاج، وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر. ويقال للفضة: تاج. والإكليل والقُصّة والعِمامة: تاج علىٰ التشبيه. لسان العرب، (٢ / ٢١٩)، والقاموس المحيط، ص ٢٣٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب في بقية من أحاديث الدجال، (٤ / ٢٢٦٦)، رقم (٢٩٤٤).

=

وروى مسلم وغيره بأسانيدهم إلى النواس بن سمعان قال: (ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفّض فيه ورفّع حتى ظننّاه في طائفة النخل، ثم قال: فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف. إنه خارج خَلَّةً بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله! فاثبتوا. قلنا يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيّامكم، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة؛ أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا له قدره. قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيُؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتُنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذُراً، وأسبغه ضُروعاً، وأمده خواصر. ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون مُمحِلِين ليس بأيدهم شيءٌ من أموالهم. ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كُنُوزك، فتتبعه كُنُوزها كيعاسيب النحل[(١)]. ثم يدعو رجُلاً مُمتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض[(٢)]، ثم يدعوه فيُقبل ويتهلّل وجهه يضحك. فبينما هم كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. . .)[(٣)] الحديث.

= الطيالسة: مفردها طيلس وطيلسان، دخلت فيها الهاء في الجمع للعجمة لأنه فارسي معرّب. وهو ضرب من الأكسية، أسود أو مائل إلى السواد. لسان العرب، (٦/ ١٢٥)، والقاموس المحيط، ص ٧١٤.

وجاء أن: الطيلسان يُطلق عليه بالعبرية (طاليت)، وهو رداء الصلاة عند اليهود، وهو أشبه في رسمه وألوانه بالعلم الإسرائيلي. انظر: حُمّى سنة ٢٠٠٠، ص ٢٣٧.

(١) يعاسيب النحل: ذكور النحل، وقال القاضي عياض: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعته). شرح النووي لصحيح مسلم، (١٨/ ٥٣).

(٢) جزلتين رمية الغرض: بفتح الجيم على المشهور، وحكي كسرها، أي قطعتين. ومعنى رمية الغرض أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته. وهذا هو الظاهر والمشهور). المرجع السابق شرح النووي، (١٨/ ٥٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، =

وفي خبر (الجساسة) ـ الطويل ـ أن الدجال أخبر عن نفسه بقوله: (إنّي أنا المسيح، وإني أُوشك أن يُؤذنَ لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلاّ هبطتها في أربعين ليلةً؛ غير مكةَ وطيبةَ، فهما أيضاً مُحرَّمتانِ عَلَيَّ كِلْتاهُما، كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما، استقبلني مَلَكٌ بيده السيف صلتاً. يصدني عنها، وإنّ على كل نقب منها ملائكةً يحرسونها). وهنا قال رسول الله ﷺ: (ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق. وأومأ بيده إلى المشرق)[(١)].

وروى مسلم بسنده إلى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق)[(٢)].

وثبت أيضاً أن الدجال لا يدخل أربعة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد الطور، والمسجد الأقصى[(٣)].

= (٤/ ٢٢٥٠)، رقم (٢١٣٧). وابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم... ٢/ ١٣٥٦(٤٠٧٥)، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال (٤/ ٤٤٢)، (٢٢٤٠)، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، (٤/ ٤٩٦)، رقم (٤٣٢١).

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، (٤ / ٢٢٦١)، رقم (٢٩٤٢)، والترمذي، كتاب الفتن، باب (٦٦)، (٤/ ٤٥٢)، (٢٢٥٣)، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة (٤/ ٥٠٠)، (٤٣٢٦)، وابن ماجه كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم، رقم (٤٠٧٤).

الجساسة: بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى. قيل سميت بالجساسة لتجسسها الأخبار عن الدجال. وقيل هي دابة الأرض المذكورة في القرآن. شرح النووي لصحيح الإمام مسلم (١٨ / ٦٣).

(٢) المرجع السابق، صحيح مسلم، (٤/ ٢٢٦٥)، رقم (٢٩٤٣).

(٣) مسند الإمام أحمد، (٥/ ٤٣٥)، بهامشه منتخب كنز العمال، وقال الحافظ في الفتح: «رجاله ثقات»، (١٣ / ١٠٥)، وأخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة، وقد قال محقق الكتاب د. محمد سعيد القحطاني: «رجاله ثقات غير أن الأعمش يدلس»، (٢/ ٤٥٢، ٥٣٢)، قال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»، مجمع الزوائد، (٧/ ٣٤٣).

روى الإمام أحمد بسنده إلى جنادة بن أبي أمية الأزدي، قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدجال... (فذكر الحديث): (وأنه يمكث في الأرض أربعين صباحاً، يبلغ فيها كُلاً منها ولا يقرب أربعة مساجد، مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى).

والأحاديث النبوية الواردة في الدجال وفتنته كثيرة جداً، وهي منتشرة في كتب الحديث من الصحاح والسنن والمسانيد والجوامع وغيرها، ومواضيعها متشعبة، لم يترك علماء أهل السنة منها شيئاً إلا درسوه وبينوه وأوضحوه، حتى يكون أهل الإسلام على بصيرة من هذه الفتنة القادمة، نسأل الله السلامة.

وقد ذكرت بعض هذه الأحاديث في هذا الموضوع، وهي لا شك قليلة جداً، وكان قصدي منها أن أصل إلى بعض الأمور:

منها: أن المسلمين قادمون على فتنة ليست ككل الفتن، بل هي أعظم فتنة على هذه الأرض، لدرجة أن الرسول ﷺ أمر بالتعوذ منها ضمن أربعة أمور دبر كل صلاة، روى مسلم بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا تشهد أحدكم؛ فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم! إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال)[1].

وروى البخاري بسنده إلى عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال)[2].

كيف لا وفتنته من أعظم الفتن ـ بل أعظمها ـ التي تمر على البشرية منذ خلق

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، (١/ ٤١٢)، رقم (٥٨٨) و (٥٩٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، (٤/ ٣٢٦)، رقم (٧١٢٩).

الله آدم إلىٰ قيام الساعة، حيث يدعي هذا الدجال الألوهية، ويدعو الناس إلىٰ عبادته، ويُقْدره الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ كثير من الخوارق، يستميل بها إليه ضعاف الإيمان من المسلمين فضلاً عن المشركين وأتباعه اليهود. يخرج في وقت مجاعة وجدب، ويكون معه جبل خبز، ونهر ماء، ويهبط الأرض كلها إلا أربعة مساجد؛ المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصىٰ، ومسجد الطور بسيناء. يجتاز كل الأرض في أربعين ليلة، يسير مسرعاً كالغيث استدبرته الريح.

يقول القاضي عياض: (هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلىٰ الله به عباده وأقدره علىٰ أشياء من مقدورات الله تعالىٰ؛ من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا، والخصب معه، وجنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت. فيقع كل ذلك بقدرة الله ـ تعالىٰ ـ ومشيئته، ثم يعجزه الله ـ تعالىٰ ـ بعد ذلك، فلا يقدر علىٰ قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسىٰ ﷺ، ويثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وغيرهم في أنه صحيح الوجود، ولكن الذي يدعىٰ مخارف وخيالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. وهذا غلط من جميعهم؛ لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية وهو في دعواه نفسها مكذب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه(١)، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه.

---

(١) وهناك روايتان في مسألة العور الذي في عين الدجال. رواية: أنه أعور العين اليمنىٰ، أخرجها الشيخان، البخاري في الصحيح، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، (٤/ ٣٢٥)، رقم =

ولهذه الدلائل وغيرها؛ لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة؛ رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفاً من أذاه؛ لأن فتنته عظيمة جداً تدهش العقول وتحير الألباب، مع سرعة مروره في الأرض، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص، فيصدقه من صدقه في هذه الحالة، ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته، ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه؛ لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه: ما ازددت فيك إلا بصيرة)[١].

ومنها: أن الدجال لم يقتصر على أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه، فمن لم يستمع له تركه وشأنه، ولكن كان همه الأكبر ـ بعد هذا ـ أن يقضي على الأمة الإسلامية في وقته، وينهي على كل شخص يعبد الإله الحق سبحانه وتعالى. وكانت أطماعه وتعاليمه هي سبب هلاكه والقضاء عليه وعلى أتباعه، وعلى رأسهم اليهود قومه وجماعته، حيث جاء في الروايات السابقة أنه يتبعه سبعون ألفاً من اليهود، وهو يخرج من يهودية أصبهان (يظهر من أصبهان من حارة منها

= (٧١٢٣)، ومسلم في الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٤٧)، رقم (١٦٩). أما رواية: أنه أعور العين اليسرى. فأخرجها مسلم فقط دون البخاري، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، (٤/ ٢٢٤٨)، رقم (٢٩٣٤)، فكل الروايات صحيحة، وقد رجح الحافظ ابن حجر رواية (أعور العين اليمنى)، وهي في الصحيحين، على رواية (أعور العين اليسرى)؛ لأن المتفق عليه أقوى من غيره. وجمع بين هذه الروايات القاضي عياض: (وتصحح الروايات جميعاً بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء (ليست غائرة)، ولا ناتئة (ليست بارزة) هي العوراء الطافئة بالهمز، وهي العين اليمنى، وتكون الجاحظة والتي كأنها كوكب وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز، وهي العين اليسرى، فكل واحدة منهما عوراء، فإن الأعور من كل شيء المعيب لا سيما ما يختص بالعين، وكلا عيني الدجال معيبة عوراء إحداهما بذهابها، والأخرى بعيبها). قال النووي في هذا الجمع: (وهو في نهاية من الحسن). فتح الباري، (١٣/ ١٠٤)، وشرح النووي لمسلم، (٢/ ٢٠٣).

(١) شرح الإمام النووي، لصحيح الإمام مسلم، (١٨/ ٤٦ـ ٤٧).

يقال لها اليهودية)[١].

حتىٰ إن الدجال الذي ظهر في المدينة في وقت رسول الله ﷺ وهو ابن صياد[٢]؛ أوضح للمسلمين ـ خوفاً منهم ـ أنه ليس هو الدجال الذي أخبر عنه

(١) النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، ص ٨٨، باعتناء أحمد عبد الشافي.
وبالنسبة لمسألة تعيين المحل الذي يخرج منه الدجال فأكثر الروايات علىٰ أنه من المشرق ـ مطلقاً ـ وفي بعضها تعيين أصبهان من المشرق، وفي بعضها بأدق من ذلك، وهو تعيين محلة (حارة) في مدينة أصبهان تسمىٰ يهودية أصبهان، يقول ابن حجر: (وأما من أين يخرج؟ فمن قبل المشرق جزماً. ثم جاء في رواية أنه يخرج من خراسان، وفي أخرىٰ أنه يخرج من أصبهان). الفتح، (١٣/ ٩٧).
ويقول الحافظ ابن كثير: (فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة منها يقال لها اليهودية، وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي عليهم الأسلحة والتيجان وهي الطيالسة الخضراء)، النهاية، ص ٨٨.
يقول الدكتور رضاء الله بن محمد المباركفوري: (ويبدو من النظر في هذه الأحاديث أن ابتداء خروجه يكون من الجزيرة التي هو مربوط فيها منفرداً، ثم يأتي مروراً بخراسان إلىٰ أصبهان، ومنها يخرج مع أتباعه، ثم يكون طريقه في خروجه علىٰ أرض العرب من جهة كوثىٰ، والله أعلم). في تحقيقه لكتاب السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، ج ٥/ ٦، ص ١١٥٧.
خراسان: بلاد واسعة في جهة المشرق وتشتمل علىٰ عدة بلدان، منها: نيسابور، وهراة، ومروة، وبلخ، وما يتخلل ذلك من المدن دون نهر جيحون. معجم البلدان، (٢/ ٣٥٠).
أصبهان هي: مدينة بالموضع المعروف بـ (جي)، وهو الآن يعرف بـ (شهرستان) وبـ (المدينة)، فلما سار بختنصر وأخذ بيت المقدس وسبىٰ أهلها، حمل معه يهودها، وأنزلهم أصبهان، فبنوا لهم في طرف مدينة جي محلة ونزلوها وسميت اليهودية. فمدينة أصبهان هي اليهودية. معجم البلدان، (١/ ٨).

(٢) يقول ابن كثير: (قد كان ابن صياد من يهود المدينة ولقبه عبد الله، ويقال صاف، وقد جاء هذا وهذا. والصحيح أن الدجال غير ابن صياد، وأن ابن صياد كان دجالاً من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام، والله أعلم بضميره وسريرته، وكان ابنه عُمارة من سادات التابعين، روىٰ عنه الإمام مالك وغيره)، النهاية في الفتن والملاحم، ص ٨٨.
يقول الذهبي في كتابه (تجريد أسماء الصحابة): (هو ابن صائد، كان أبوه يهودياً، فولد عبد الله أعور مختوناً، وهو الذي قيل: إنه الدجال، ثم أسلم، فهو تابعي، له رؤية)؛ نقلاً عن الوابل، ص ٢٨٤.
=

الرسول ﷺ؛ مستدلاً بذلك ـ كما عند الإمام مسلم في الصحيح ـ أن ذلك يهودي وأنه أسلم، وأن ذلك لا يولد له وأنه وُلد له، وأن ذلك لا يدخل مكة ولا المدينة وأنه ولد في المدينة وأنه حج إلىٰ مكة(١).

وأن عمر بن الخطاب سأل يهودياً عن الدجال فقال: (ولد يهودياً ليقتله ابن مريم بباب لد)(٢).

= لذلك يقول ابن حجر: (وفي الجملة لا معنىٰ لذكر ابن صياد في الصحابة؛ لأنه إن كان الدّجّال؛ فليس بصحابي قطعاً؛ لأنه يموت كافراً، وإن كان غيره، فهو حال لُقيّهُ النبي ﷺ لم يكن مسلماً). الإصابة في تمييز الصحابة، القسم الرابع، ممن اسمه (عبد الله)، (٣/ ١٣٣)، رقم ٦٦٠٩. (كان ابن صيّاد دجّالاً، وكان يتكهّنُ أحياناً فيصدق ويكذب، فانتشر خبره بين الناس، وشاع أنه الدّجّال، فأراد النبي ﷺ أن يطّلع علىٰ أمره، ويتبين حاله، فكان يذهب إليه مختفياً حتىٰ لا يشعر به ابن صياد رجاء أن يسمع منه شيئاً، وكان يوجّه إليه بعض الأسئلة التي تكشف عن حقيقته). أشراط الساعة، د. يوسف الوابل، ص ٢٨٥.
ففي الحديث عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن عمر انطلق مع النبي ﷺ في رهط قِبَل ابن صياد، حتىٰ وجدوه يلعب بين الصبيان عند أُطُم ـ أي بناء مرتفع ـ ابن مَغَالة ـ بطن من الأنصار ـ، وقد قارب ابن صياد الحلم، فلم يشعر حتىٰ ضرب النبي صلىٰ الله عليه وسلم بيده، ثم قال لابن صياد: (أتشهد أني رسول الله؟)، فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميِّين. فقال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه، وقال: (آمنت بالله وبرسله). فقال له: (ما ترىٰ؟). قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب. فقال النبي ﷺ: (خلط عليك الأمر). ثم قال له النبي ﷺ: (إني خبأت لك خبيئاً؟). فقال ابن صياد: هو الدُّخ. فقال: (اخسأ فلن تعدو قدرك). فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: دعني يا رسول الله، أضرب عنقه. فقال النبي ﷺ: (إن يكُنْهُ؛ فلن تُسلَّط عليه، وإن لم يكنْهُ؛ فلا خير لك في قتله). صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات... (١/ ٤١٥)، رقم (١٣٥٤)، وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، (٤/ ٢٢٤٠).
قال ابن كثير: (وابن صياد كاشف علىٰ طريق الكهان، بلسان الجان، وهم يقرظون ـ أي: يقطعون ـ العبارة، ولهذا قال: هو الدُّخ؛ يعني الدخان، فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية، فقال له: اخسأ فلن تعدو قدرك)، تفسير ابن كثير، (٤/ ١٥٠).
أما وفاته فقد روىٰ أبو داود في السنن بسنده عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: (فقدنا ابن صياد يوم الحرّة)، (٤/ ٥٠٦)، (٤٣٣٢). وقد صحح ابن حجر هذه الرواية، وضعف قول من ذهب إلىٰ أنه مات في المدينة، وأنهم كشفوا علىٰ وجهه، وصلوا عليه. فتح الباري، (١٣/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، (٤/ ٢٢٤١ ـ ٢٢٤٣)، رقم (٢٩٢٧).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، ص ٨٩.

فيجمع الدجال ومن معه - وعلى رأسهم اليهود - أمرهم لمقاتلة الجيش الإسلامي بقيادة عيسى ابن مريم - عليه السلام - المتمركز في القدس، فيلتقي الجيشان، الجيش الإسلامي بقيادة عيسى ابن مريم - عليه السلام -، والجيش اليهودي ومن فيه من الكفار بقيادة الدجال، فأول ما يلتقيان يواجه عيسى ابن مريم - عليه السلام - الدجال لعنه الله، فيذوب الدجال كما يذوب الملح في الماء، ويفر هارباً، فيلحقه المسيح عيسى - عليه السلام - في إحدى قرى بيت المقدس، وهي باب لُدّ[1] من أرض فلسطين، ويقتله هناك وتتلطخ حربته - عليه السلام - بدم الدجال.

يقول الحافظ ابن كثير: (ويكون نزول عيسى ابن مريم مسيح الهدى في أيام المسيح الدجال مسيح الضلالة، على المنارة الشرقية بدمشق، فيجتمع عليه المؤمنون، ويلتف به عباد الله المتقون، فيسير بهم المسيح عيسى ابن مريم قاصداً نحو الدجال، وقد توجه نحو بيت المقدس فيدركه، فينهزم منه الدجال، فيلحقه عند مدينة باب لد، فيقتله بحربته وهو داخل إليها، ويقول: إن لي فيك ضربة لن تفوتني، وإذا واجهه الدجال يذوب كما يذوب الملح في الماء، فيتداركه فيقتله بالحربة بباب لُدّ، فتكون وفاته هناك لعنه الله، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح من غير وجه كما تقدم)[2].

وهناك ينهزم الجيش اليهودي بمقتل مسيحهم المنتظر الذي عقدوا عليه آمال تكوين دولتهم من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات (إسرائيل الكبرى).

نهاية الملحمة الكبرى بين المسلمين واليهود:

وبدأت هذه النهاية في هذه المعركة التاريخية والأخيرة، بين القوى الداعية إلى الخير (الجيش الإسلامي) بقيادة المسيح المنتظر الحق عيسى ابن مريم - عليه

(١) معجم البلدان، (٥ / ١٥).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، ص ٨٨.

السلام ـ مسيح الهداية الداعي إلى الشريعة الإسلامية الخاتمة على رسولها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبين القوى الداعية إلى الشر (الجيش اليهودي) بقيادة مسيحهم المنتظر المزعوم المسيح الدجال مسيح الضلالة، بمقتل ذاك القائد الضال (المسيح الدجال)، والذي جاء بفتنة على البشرية لم يأت بها أحد قبله (دعا إلى عبادة نفسه من دون الله)، وسخر الله له من الخوارق ما لم يسخر لمخلوق مثله، نسأل الله أن ينجينا منها جميعاً.

وهنا، في هذه السطور، أعرض نهاية جيشه اليهودي بعد مقتله؛ بعرض بعض أقوال الرسول ﷺ في هذا الموضوع:

روى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (ينزل الدجال في هذه السَّبَخة، بِمَرِّ قَنَاةَ، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلى حَمِيمِهِ، وإلى أمه، وابنته، وأخته، وعمته فيوثقها رِباطاً، مخافة أن تخرج إليه، ثمّ يُسلط المسلمون عليه، فيقتلونه ويقتلون شيعَتَه، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة والحجرة، فيقول الحجر أو الشجر للمسلم: هذا يهودي تحتي فاقتله)[1].

روى الشيخان بسنديهما إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله. إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد، (٢/ ٣٤٧)، برقم (٥٣٥٣)، باعتناء عبد الله محمد الدرويش. وقال أحمد البنّا الساعاتي: إسناده صحيح. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، (٢٤/ ٧٣).
(هذه السبخة بمر قناة): أي خارج المدينة. انظر: فتح الباري، (٦/ ٧٠٦).

(٢) البخاري في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، (٢/ ٣٣٩)، رقم (٢٩٢٥)، و(٢٩٢٦)، ومسلم في الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، (٤/ ٢٢٣٩)، رقم (٢٩٢٢) و(٢٩٢١)، واللفظ له.
والغرقد: نوع من شجر الشوك، معروف ببلاد المقدس. النووي شرح مسلم، (١٨/ ٤٥).

وروىٰ ابن ماجه بسنده إلىٰ أبي إمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناه، «فذكر خروجه، وفتنته ونزول عيسىٰ - عليه السلام - في معسكر المسلمين»، ثم: «قال عيسىٰ - عليه السلام -: افتحوا الباب. فيفتح، ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلىٰ وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، ويقول عيسىٰ - عليه السلام -: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها. فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود، فلا يبقىٰ شيء مما خلق الله يتوارىٰ به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة (إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم، لا تنطق)؛ إلا قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي فتعال اقتله»[1].

وروىٰ الإمام أحمد بسنده إلىٰ سمرة بن جندب - رضي الله عنه - أنه ذكر حديثاً طويلاً عن النبي ﷺ في شأن كسوف الشمس، وأنها والقمر آيات من آيات الله - تبارك وتعالىٰ - يعتبر بها عباده، ثم ذكر الدجال فقال: (وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس، فيُزلزلون زلزالاً شديداً، ثم يهلكه الله - تبارك وتعالىٰ - وجنودَه، حتىٰ إن جذم الحائط - أو قال أصل الحائط - وأصل الشجرة لينادي - أو قال: يا مؤمن - أو قال: يا مسلم، هذا يهودي - أو قال: هذا كافر - تعال فاقتله)[2].

ويتبين من هذه الأحاديث أمور:

منها: أن الرسول ﷺ وصف نهاية اليهود الحتمية التي لن تقوم لليهود بعدها

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن، (٢/ ١٣٥٩)، رقم (٤٠٧٧).

قال ابن حجر: (أخرجه ابن ماجه مطولاً، وأصله عند أبي داود، ونحوه في حديث سمرة عند أحمد بإسناد حسن، وأخرجه ابن منده في كتاب الإيمان من حديث حذيفة بإسناد صحيح)، الفتح، (٦/ ٧٠٦).

(٢) مسند الإمام أحمد، (٥/ ١٦)، بهامشه منتخب كنز العمال، وذكره ابن حجر في الفتح، (٦/ ٧٠٦).

قائمة حتى قيام الساعة، وأن هذه النهاية هم الذين جنوا بها على أنفسهم لطمعهم واستكبارهم في الأرض وتعاليهم على البشر، فقد انتظروا مسيحهم المنتظر (المسيح الدجال) لكي يعيثوا في الأرض فساداً بقيادته، فدعا هذا الدجال إلى عبادة نفسه.

ومنها: انفراط عقد الجيش اليهودي بعد مقتل زعيمهم المسيح الدجال، بيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ووقوع الهزيمة في نفوسهم، والخوف في قلوبهم من الجيش الإسلامي، فيفرون هاربين طمعاً في الاختباء أو النجاة.

لم تساعدهم عقولهم على تصور هذه المعركة الرهيبة، ولم يحسبوا لها حسابها الصحيح. ولم يكن يجول في خاطرهم أن النهاية الحتمية لهم في هذا الوجود قد قربت، فلن تقوم لهم قائمة بعدها أبداً. وإلا لما خاضوا هذه المعركة.

فالمخبأ لم يعد مخبأً بالنسبة لليهود، كل من في هذا الكون من جمادات كان في صف الجيش الإسلامي، لتصفية اليهود ومكرهم وخبثهم من هذه الأرض ـ التي ما برحت أن عانت منه ـ.

يقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، يا من جعلت نيتك ووجدانك ونفسك وما تملك لله، وفي عبادة الله عز وجل، هذا يهودي خبيث كافر مختبئ خلفي فتعال فاقتله. كل هذه الجمادات في الصف الإسلامي إلا ما كان يهودياً، لأنه قد يحمل صفة اليهود، (إلا الغرقد من شجر اليهود).

يقول الحافظ ابن حجر: (وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجرة وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة)[١].

ووضح الشيخ التويجري على أن نطق الحجر والشجر حقيقة وهو المتعين،

---

(١) فتح الباري، (٦ / ٧٠٦).

ولا ينبغي فيه احتمال المجاز(١)، ولا سيما أن الأحاديث قد صرحت بألفاظ تنفي

---

(١) المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير موضعه الأصلي لقرينة أو على وجه يصح، فهو اللفظ المستعمل في ما وضع له ثانياً، كاستعمال لفظ (أسد) في الرجل الشجاع. فهو بهذا يتطلب علاقة ما بين المعنى الأصلي الذي وضعت له الكلمة، والمعنى الآخر الذي استعملت له الكلمة. ويسمى المجاز الذي علاقته المشابهة استعارة، والذي علاقته غير المشابهة مجازاً مرسلاً.

وللعلماء ثلاثة أقوال في مسألة حصول المجاز في اللغة وفي الوحيين:

أ- طائفة ذهبت إلى القول بوقوع المجاز في اللغة وفي الوحيين، وبالغوا في ذلك وقالوا إن أغلب اللغة مجاز، ومنهم من قال إن كل اللغة مجاز. وهم أول من استخدم المجاز (بالمعنى الاصطلاحي المتأخر)، وهم المعتزلة، وعلى رأسهم أبو علي الجبائي وابنه أبوهشام، ووسعه وتكلم فيه عثمان ابن جني المعتزلي، وذلك لخدمة مذهبهم في نفي الصفات.

ب- وطائفة أنكرت المجاز بالكلية لا في اللغة ولا في الوحيين. وحكي ذلك عن أبي علي الفارسي، وأبي إسحاق الاسفرائيني، فعندهم أن كل ما يسميه المجازيون مجازاً يُسمى عند الآخرين أسلوب من أساليب العربية، فمثلاً إطلاق لفظ (الأسد) على الحيوان المفترس بغير قرينة، وإطلاق لفظ الأسد على الرجل الشجاع بقرينة، وهو في كلٍّ حقيقة.

ج- وطائفة ثالثة قالت بالمجاز في اللغة دون الوحي، مثل ابن خويز من المالكية، وداود بن علي الأصبهاني مؤسس الظاهرية، وابنه أبو بكر، وأبو الحسن الخرزي البغدادي الحنبلي وغيرهم. وقد انتصر لهذا المذهب ابن تيمية، ولكنه أيضاً رجح القول الثاني بأنه ليس في اللغة مجاز، وقال بذلك ابن القيم، ورد قول كل من قال إن في اللغة مجازاً، في كتابه الصواعق المرسلة. وذهب صاحب أضواء البيان محمد الأمين الشنقيطي إلى القول بأن في اللغة مجازاً دون القرآن الكريم، وذلك في كتابه (منع جواز المجاز فيما أُنزل للتعبد والإعجاز).

ومن أدلة القول بمنع المجاز في الوحي المنزل:

أ- إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر.

ب- ليس كل ما جاز في اللغة جاز في القرآن، ولذلك قد ورد في الاستعمالات البلاغية ما يجوز استخدامه في اللغة ولا يجوز استخدامه في القرآن مثل المحسنات البديعية.

ج- وهذا الدليل من باب التسليم الجدلي، لو سلمنا أن في القرآن مجازاً، فمن أجل أن نصرف أمراً من الأمور عن حقيقته إلى المجاز لا بد أن تتوفر خمسة شروط، وهي:

أ- أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي في لغة العرب؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يُراد شيء منه خلاف اللسان العربي، وإلا فإنه يمكن لأي مبطل أن يُفسر أي لفظ بأي معنى سنح له وإن لم يكن له أصل في اللغة. =

احتمال المجاز، فالجمادات والدواب تنطق بالدلالة على اليهود، والجمادات تنادي المسلمين وتدلهم على اليهود، (فحمل كلام الجمادات وندائها على المجاز ينفي وجود المعجزة في قتال اليهود في آخر الزمان، ويقتضي التسوية بينهم وبين غيرهم من أصناف الكفار الذين قاتلهم المسلمون وظهروا عليهم؛ إذ لا بد أن يختبئ المختبئ منهم بالأشجار والأحجار، ومع هذا لم يرد في أحد منهم مثل ما ورد في اليهود، فعلم اختصاص قتال اليهود بهذه الآية، وأن الجمادات تنطق حقيقة بنداء المسلمين ودلالتهم على اليهود)(١).

يقول د. الوابل: (فالحديث فيه التصريح بنطق الجمادات. وأيضاً فإن استثناء شجر الغرقد من الجمادات بكونها لا تخبر عن اليهود لأنها من شجرهم؛

= ب- أن يكون معه دليل يُوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى المجاز، وإلا إذا كان يُستعمل في معنى بطريق الحقيقة وفي معنى بطريق المجاز؛ لم يجز حمله على المجاز بغير دليل يوجب صرفه بإجماع العقلاء؛ لأن الأصل الحقيقة، فلا يمكن أن يُنقل من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة.

ج- أنه لا بد أن يَسلم ذلك الدليل الصارف عن المعارض، وإلا فإنه إذا قام دليل يُبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم إذا كان النص قاطعاً لم يُلتفت إلى نقيضه من دليل، أما إذا كان ظاهراً فلا بد من ترجيحه.

د- احتمال ذلك المعنى المجازي في هذا السياق بعينه، فليس كل ما احتمله اللفظ من حيث الجملة يحتمله السياق الخاص.

هـ- أن الرسول ﷺ إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد الحقيقة؛ فلا بد أن يُبين كلامه أنه لم يرد حقيقته وإنما أراد مجازه، سواء عيّنه أو لم يعيّنه، ولا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منه الاعتقاد والعلم.... والله أعلم.

انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٥/ ٢٠٠، ٢٠١، ٦/ ٣٦٠)، ومختصر الصواعق المرسلة، للإمام ابن القيم، اختصره الشيخ الفاضل محمد الموصلي، من ص ٢٤١.. (فصل في كسر الطاغوت الثالث، وهو طاغوت المجاز)، كتاب: منع جواز المجاز فيما أُنزل للتعبد والإعجاز، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، وله أيضاً المذكرة في أصول الفقه، ص ٦٨- ٧٤، ومحاضرة في الحقيقة والمجاز، لفضيلة الشيخ الدكتور: عبد الله بن عمر الدميجي.

(١) إتحاف الجماعة، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، (١/ ٤١٠).

يدل على أنه نطق حقيقي، ولو كان المراد بنطق الجمادات المجاز لما كان لهذا الاستثناء معنى)[١].

ومنها: (أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة)[٢]، و(أن الشريعة المحمدية متصلة إلى يوم القيامة، وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم)[٣].

ومنها: بيان أن الوعد الذي يدعيه اليهود بأن الرب أعطاهم أرض الميعاد (فلسطين وما حولها)، بل (من النهر الكبير نهر الفرات إلى نهر مصر)، والذي هو مبثوث في كتابهم المقدس - هو زعم وادعاء باطل بوعد مكذوب مفترى، فنهايتهم الفناء، كما مر توضيحه، والأمور ستبقى في يد الأمة الإسلامية[٤].

---

(١) أشراط الساعة، د. يوسف الوابل، ص ٢٢٤.

(٢) فتح الباري، (٦/ ٧٠٦).

(٣) المرجع السابق، (٦/ ٥٦٩).

(٤) فاليهود على ما يفهم من الأحاديث لن يكونوا محتلين للمسجد الأقصى ولا لأرض فلسطين، حيث إنه مع ظهور المسيح الدجال (مسيحهم المنتظر) وقيادته لهم سيكونون خارج المسجد الأقصى، ويكون المسلمون داخله مع عيسى - عليه السلام - ينظم لهم الجيش، والدجال وجنوده اليهود محاصرون للمسجد مضيقون الحصار على الجيش الإسلامي. فبعد أن ينظم عيسى - عليه السلام - الجيش الإسلامي المحاصَر داخل الأقصى، يأمر الجيش بالاستعداد لملاقاة الجيش اليهودي المحاصِر المتربص خارج المسجد الأقصى، فتفتح الأبواب لتبدأ الملحمة.
وهذا مما يدل على أن الواقع المعاصر (اليهود داخل فلسطين والمسلمون خارجها) سيتغير؛ بأن يكون المسلمون هم داخل فلسطين واليهود خارجها، فيحاصر اليهود المسلمين وهم بداخل المسجد الأقصى، والنصر يكون حليف الأمة الإسلامية. والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه؛ على ما يسّر لي ووفقني في الكتابة في هذا الموضوع، وأسأله ـ سبحانه ـ أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وأن يكون صالحاً مقبولاً بفضل الله.

وقد توصلت في هذا البحث إلى تقرير حقائق كثيرة، من أهمها:

١ ـ كانت فلسطين تكوّن مع سورية والأردن ولبنان وحدة جغرافية وإدارية واحدة تسمى (الشام)، لم تتجزأ إلا في ظل الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتطبيق اتفاقية (سايكس ـ بيكو) بين بريطانيا وفرنسا.

٢ ـ لفلسطين أهمية دينية عظيمة في جميع الرسالات السماوية الثلاثة (الإسلام، والنصرانية، واليهودية).

٣ ـ أن أسفار العهد القديم، وعلى رأسها الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، قد حصل فيها الكثير من التحريف والتبديل، وأنها كُتبت بعد الأحداث التي ذُكرت فيها بمدد طويلة، وأنها لم تصل إلينا لا عن طريق التواتر ولا عن طريق الآحاد، بل كُتبت بأقلام عديدة في أوقات مختلفة، وأن فيها تغيراً وتناقضاً، يجزم من خلاله القارئ بانتفاء قدسيتها وزوال الصبغة السماوية عنها، فلا تُعد من كتب الوحي المقدس، ومن ثَمَّ تبطل نسبتها إلى موسى ـ عليه السلام ـ وإلى باقي أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام.

٤ ـ ومن خلال تلك الأسفار المحرّفة؛ يعتقد اليهود ـ ومن والاهم من النصارى (الصهيونية المسيحية) ـ أنهم هم الورثة الحقيقيون للوعد الذي أعطاه الرب لإبراهيم عليه السلام؛ بامتلاك أرض فلسطين وما حولها من أرض الميعاد.

٥ ـ أنه لا فرق بين الصهيونية واليهودية، فهما وجهان لعملة واحدة، وأن الصهيونية نتاج العقل اليهودي، فهي الفلسفة القومية لليهود، وتنطوي في جوهرها على حمل اليهود على المحافظة على معتقداتهم وتقاليدهم، ورفض كل اندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، وإلى ضرورة تكوين مجتمع يهودي محض له دولته في فلسطين، ومناشدة اليهود في العالم إلى الهجرة من جميع بقاع الأرض إلى فلسطين، والتي يسمونها (أرض الميعاد) بحدودها التي ورد ذكرها في كتابهم المقدس.

وأن من ادّعى أن هناك من اليهود من هو ضد الصهيونية؛ فهو جاهل بحقيقة اليهود، حيث إن كل اليهود يؤمنون بفكرة رئيسة، وهي العودة لأرض الميعاد لتأسيس دولتهم اليهودية. وهذه هي نقطة البداية والنهاية بالنسبة إلى جميع اليهود بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية أو غيرها، والتي ينبغي أن تكون في خدمة الأمة اليهودية أولاً وأخيراً.

٦ ـ وفي البحث عن الصهيونية اليهودية لا بد من التفريق بين مرحلة ما قبل عام (١٨٩٧م)؛ حيث لم تكن الصهيونية تتجاوز تعلق اليهود الروحي بنصوص أسفارهم المقدسة وطقوس الأعياد والاحتفالات الدينية، وكانت دوافع رغبة قسم من اليهود في العودة إلى فلسطين دينية محضة. ومرحلة ما بعد عام (١٨٩٧م)؛ عندما اتخذت الحركة الصهيونية شكلها التنظيمي، وأصبح للفكرة الصهيونية أداة تعمل لها بشكل دائب مستمر لتحقيق غايات هذه الحركة؛ كما رسمها المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بال السويسرية عام ١٨٩٧م.

٧ ـ أن من أهم العقائد اليهودية: عقيدة المسيح المنتظر المُخلّص اليهودي، حيث إن الإيمان بهذه العقيدة يُعدُّ أحد الأركان الأساسية في الديانة اليهودية، وأحد الأسس الجوهرية فيها، فهي مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب.

وجاء ذكر المسيح المنتظر المُخلّص اليهودي في جميع مصادر الفكر اليهودي

من أسفار العهد القديم والتلمود.

٨ ـ استطاع اليهود أن يغيروا من موقف النصارىٰ تجاههم، فمن الرفض والتحقير والعدوان إلىٰ القبول والتمجيد والمساعدة، بل إلىٰ أبعد من ذلك، وهو اعتبار اليهود وكتابهم (العهد القديم) أصلاً لهم يجب اتّباعه، وكان ذلك في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، حين انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية مجموعة من النصارىٰ ـ وُلِدوا تحت أعين يهودية متمسكة ـ، سموا حركتهم بحركة الإصلاح الكنسي (البروتستانت). وبهذا يتبين أن العقيدة النصرانية سُخرت لتحقيق مكاسب يهودية، وخاصة في مسألة استيطانهم أرض فلسطين المسلمة.

لذلك؛ فالمذهب المسيحي البروتستانتي ما هو إلا (بعث عبري أو مسيحية متهودة)، فاسمه الحقيقي (الصهيونية المسيحية).

ومن اعتقادات هؤلاء النصارىٰ، والتي هي في صالح اليهود، أن تجميع اليهود في فلسطين وتأسيس دولة لهم هناك يُعجّل بالمجيء الثاني للمسيح. وتولدت عن هذه العقيدة عندهم عقيدة (الألفية السعيدة)، ومفادها أن المسيح بعد نزوله سيُقيم مملكة الله في الأرض، والتي ستدوم ألف عام. لهذا فالنصارىٰ يعتقدون أن المسيح سيرجع بعد مرور ألف سنة، وعلىٰ رأس ألف سنة جديدة، ويحكم العالم ألف سنة. وعلىٰ هذه العقيدة اجتمعت آمالهم واتجهت أنظارهم إلىٰ سنة (١٠٠٠) ميلادية، ولكنّ المسيح لم يظهر، فهدأت المسألة وتلاشت في الواقع لكنها بقيت في الأحلام. ثمّ ظهرت هذه الدعوات في بدايات عام (٢٠٠٠) ميلادية (أواخر القرن العشرين)، وبما أن ظهوره يكون في موطنه الأصلي (فلسطين) ـ في زعمهم ـ؛ فلا بد من الإعداد والتهيئة لمقدمه بتجميع اليهود في فلسطين، والتي ستكون فيها معركة (هرمجدّون). ومرت هذه الأيام؛ الأيام الأولىٰ من سنة (٢٠٠٠) ميلادية ولم يظهر فيها المسيح. لذلك، وبناءً علىٰ

عقيدتهم، يجب عليهم أن ينتظروا مجيئه في بدايات عام (٣٠٠٠ م)، وهكذا. . . !

وعلىٰ الرغم من أننا ندخل هذه الأيام رسمياً إلىٰ القرن الحادي والعشرين (القرن الجديد)؛ فإن هذا القرن وهذه الألفية الجديدة المنتظرة لن تبدأ هذه الأيام، فهذه الاحتفالات من قِبَل النصارىٰ ومَنْ والاهم في حقيقتها ما هي إلا توديع للألفية الثانية، فهذه الأيام هي بداية السنة الأخيرة من الألفية الثانية، أما بداية الألفية الثالثة والمنتظرة والقرن الجديد؛ فتكون مع بدء العام القادم (٢٠٠١م) وفق التقويم الميلادي لعيسىٰ عليه السلام[١].

وعلىٰ هذا؛ فإن أحلام النصارىٰ قد تتأجل للعام القادم أو ربما للأعوام القادمة القريبة، وخاصة إذا علمنا أن بداية التأريخ لميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ اختلف في تحديدها[٢].

فلتعلم الأمة الإسلامية أنها الآن أمام التحدي القوي الذي يجب أن تستعد له الاستعداد المناسب (المتمثل في الدعوة إلىٰ الله عز وجل، وإلىٰ اعتناق الإسلام)، وهذا التحدي فرصة للمسلمين ليثبتوا للنصارىٰ أنهم علىٰ باطل واضح، وأن مساعدتهم لليهود في احتلال أرض فلسطين، ومد يد العون لهم لبسط سيطرتهم الميدانية والعسكرية والفكرية والاقتصادية علىٰ دول المنطقة، هي من منطلق عقدي مزور، فهذا المنطلق في دينهم ابتدعه اليهود ليجعلوا النصارىٰ في خدمة عقيدتهم التوراتية وما يحلمون به من أحلام يهودية، والنصارىٰ في غفلة عن هذا المكر اليهودي الخبيث.

وهذه الفرصة ستكون سانحة تماماً بعد مرور السنوات الأولىٰ من الألفية

---

(١) كتبت هذه الأسطر في بدايات عام ٢٠٠٠ م.
(٢) قصة الحضارة، (١١) الجزء الثالث من المجلد الثالث، ص ٢١٢، ول ديورانت.

الجديدة المنتظرة عند النصارىٰ، فلتستعد الأمة الإسلامية لذلك.

(عندما تمر الأيام الأولىٰ للألفية الثالثة؛ فإن اليهود والنصارىٰ سيكونون بين أمرين؛ إما أن تتحقق بعض أحلامهم، فيزدادون عند ذلك فتنة، ويزدادون بالتالي طغياناً، وإما أن تتبخر أحلامهم الكبار، فيذيع الشك بينهم في أصول دينهم، ويزدادون ارتياباً وحيرةً وضلالاً. وعلىٰ كلا الاحتمالين؛ فمسؤولية أهل الإسلام في السنوات المقبلة عظيمة، فهم إما أن يجدوا أنفسهم أمام مرحلة مفروضة من الصراع الديني الصريح، أو يفاجؤوا بتبعة دعوية ثقيلة، ستنشئها موجات الارتياب وربما الارتداد الذي يمكن أن ينتشر بين الكتابيين عندما تصطدم عقائدهم الزائفة أمام صخرة الحقيقة والواقع، فمن لهؤلاء الضالين يهديهم إلىٰ صراط الله المستقيم إذا تطلعوا للبحث عنه، إنها تبعة جسيمة، لا بد أن يتهيأ لها أهل الدعوة من أمة البلاغ، خير أمة أخرجت للناس)[١].

٩ ـ وتبين أن في مواجهة هذه الاعتقادات النصرانية يظهر مكر اليهود وخبثهم وسخريتهم من النصارىٰ، فهم يشجعونهم علىٰ قبول المرحلة الأولىٰ من الاعتقاد المسيحي، حيث هو نفسه الحلم اليهودي المنتظر، وهو (تجميع اليهود في أرض فلسطين المسلمة)، ثمّ يقلبون لهم ظهر المجنّ. بل يأمل اليهود أبعد من ذلك، وهو تقويض المسيحية نفسها شيئاً فشيئاً، ومن ذلك التضخيم العجيب الحاصل في الفكر المسيحي لاتّباع اليهود وكتابهم المقدس.

١٠ ـ لذلك فمن الثابت تاريخيّاً أن النصارىٰ مارسوا دوراً مهماً وفعّالاً في تمكين اليهود من احتلال أرض فلسطين المسلمة.

فظهرت أسماء نصرانية لها مراكز قوية وحساسة، دينية وسياسية وغيرها، ساعدت اليهود في ذلك التمكين، كما سبق في هذا البحث تقديم أمثلة لذلك،

---

(١) حُمَّىٰ سنة (٢٠٠٠)، د. عبد العزيز بن مصطفىٰ كامل، ص ٢٥٤.

والواقع أكبر شاهد على ذلك، فتدلل الدولة اليهودية على الحكومات النصرانية والكنائس النصرانية، ومساعدتهم لها ودعمها بما شاءت من مال و سلاح وغيره، وتحدي المسلمين في ذلك، دليل على هذا المعتقد.

١١ - معركة آخر الزمان (هرمجدّون)، فاليهود والنصارى والمسلمون متفقون على وقوع ملاحم رهيبة ومعارك قوية في منطقة الشام عامة وفي فلسطين خاصة، ولكنهم مختلفون في نتائجها، كل يراها لمصلحته في النهاية. والحق ما بيّنه خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث للناس كافة محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ أن نتائج هذه الملاحم لمصلحة الإسلام وأهله، وأن الإسلام هو الدين المهيمن على كل الأديان، كما مر تفصيله في البحث.

١٢ - بيّنت بعد ذلك العرض بطلان هذا الوعد الذي تدعيه اليهود؛ من أنهم الورثة الحقيقيون لهذا الوعد من بعد إبراهيم عليه السلام. وذلك من خلال أسفارهم المقدسة عندهم (الحجة الدينية)، ومن الناحية التاريخية (الحجة التاريخية).

فإن هذه النصوص شرطت الوراثة بتمسك اليهود بعبادة الله وطاعته، وبعضهم كان في سيرته بعيداً كل البعد عن طاعة الله، وأقرب دليل على أن أغلب اليهود لم يطيعوا الله عز وجل؛ هو كفرهم وعدم إيمانهم بالنبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

على أن هناك نصوصاً أخرى في أسفارهم المقدسة تدل على أن الرب أعطاهم ما وعد لهم بتملك .رض الميعاد؛ لأن الرب قد وعدهم وعداً وقد أتمه لهم في عهد صلاحهم، وعندما كانوا في وقت هم أتباع الديانة الصحيحة قبل إرسال عيسى - عليه السلام - ومحمد ﷺ. ولم يعدهم وعداً آخر ينتظرون تحقيقه.

ومع ذلك كله نقول لهؤلاء اليهود: أين كانوا هذه المدة من السنوات الطويلة، بل القرون العديدة، من وقت خروجهم نهائيّاً من أرض فلسطين عام ١٣٥م على أيدي الرومان؟ لم يعمل اليهود ذلك العمل الجاد الذي يدل على تعلقهم بأرض فلسطين منذ القرن الثاني الميلادي إلى بدايات القرن العشرين، حتى تمكنت الصهيونية اليهودية من احتلال أرض فلسطين في منتصفه؛ بمعاونة الصهيونية المسيحية وضعف الأمة الإسلامية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن الناحية التاريخية، وادعاء اليهود أن لهم صلة بأنبياء بني إسرائيل فهم الأحق بذلك في أرض فلسطين، كما قال هرتزل: (إن فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان).

فنقول: ليس ليهود اليوم أي صلة بأنبياء بني إسرائيل، فأنبياء بني إسرائيل اختارهم الله ـ عز وجل ـ لحمل الرسالة، فهم على أعلى درجات الطاعة والعبودية لله تعالى. أما اليهود فمشركون، يعتقدون بإله مستقل لهم يسمى (يهوه)، وقد كفرهم الله ـ تعالى ـ في كتابه الكريم لاعتقادهم النسب لله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. فضلاً عن أنهم كانوا يقومون بعبادات محرّفة لم يأت بها أحد من أنبياء الله، وأن النبي الكريم محمد بن عبد الله ﷺ قد حكم بأنهم من أصحاب النار إذا لم يُؤمنوا برسالته الخاتمة فقال ـ عليه السلام ـ: (والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثمّ يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)(١).

١٣ ـ والأرض ملك لله ـ تعالى ـ يجعلها لمن يشاء من عباده، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

فيجب على أهل الإسلام ـ وهم أهل الدين الخاتم المهيمن الصحيح ـ أن

---

(١) رواه الإمام مسلم في الصحيح، انظر: ص ٢٣٠ من هذا الكتاب.

يتسلحوا بسلاح الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ وبالصبر؛ حتىٰ يجعل الله العاقبة لهم.

وليعلم أهل الإسلام أن الله أورث الأرض لهم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فشرط الوراثة أن تكون الأمة مستقيمة في خلقها، وفي سيرها في الحياة، وصلتها بالله تعالىٰ، مع تملك الأسباب المادية الكافية، وتكاتف هذه الأمة فيما بينها، وأن تستمر في مجاهدة قوىٰ الكفر والطغيان.

ولهذا فإن اليهود ليسوا أهلاً لوراثة الأرض؛ لأنهم كفروا بالله وبرسوله الخاتم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وعبدوا الطاغوت، وتحولوا إلىٰ الضلال والفجور والكفر.

وبما أن وراثة الوعد للصالحين من ذرية إبراهيم عليه السلام؛ فالأمة الإسلامية هي الأحق بوراثة الأرض بل الدنيا كلها من كل الأمم؛ لأنها علىٰ الحق والصلاح، فهم الورثة الحقيقيون، وليس اليهود ولا النصارىٰ أهل الكفران والبعد عن صراط الله المستقيم.

١٤ ـ احتلال اليهود لأرض فلسطين من منطلق ديني توراتي، كما مر بيان ذلك في البحث، فينبغي علىٰ الأمة الإسلامية أن تواجه هذا الاحتلال من منطلق ديني أيضاً؛ ألا وهو الجهاد في سبيل الله، ففلسطين بلد إسلامي مقدس له مكانته العلية من الناحية الدينية عند المسلمين، يقدسونها كما يقدسون مكة المكرمة والمدينة المنورة، فهي ليست ملكاً للفلسطينيين ولا للعرب، بل هي ملك جميع المسلمين في أنحاء الأرض، وواجب الدفاع عنها فرض عليهم.

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد؛ أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية أولاً وأخيراً، ولكن أعداء الإسلام بذلوا جهوداً جبارة لإبعادها عن الخط الإسلامي وإفهام

المسلمين من غير العرب؛ أنها قضية عربية لا شأن لغير العرب بها، ويبدو أنهم نجحوا إلىٰ حد ما في ذلك، ولذلك فإنني أرىٰ أنه لا يمكن الوصول إلىٰ حل لتلك القضية إلا باعتبار القضية إسلامية، وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها، وجهاد اليهود جهاداً إسلامياً؛ حتىٰ تعود الأرض إلىٰ أهلها، وحتىٰ يعود شذاذ اليهود إلىٰ بلادهم التي جاؤوا منها، ويبقىٰ اليهود الأصليون في بلادهم تحت حكم الإسلام لا حكم الشيوعية ولا العلمانية، وبذلك ينتصر الحق، ويخذل الباطل، ويعود أهل الأرض إلىٰ أرضهم علىٰ حكم الإسلام، لا حكم غيره، والله الموفق)[١].

فالاستراتيجية الغربية المسيحية واليهودية ركزت علىٰ طمس حقيقة أن الصراع هو صراع ديني عقائدي في نفوس المسلمين، وألبست ذلك الصراع ثوباً من القومية و الوطنية الزائفة؛ لذلك ظهرت الأحزاب العلمانية والزعامات المصطنعة التي خدمت الصالح اليهودي. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٥ ـ استناداً إلىٰ قول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]؛ فإن إفساد اليهود ـ المتمثل الآن في احتلال أرض فلسطين المسلمة وفي كيان دولتهم القائم هناك ـ سينتهي، وإن يوم النصر آتٍ بإذن الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ اليهود لإزالة إفسادهم؛ في وقت قدره الله لذلك ويسر أسبابه؛ برجوع الأمة الإسلامية إلىٰ ربها ودينها.

١٦ ـ أن واقع الأمة الإسلامية المرير اليوم ما هو إلا سحابة صيف عما قريب ستنقشع، وأن احتلال اليهود أرض فلسطين وإقامة دولتهم فيها؛ إنما هو من الأمور التي ستؤدي إن شاء الله إلىٰ إيقاظ الأمة الإسلامية من غفوتها، وإرجاعها

---

(١) فتاوىٰ وتنبيهات ونصائح، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ص ٥٧٠. تجميع وطباعة مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الثانية، رمضان ١٤٠٩هـ، الموافق أبريل ١٩٨٩م.

إلىٰ المنهج الحق بعد ضياعها في دروب المناهج الباطلة .

١٧ ـ قد تكون معركتنا ضد اليهود ذات مراحل :

فمرحلة منها ـ والله أعلم ـ إخراجهم من المسجد الأقصىٰ ، قبل أن يستطيعوا هدمه ، وطردهم من فلسطين أذلة صاغرين .

ومرحلة منها يبدأها اليهود مع (مليكهم) مسيحهم المنتظر (المسيح الدجال) لتحقيق ما يعتقدون من أحلام في أثناء مجيئه ، وانتقاماً من المسلمين ـ كما مر توضيحه ـ ، وهذه المرحلة ـ والله أعلم ـ هي المرحلة التي جاءت فيها الأحاديث النبوية ، والتي ذكرتها في الكتاب ، ومنها قول الرسول ﷺ : «لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتىٰ يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله»[1] . فتتم في هذه المرحلة إبادة اليهود وإفنائهم .

المهم والخلاصة من هذا : أن الأمة الإسلامية يجب أن تستعد لمواجهة اليهود في كل وقت ، وهي التي يجب أن تبدأ بالمواجهة ، ولا تركن إلىٰ أحاديث الملحمة التي ستكون في آخر الزمان بيننا وبين أهل الكتاب ؛ حيث إنه لا أحد يعلم حقيقةَ ما سيكون إلا الله ـ عز وجل ـ مقدّر الأقدار وعلاّم الغيوب سبحانه .

وهناك حقائق غير التي ذكرت ؛ اكتفيت بذكرها في أماكن بحث مواضيعها في هذا الكتاب . والله ـ تعالىٰ ـ أعلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) متفق عليه ، انظر تخريجه : ص ٣٣١ من هذا الكتاب .

فهرس الموضوعات

الموضـــوع .... الصفحـــة

الموضـــوع | الصفحـــة